تطور الفكر السياسي الشيعي

من الشورى الى ولاية الفقيه

أحمد الكاتب

الطبعة السادسة

2008

Ahmad@alkatib.tv

بسم الله الرحمن الرحيم

قل هل عندكم من علم فتخرجـوه لنـا ؟ .. إن تتبعـون إلا الظن ، وان انتم إلا تخرصون ! (يونس 36)

إن هي إلا أسماء سميتموها انتم وآباؤكم ، ما أنـزل اللـه بهـا من سلطان، إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس، ولقد جاءهم من ربهم الهدى .(النجم 23)

وما لهم به من علم .. إن يتبعون إلا الظن .. وان الظن لا يغني من الحق شيئا .. (النجم 28)

مقـدمة الطبعة السادسة

عرف الفكر السياسي الشيعي تنوعا وتعددا كبيرين خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين، حتى بلغ لدى مؤرخي الشيعة كالنوبختي وسعد بن عبد الله الأشعري القمي سبعين فرقة، ولكنه استقر عبر التاريخ على ثلاث فرق رئيسية هي الزيدية والإسماعيلية والامامية الاثني عشرية. وقد كان أئمة الشيعة الزيدية يحكمون اليمن مئات السنين حتى أواسط القرن العشرين عندما قامت الثورة الجمهورية وقضت على حكم الإمامة. وأما الإسماعيلية فقد أقاموا الدولة الفاطمية التي امتدت حوالي ثلاث قرون إلى أن تهاوت وانقرضت. وأما الشيعة الإمامية الاثني عشرية، فبالرغم من قيام عدد من الدول باسمهم في التاريخ، فانهم كانوا يعانون من مشكلة ذاتية لا تسمح لهم بإقامة الدول إلا بالالتفاف على فكرهم السياسي أو التخلي عنه بصورة كاملة. والمشكلة كانت ولا تزال تتمثل باشتراط الفكر الإمامي العصمة والنص والسلالة العلوية الحسينية في الإمام، أي الرئيس أي رئيس. ولما كانوا يعتقدون بوجود ذلك الإمام المعصوم المعين من قبل الله وولادته في أواسط القرن الثالث الهجري، وهو "الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري" الذي قالوا إنه ولد بصورة سرية ثم غاب بعد وفاة أبيه العسكري غيبتين: صغرى امتدت حوالي سبعين عاما (من 260 إلى 329هـ) كان يتصل خلالها ببعض النواب الخاصين، وكبرى امتدت منذ ذلك الحين والى اليوم والى أن يظهر في المستقبل، فإنهم قالوا - بناء على ذلك - بعدم جواز قيام الشيعة بالثورة والعمل السياسي والعمل من أجل إقامة الدولة الإسلامية في "عصر الغيبة" ووجوب انتظار الإمام المهدي الغائب.

وقد كان هذا الفكر سببا رئيسيا في تخلف الشيعة الاثني عشرية سياسيا وانسحابهم من مسرح التاريخ. ولكن تاريخ الشيعة الواقعي لم يكن صورة دقيقة ملتزمة بهذا الفكر، وإنما شهد محاولات عديدة للثورة والتمرد، اتخذ بعضها طابع الالتفاف على الفكر السياسي الشيعي الذي أصبح "عقيدة" يصعب التحرر منها بسهولة، كما فعل الصفويون في القرن العاشر الهجري، عندما ادعوا "النيابة الخاصة" من الإمام المهدي والحكم باسمه، أو كما فعل "الفقهاء المراجع" الذين ادعوا "النيابة العامة" عن الإمام الغائب، وإدارة أمور الشيعة بشكل أو بآخر، إلى أن ظهرت نظرية "ولاية الفقيه" العامة والمطلقة، التي اعتقد أصحابها بوجوب إقامة الحكم الإسلامي وعدم جواز انتظار الإمام المهدي الغائب بصورة سلبية، كما كان يفعل الشيعة سابقا،

وفسـروا الانتظـار بمعـنى إيجـابي معـاكس، أي بمعـنى العمـل والتمهيد والإعداد للظهور، وذلك بإقامة الدولة في "عصر الغيبة".

وتعتبر التجربة الإيرانية "الثورة والجمهورية الإسلامية" أبرز مثل على نظرية "ولايـة الفقيـه". ولكنهـا بـالرغم من محافظتهـا على الفكر الشيعي القديم "الإمامي الإثني عشري" في الظاهر، فإنها في الحقيقـة شـكلت ثـورة جذريـة عليـه، وذلـك بتخليهـا عن أهم أعمـدة الفكـر الإمـامي وهي العصـمة والنص والسـلالة العلويـة الحسـينية، وإجازتهـا حكم الفقيـه العـادل بواسـطة الشـورى والانتخاب، وهو ما كان يقول بـه بعض الزيديـة والسـنة من قبـل، ودعوا الشيعة الإثني عشرية في القرن الرابع الهجري للقبول بـه ولكنهم رفضوه وردوا عليـه بـأن ذلـك يعـني التخلي عن المـذهب الإمـامي بـالمرة. وقـد صـدقوا في ذلـك فـإن اختيـار الإمـام عـبر الشورى يناقض الفكر الإمامي مائـة بالمائـة وهـو الـذي يشـترط العصمة والنص فيه، فكيف إذا لم يكن الإمام من السلالة العلويـة الحسينية؟

ولقد استطاع الشـيعة المعاصـرون القيـام بهـذه الثـورة الفكريـة والتحـرر من الشـروط الصـعبة أو المسـتحيلة، والالتفـاف على نظريـة الإمامـة الإلهيـة لأهـل الـبيت، بتحويـل هـذه النظريـة إلى عقيدة تاريخيـة دينيـة غـير سياسـية، والفصـل بينهـا وبين مسـألة الحكم والسياسـة في هـذا العصـر، أو القـول بـأن حكم "ولايـة الفقيه" امتداد لخـط الإمامـة الإلهيـة وبالنيابـة العامـة عن الإمـام المهدي الغائب.

وذهب جيـل آخـر من الشـيعة بعيـدا في التخلي عن الفكـر الإمامي، بتبني الفكر الديموقراطي وعدم اشتراط الفقه والعدالة حسب مفهوم نظرية ولاية الفقيه، ليتحدوا مع عامة المسلمين أو المواطـنين في إقامـة حكم عـادل ديمـوقراطي يـوفر الحريـة والمساواة لجميع الناس.

وفي هـذه الحالـة لم يبـق من مفهـوم "التشـيع الإمـامي الإثـني عشـري" سـوى بعض الطقـوس والعـادات والتقاليـد والأدعيـة والزيارات وبعض المسائل الفقهية البسيطة التي لم تكن تشـكل فارقا كبيرا بينهم وبين بقية المسلمين. وإذا كانت تحمل مخلفـات التاريخ من عقـد وإشـكاليات تعكـر حيـاة الشـيعة وتـوتر علاقتهم بـإخوانهم من سـائر الطوائـف؛ فـإن دراسـة الفكـر السياسـي الشيعي منذ بداية تكونه ، وملاحظة التطورات الـتي حـدثت فيـه، والأزمات التي عصفت به، والحلول الجديدة الثوريـة الـتي قضـت عليه، كفيلة بوضع النقاط على الحروف وتوضيح ما إذا كان الفكر

الإمامي "عقيدة دينية خالدة" أو فكرا سياسيا تاريخيا ولد في ظروف معينة، ولا توجد مبررات كافية لاستمراره في هذا العصر.

ولقد حاول هذا الكتاب دراسة الفكر السياسي الشيعي بمراحله الرئيسية الثلاث: تبني الفكر الشيعي الأول لنظرية الشورى، ثم نشور نظرية الإمامة في القرن الثاني الهجري ومواجهتها للتحديات، وآخرها وفاة الإمام الحسن العسكري دون ولد ظاهر، واضطرار الشيعة الإمامية لافتراض وجود ولد دون أدلة تاريخية وشرعية كافية، ووقوعها نتيجة لذلك في أزمة الانتظار الطويلة التي امتدت أكثر من ألف عام، دون أن يظهر ذلك الإمام الغائب المفترض، مما أدى بالشيعة إلى القول بنظرية ولاية الفقيه، وتبني الفكر الديموقراطي بصورة كاملة.

وقد قمت في الطبعة الخامسة باختصار الجزء الأول من الكتاب الذي يتعلق بنظرية الإمامة الإلهية، وأبرزت الجزء الثاني المتعلق ببحث ولادة ووجود الإمام الثاني عشر، وطبعته تحت عنوان: الإمام المهدي "محمد بن الحسن العسكري" حقيقة تاريخية؟ أم فرضية فلسفية؟ تحت العنوان الأصلي:"تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه" . وقد طلب مني الأستاذ نبيل مروة صاحب دار الانتشار العربي، إعادة طباعة الكتاب بنسخته الأصلية الأولى الموسعة ، فاعتذرت منه بسبب تلبية الكتاب المختصر لأهم أفكار ومواضيع الكتاب بطبعته الأولى، إضافة لأني أعمل منذ عام على توسيع بحث موضوع الإمامة لأهل البيت وآثارها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في القرنين الثاني والثالث الهجريين. وعسى أن أفرغ منه قريبا بإذن الله تعالى.

أحمد الكاتب
لندن
19/6/ 2008

مقدمة الطبعة الخامسة

هل الإمام المهدي "محمد بن الحسن العسكري" حقيقة تاريخية؟..أم فرضية فلسفية؟

هذا سؤال مهم جدا ينبغي طرحه اليوم من أجل التقدم في عملية بناء الأمة الإسلامية وتجديدها وتحريرها وتوحيدها.

ولكن ما هو الفرق؟ سواء كـان المهـدي حقيقـة.. أم فرضـية؟ مولـوداً؟ أم غـير مولـود؟ ومـاذا يهمنـا من الأمـر في حياتنـا المعاصرة؟ إذا كان ظهور المهدي أمراً غيبياً مستقبلياً؟
ولكن من قال ذلـك؟ ومن قـال إن موضـوع المهـدي "محمـد بن الحسن العسكري" أمر تاريخي أو مسـتقبلي غيـبي، وليس أمـرا سياسيا فكريا معاصرا؟

صـحيح.. إن فكـرة المهدويـة بصـورة عامـة مسـألة غيبيـة مسـتقبلية، وإن مسـألة ولادة الإمـام الثـاني عشـر "محمـد بن الحسـن العسـكري" مسألة تاريخيـة قديمـة، ولكن الإيمـان بهـذا الإمام مسألة حيوية معاصرة تـدخل في عقيـدة الشـيعة الامامية الاثـني عشـرية، وتشـكل العمـود الفقـري لهـا. كمـا انهـا شـكلت وتشـكل الأرضـية الأيديولوجيـة لفكـرهم السياسـي القـديم والمعاصر، ومن ثم فإنها تلعب دورا كبـيرا في علاقـاتهم الداخليـة والخارجيـة مـع الطوائـف الإسـلامية الأخـرى، وتـدخل في صـميم الوحدة الإسلامية والعملية الديموقراطية.

إن فكـرة المهدويـة لا تختص بشـعب دون آخـر، ولا بأمـة دون أخرى.. فقد عرفها جميع شعوب الأرض حتى من غير المسـلمين أو الموحـدين. وذلـك لأن كـل شـعب يتعـرض للظلم والاضـطهاد يحلم بغد أفضل وإمـام عـادل (مهـدي) يملأ الأرض قسـطا وعـدلا بعـد أن ملئت ظلمـا وجـورا. ومن هنـا فقـد عـرف المسـلمون بمختلف طوائفهم وأحـزابهم كثـيرا من الأئمـة المهـديين وأدعيـاء المهدوية الذين قادوا الحركات الشعبية المطالبـة بالعدالـة، ونجح بعضهم في تحقيق أهدافهم في الوقت الذي فشل فيه آخرون.

وكان لكل (مهدي) قصة.. ولكن قصة "الإمام المهدي محمد بن الحسن العسكري" تختلف عن جميـع الأئمـة المهـديين أو أدعيـاء المهدوية عـبر التـاريخ، وتحمـل أبعـادا كثـيرة وخطـيرة . فالإمـام "الحجة بن الحسن" ليس مجرد أمل يحلق في المسـتقبل، وإنمـا هو "إمام حي موجود ولد في منتصف القـرن الثـالث الهجـري ولا يزال يعيش اليوم وسـوف يظهـر في المسـتقبل". وبالتـالي فقـد ترتبت وتترتب على هذه العقيدة أمور كثيرة فكرية وسياسية.

فقد ولدت على أثر الإيمان بوجـود الإمـام "محمـد بن الحسـن العسكري" الفرقة الاثنـا عشـرية، بعـد أن كـاد المـذهب الإمـامي يصـل إلى طريـق مسـدود، وذلـك بوفـاة الإمـام العسـكري دون الإشارة إلى وجود ولد له في الظـاهر، ودون الإشـارة إلى مصـير الإمامة من بعده. ورغم وجود تيارات شيعية أخرى تعتقد بسلسلة أخـرى من الأئمـة العلـويين، أو تـؤمن بنظـام وراثي مـرن يجـيز الانتقال إلى الاخوة وأبناء العم، إلا ان تيارا شيعيا مهما كان يعتقد

بضـرورة انتقـال الإمامـة إلى الورثـة بصـورة عموديـة، أي في الأعقـاب وأعقـاب الأعقـاب أبـداً إلى يـوم القيامـة، اضـطر إلى الإيمـان بوجـود ولـد للإمـام العسـكري بصـورة سـرية، وخلافـا للظاهر، مما أدى إلى تشكل الفرقة الاثني عشـرية. ولـو لم يكن ذلك الفريق من الشيعة يؤمنون بولادة ووجود "الإمـام محمـد بن الحسن العسكري" لمـا تكـونت الفرقـة الاثنـا عشـرية، ولوصـلت نظرية الإمامة إلى طريق مسدود، على الأقل في هذا الخــط من أبناء علي والحسين والكاظم.

ولما كـان الشـيعة الامامـية يعتقـدون بضـرورة اتصـاف الإمـام بالعصمة والنص عليـه من اللـه، وأنهم آمنـوا بوجـود ذلـك الإمـام المعصوم المعين من قبل اللـه، وهـو "الإمـام محمـد بن الحسـن العسكري" فقد تحتم عليهم انتظار ذلـك الإمـام ، وعـدم الخـوض بأي نشاط سياسي ثوري أو حكـومي إلا تحت قيـادة ذلـك الإمـام المنتظر. وعندما طلت غيبـة ذلـك الإمـام، وامتـد انتظـار الشـيعة الاثني عشرية له ؛ فقد دخل الشيعة في غيبة سياسية، وانسـحبوا من مسـرح التـاريخ قرونـا طويلـة من الـزمن. ورغم التطـورات الإيجابية الحديثة التي حدثت في فكرهم السياسي فلا يزال قسم منهم يمتنـع عن الخـوض في السياسـة انتظـارا لظهـور الإمـام المعصوم الغائب.

وفي هذه الأثناء، ومنذ أيام الغيبـة الأولى ، ظهـرت في صـفوف الشيعة دعوات أو ادعاءات بالنيابـة الخاصـة والعامـة، عن الإمـام المهدي الغائب، واللقاء به وأخذ التوجيهـات والتعليمـات والعلـوم الشرعية عنه. وقد اشتهر حوالي أربعـة وعشـرين نائبـا أو مـدعيا للنيابة الخاصـة عن الإمـام المهـدي في فـترة مـا يسـمى بالغيبـة الصـغرى، الـتي امتـدت حـوالي سـبعين عامـا من وفـاة الإمـام العسـكري، وادعى بعض العلمـاء كالشـيخ المفيـد، في القـرن الخامس الهجري، استلام رسـائل خاصـة من الإمـام المهـدي، ثم ظهرت نظرية النيابة العامة للفقهاء، أي كون كـل فقيـه نائبـا عن الإمام المهدي حتى إذا لم يسمه أو يعينه بالخصوص.

وفي ظل هذه الأجواء ظهرت المرجعية الدينية الشـيعية الـتي اكتسبت هالة قدسية، سواء بواسـطة النيابـة الخاصـة أو العامـة، وأصبح المرجع الديني يحتل في صفوف الشيعة، موقعا متمـيزا لا يضاهيه إلا إمام معصوم.

ورغم حـدوث تطـور كبـير في الفكـر السياسـي الشـيعي في العقود أو القرون الأخـيرة، وميـل كثـير من الفقهـاء والسياسـيين إلى إنهاء موقف الانتظار السلبي الممدود للإمام المهدي الغائب، واتخاذهم قرارا بالثورة أو إقامة الدولـة في (عصـر الغيبـة) إلا أن

إيمانهم بوجود الإمام المهدي "محمد بن الحسن العسكري" وأنــه مصـدر الشـرعية الدسـتورية، دفعهم لإضـفاء مسـحة دينيـة على نشاطاتهم السياسية، والاستغناء عن اكتساب أية شـرعية شـعبية أو ديموقراطيــة، وبالتــالي إعطــاء أنفســهم صــلاحيات مطلقــة ديكتاتورية، وهو ما هدد ويهـدد التجـارب السياسـية الحديثـة الـتي يقــوم بهــا الشــيعة، ويقــف عائقــا أمــام التطــور الــديموقراطي للمجتمعات الشيعية.

وعلى رغم انخــراط الشــيعة في العــراق في هــذه الأيــام في عمليــة بنــاء النظــام الــديموقراطي، إلا أن بعض رجــال الــدين استغلوا فكرة وجـود الإمـام المهـدي ليـدعوا علاقـات خاصـة لهم معــه، تــتيح لهم مكانــة فــوق ديكتاتوريــة، وأبعــد مــا تكــون عن الديموقراطية.

ومن هنا فإن مسألة وجود "الإمام المهدي الثـاني عشـر محمـد بن الحسن العسكري" لم تعد مسألة غيبية تاريخية أو مسـتقبلية، وإنما أضحت شأنا معاصـرا حيويـا فكريـا سياسـيا. وبالتـالي فـإن كثـيرا من الأمــور تصـح إذا كـان وجــود الإمــام حقيقـة تاريخيـة، وتختلف إذا لم يكن كذلك.

ولقــد ولــد الكــاتب ونشــأ شــيعيا إماميــا أثــني عشــريا، ثم قــام بدراسة هذه المسألة فتوصل إلى أنهـا فرضـية فلسـفية وليسـت حقيقة تاريخية. وقام بنشر دراسته قبل حوالي عشـر سـنين (في سنة 1997) ضمن كتـاب "تطـور الفكـر السياسـي الشـيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه" الذي كان يبحث بالإضـافة إلى مسـألة وجود الإمام الثـاني عشـر، نظريـة الإمامـة لأهـل الـبيت، وتطـور الفكر السياسي الشيعي في عصر الغيبة. وقد طبع ذلـك الكتـاب عدة طبعات، وأثار عاصـفة من الـردود والنقاشـات لم تهـدأ بعـد، فقـد كتبت في الـرد عليـه عشـرات الكتب والمقـالات، ولا يـزال النقاش مستمرا، ولكن كثيرا من الـردود اتجهت لمناقشـة الجـزء الأول من الكتاب وإثبات صحة نظريــة الإمامــة، وأغفــل كثـير من الكتـاب الحـديث عن جـوهر الكتـاب وهـو موضـوع وجـود الإمـام الثاني عشر، وكنت أتمنى لو يركـز البـاحثون على هـذا الموضـوع ففيه غنى لهم عن تجشـم محاولـة إثبـات الموضـوع الأول، إذ لـو ثبت وجود الإمام الثاني عشر لثبتت صـحة نظريــة الإمامــة، نوعــا مــا، وإذا لم يثبت وجــوده يســتحيل إثبــات نظريــة الإمامــة بتلــك الصورة المعروفة لدى الشيعة الامامية الاثني عشرية.

ومن هنا شعرت بضرورة إخراج الكتاب بشكل جديـد، واختصـار الجزئين الأول والثالث، مع التركـيز على الجـزء الثـاني من كتـاب "تطور الفكر السياسي الشيعي" وهو:"الإمام المهـدي محمـد بن

الحسـن العسـكري.. حقيقـة تاريخيـة؟ أم فرضـية فلسـفية؟" وطباعته بصورة مستقلة. أملا في أن يسـاعد نشـر هـذا الكتـاب في إثــراء البحث حــول الموضــوع، وتطــوير الفكــر السياســي الشـيعي خطـوات أوسـع نحـو الديموقراطيـة، وتوحيـد الأمـة الإسلامية.

أحمد الكاتب
11 آذار 2007
لندن

ملخص الجزء الأول[1]

نظرية الإمامة الإلهية لأهل البيت

الشورى نظرية أهل البيت السياسية

يشكل "الإمام المهدي محمد بن الحسن العسكري" الرقم الثاني عشر في سلسلة الأئمة المعصـومين الـذين يعتقـد الشـيعة الإثنـا عشرية بتعيينهم من قبل الله، والذي يقولون إنه ولد في منتصف القرن الثـالث الهجـري، بصـورة سـرية واختفى بعـد وفـاة والـده الإمام العسكري سنة 260 للهجرة، في سامراء.

والإثنا عشـرية هم فريـق من الإماميـة الـذين ولـدوا في القـرن الثاني الهجري من بين عدد من الفرق الشيعية التي كانت تحارب الدولة الأموية وتلتف حول عدد من الأئمة العلويين أو الفاطميين. وامتاز الإمامية بلقبهم هـذا لأنهم طـوروا ولاءهم لأهـل الـبيت من ولاء سياسي إلى عقيدة دينيـة، واعتقـدوا بـأن الأئمـة معصـومين ومعينين من قبل الله. ورفضوا - بناء على ذلك- الشورى كطريق لانتخاب الإمام.

وكان قولهم هذا رد فعل على تسلط الحكام الأمـويين بـالقوة ، وتداولهم للسلطة بالوراثة ، وادعائهم للعصـمة ومطـالبتهم للأمـة بالطاعة المطلقـة، فقـالوا رداً على ذلـك بأحقيـة أهـل الـبيت من الأمـويين بالخلافـة، وضـرورة تـداولها في أعقـابهم. ولكن هـذه

[1] - هذا ملخص الجزء الأول من كتاب "تطور الفكر السياسي الشيعي.. من الشورى الى ولاية الفقيه" ومن أراد التفصيل فعليه مراجعة الطبعات السابقة للكتاب.

النظرية لم تكن نظرية أهل البيت أنفسهم ولا عموم الشيعة في القرون الأولى.

وقد انطلق الإماميون في بناء نظريتهم من كون الإمام علي بن أبي طالب وصيا للنبي (ص)، وهو أمر ثابت لا يختلف عليه المسلمون.[2] ولكنه كان يتعلق بالأمور العادية والشخصية، ولم تكن له علاقة بالسياسة والإمامة أو الخلافة الدينية.[3] كما انطلقوا من "حديث الغدير" الذي ورد أن النبي قال فيه:"من كنت مولاه فهذا علي مولاه". وهو حديث يعترف المسلمون بصحته ولكنهم ينفون دلالته على الإمامة. ومن هنا فان الصحابة (رضي الله عنهم) لم يفهموا من حديث الغدير أو غيره من الأحاديث معنى النص والتعيين بالخلافة ، ولذلك اختاروا طريق الشورى ، وبايعوا أبا بكر كخليفة من بعد الرسول (ص). وكان منهم الإمام علي نفسه الذي بايع أبا بكر وعمر وعثمان. ولم يستلم الخلافة إلا بعد بيعة الناس له بيعة عامة في المسجد. وينقل الكليني رواية عن الإمام محمد الباقر يقول فيها إن الإمام علي لم يدع إلى نفسه وإنه أقر القوم على ما صنعوا وكتم أمره.[4] وعندما قتل عثمان وجاء المهاجرون والأنصار إلى الإمام علي يطالبونه بتولي الخلافة ، دفعهم ، وقال لهم: " دعوني والتمسوا غيري، واعلموا أنى إن أجبتكم ركبت بكم ما اعلم ، وان تركتموني فأنا كأحدكم ، ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزيراً خير لكم مني أميرا".[5]

وهناك رواية في (كتاب سليم بن قيس الهلالي) تكشف عن إيمان الإمام علي بنظرية الشورى وحق الأمة في اختيار الإمام ، حيث يقول في رسالة له:" الواجب في حكم الله وحكم الإسلام على المسلمين بعدما يموت إمامهم أو يقتل .. أن لا يعملوا عملا ولا يحدثوا حدثا ولا يقدموا يدا ولا رجلا ولا يبدءوا بشيء قبل أن

---

[2] - الكليني، الكافي، ج1 ، ص 236 عن محمد بن الحسين وعلي بن محمد عن سهل بن زياد عن محمد بن الوليد الصيرفي عن أبان بن عثمان عن أبي عبد الله (ع)

[3] - المفيد، الأمالي، ص220 ، المجلس رقم21، والمفيد، الارشاد، ص 188

[4] - الكليني، روضة الكافي، ص 246

[5] - الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج 3 ، ص 450

يختـاروا لأنفسـهم إمامـا عفيفـا عالمـا ورعـا عارفـا بالقضـاء والسنة".[6]

وعندما أصبح الإمام علي (ع) حاكمـا كـان ينظـر إلى نفسـه كانسان عادي غير معصوم ، ويطالب المسـلمين أن ينظـروا إليـه كذلك ، ويقـول لهم:" إني لسـت في نفسـي بفـوق أن أخطئ ولا آمن ذلك من فعلي ، إلا أن يكفي الله من نفسي ما هو أملـك بـه مني، فلا تكفوا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل".[7]

وعندما ضربه عبد الرحمن بن ملجم ، دخـل المسـلمون على الإمام علي، وطلبوا منه أن يستخلف ابنه الحسن ، فقال:" لا ، إنا دخلنا على رسـول اللـه فقلنـا: اسـتخلف ، فقـال: لا ، أخـاف أن تفرقوا عنه كما تفرقت بنـو إسـرائيل عن هـارون، ولكن إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يختر لكم" . وسألوه أن يشير عليهم بأحـد ، فمـا فعـل ، فقـالوا لـه: إن فقـدناك فلا نفقـد أن نبـايع الحسـن . فقال:" لا آمركم ولا أنهاكم . أنتم أبصر".[8]

وقد قام الإمام أمير المؤمنين (ع) بالوصية إلى الإمام الحسن وسائر أبنائه، ولكنه لم يتحدث فيها عن الإمامة أو الخلافـة ، حيث كانت وصيته شخصية وروحية وأخلاقية.[9]

وذكر المؤرخون: انه لما توفي الإمام علي (ع) خرج عبد اللـه بن العباس بن عبد المطلب إلى الناس فقال: إن أمـير المؤمـنين

---

[6] - كتاب سليم بن قيس الهلالي، ص 182، والمجلسي، بحـار الانـوار، ج 8 ، ص 555 (الطبعة الحجرية)

[7] - الكليني، روضة الكافي، ص 292 و 293 والمجلسـي، بحـار الأنـوار، ج 74 ، ص 302

[8] - المرتضى، الشافي، ج 3 ، ص 295 ، والمرتضى، تثبيت دلائـل النبـوة، ج 1 ، ص 212 و ابن ابي الدنيا، مقتـل الامـام أمـير المؤمـنين، ص 43 و المجلسي، بحار الأنوار، ج 7 ، باب أحاديث تنسب الى سليم غـير موجـودة في كتابه.

[9] - المفيـد، الارشـاد، ص 187 و الحافـظ أبـو بكـر بن أبي الـدنيا، مقتـل الامام أمير المؤمنين، ص 41 –ـ 42 ، تحقيق مصـطفى القزويـني، مركـز الدراسات والبحوث العلمية، بيروت

توفي ، وقد ترك خلفا ، فـان أحببتم خـرج إليكم ، وان كـرهتم فلا أحد على أحد. فبكى الناس وقالوا: بل يخرج إلينا.[10]

وبعد أن بايعه الناس قام الإمـام الحسـن بالتنـازل عن الخلافـة إلى معاوية، واشترط عليه العودة بعد وفاته إلى نظـام الشـورى، حيث قال في شروط الصلح: "...على انه ليس لمعاويـة أن يعهـد لأحد من بعده، وأن يكون الأمر شورى بين المسلمين".[11]

ولو كانت الخلافة بالنص من الله والتعيين من الرسول ، كما تقول النظرية الامامية ، لم يكن يجـوز للإمـام الحسـن أن يتنـازل عنها لأي أحـد تحت أي ظـرف من الظـروف ، ولم يكن يجـوز لـه بعد ذلك أن يبايع معاوية أو أن يدعو أصحابه وشيعته لبيعتـه ، ولم يكن يجوز له أن يهمل الإمام الحسـين وإنمـا كـان يجب أن يشـير إليه من بعده .. ولكن الإمام الحسن لم يفعل أي شـيء من ذلـك وسـلك مسـلكا يـوحي بالتزامـه بحـق المسـلمين في انتخـاب خليفتهم عبر نظام الشورى.

وهكذا نجد ذات الفكر السياسي عند الإمام الحسين الذي خـرج على يزيـد بن معاويـة سـنة 60 للهجـرة، حيث لا توجـد أيـة آثـار لنظريـة النص في رسـائله إلى شـيعة الكوفـة، ولم يكن يطـالب بالخلافة كحق شخصي له "لأنـه ابن الإمـام علي أو انـه معين من قبل الله". ولذلك فانه لم يفكر بنقل "الإمامة" إلى أحد من ولـده ، ولم يوصِ إلى ابنه الوحيد الذي ظل على قيد الحيـاة (علي زين العابدين)، وإنما أوصى إلى أختـه زينب أو ابنتـه فاطمـة ، وكـانت وصـيته عاديـة جـدا تتعلـق بـأموره الخاصـة، ولا تتحـدث أبـدا عن موضوع الإمامة والخلافة.[12]

وقد اعتزل علي بن الحسين السياسة ، ورفض قيادة الشيعة الذين كانوا يطالبون بالثأر لمقتل أبيه الحسين، ويعـدون للثـورة ، ولم يـدّعِ الإمامـة ، ولم يتصـدَّ لهـا ، ولم ينـازع عمـه محمـد بن

---

[10] - المسعودي، مروج الذهب، ج 2 ، ص 44 وابن كثير ، البدايـة والنهايـة، ج 8 ، ص 13، وابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج 4 ، ص 8 و ج 16 ، ص 22

[11] - المجلسي، بحار الأنوار، ج 44، ص 65 ، باب : كيفية المصالحة، من تاريخ الامام الحسن المجتبى.

[12] - راجع : الصدوق، الامامة والتبصرة من الحيرة، ص 198، والصفار، بصائر الدرجات، ص 148 و 198

الحنفيـة فيهـا ، وكمـا يقـول الشـيخ الصـدوق :" فانـه انقبض عن الناس فلم يلق أحدا ولا كان يلقاه إلا خواص أصـحابه ، وكـان في نهاية العبادة ولم يخرج عنه من العلم إلا يسيرا".[13]

وعندما قام المختـار بن عبيـدة الثقفي بحركتـه في الكوفـة ، كتب إلى علي بن الحسين يريده على أن يبايع له ويقول بإمامتــه ويظهر دعوته ، فأبى أن يجيبه عن كتابه ، فلما يئس المختار منــه كتب إلى عمـه محمـد بن الحنفيـة يريـده على مثـل ذلـك ، واخـذ يدعو إلى إمامته. وقد استلم محمد بن الحنفية قيادة الشيعة فعلاً ، ورعى قيام دولة المختار بن عبيدة الثقفي في الكوفة.

لقد كان أئمة أهل البيت يعتقدون بحق الأمـة الإسـلامية في اختيار أوليائها، وبضرورة ممارسـة الشـورى ، ويـدينون الاسـتيلاء على السلطة بالقوة. ولعلنا نجد في الحديث الذي يرويه الصدوق عن الإمام الرضا عن أبيه الكاظم عن أبيه جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن علي بن الحسين عن الحسين بن علي عن أبيــه عن جده رسول الله (ص) والذي يقول فيه:" من جاءكم يريـد أن يفـرق الجماعـة ويغصـب الأمـة أمرهـا ويتـولى من غـير مشـورة فاقتلوه ، فان الله عز وجل قد أذن ذلك" [14].. لعلنـا نجـد في هـذا الحديث أفضل تعبير عن إيمان أهـل الـبيت بالشـورى والـتزامهم بها. وإذا كـانوا يـدعون النـاس إلى اتبـاعهم والانقيـاد إليهم فإنمـا كانوا يفعلون ذلك إيمانا بأفضليتهم وأولويتهم بالخلافة في مقابــل الحكـام الـذين كـانوا لا يتبعـون الكتـاب ولا يقيمـون القسـط ولا يدينون بالحق.

من هنـا وتبعـا لمفهـوم (الأولويـة) قـالت أجيـال من الشـيعة الأوائـل، وخاصـة في القـرن الأول الهجـري:" إن عليـا كـان أولى الناس بعد رسول الله لفضله وسابقته وعلمه ، وهو افضل الناس كلهم بعده ، و أشجعهم و أشـجاهم وأرعهم وأزهـدهم" . وأجـازوا مع ذلك إمامة أبى بكر وعمر وعدوهما أهلا لذلك المكان والمقام ، وذكروا: "إن عليا سلم لهما الأمر ورضي بـذلك وبايعهمـا طائعـا غير مكره وترك حقه لهما ، فنحن راضون كما رضـي المسـلمون له ، ولمن بايع ، لا يحل لنا غير ذلك، ولا يسع منـا أحـدا إلا ذلـك ، وان ولاية أبى بكر صارت رشدا وهدى لتسليم علي ورضاه ".[15]

---

[13] - الصدوق، اكمال الدين، ص 91

[14] - الصدوق، عيون اخبار الرضا، ج 2 ، ص 62

وكانت نظرتهم إلى الشيخين أبى بكر وعمر نظـرة إيجابيـة ، إذ لم يكونوا يعتبرونهما "غاصبين" للخلافة الـتي تركهـا رسـول اللـه شورى بين المسلمين، ولم ينص على أحد بالخصوص.

من الشورى إلى .. الحكم الوراثي

وحـتى بدايـة القـرن الثـاني الهجـري لم يكن الفكـر السياسـي الشيعي يعرف نظرية النص أو الإمامة الإلهيـة، حيث كـان الإمـام محمـد البـاقر يجـادل منافسـيه من أبنـاء علي والحسـين بـالعلم وامتلاك سلاح رسول الله وحق وراثة المظلـوم ، اكـثر ممـا كـان يجادلهم بالنص الصريح أو الوصـية الواضـحة. وقـد اعتمـد الإمـام الباقر في الدعوة إلى نفسـه ، باعتبـاره أولى من الجميـع ، للثـأر من مقتل جده الإمام الحسين ، وبالتـالي قيـادة الشـيعة لتحقيـق هذا الهدف ، فكـان يقـول:"ومن قُتـل مظلومـا فقـد جعلنـا لوليـه سلطانا" (الإسراء 17:33)[16] بينما كان أخوه الإمام زيد بن علي يعتمد في إمامته على الجهاد ويقـول: ليس الإمـام منـا من جلس في بيته و أرخى سـتره وثبـط عن الجهـاد ، ولكن الإمـام منـا من منع حوزته وجاهد في سبيل الله حق جهاده ودفع عن رعيته وذب عن حريمه.[17]

ولم يكن الإمام الصادق يطـرح نفسـه كإمـام مفـترض الطاعـة من اللـه ، وإنمـا كـزعيم من زعمـاء أهـل الـبيت ، ولـذلك فقـد استنكر قول بعض الشيعة في الكوفة "إنه إمام مفترض الطاعـة من الله". وقال لمن سأله: ما اعرف ذلك في أهل بيـتي .[18] وقـد اسـتطاع الإمـام الصـادق أن يثبت إمامتـه وجدارتـه في قيـادة الشيعة بما كان يتمتع به من خلق رفيع وعلم غزير ومحتد كريم . ولم يكن بحاجـة ماسـة للوصـية أو الإشـارة إليـه لكي يتبـوأ ذلـك المقام العظيم الـذي احتلـه في المجتمـع والتـاريخ. ولا توجـد في التراث الشيعي أحاديث كثيرة عن موضوع النص عليه أو الوصـية لـه من أبيـه بالإمامـة ، مـا عـدا روايـة تتحـدث عن وصـية عاديـة جداً .[19]

---

15 - النوبختي، فرق الشيعة، ص 22، والأشعري القمي، المقالات والفرق، ص 18

16 - العياشي، التفسير، ج 2، ص 291

17 - الكليني، الكافي، ج 1 ، 257 و 305

18 - المصدر

19 - الكليني، الكافي، ج 1 ، ص 307 والمفيد، الارشاد، ص 272

ونتيجة لعدم تمتع الإمام الصادق بميزة "إلهية" خاصة ، وعدم معرفة الشيعة في ذلك الزمان بوجود أي نص إلهي حوله بالإمامة ، فقد قام عمه الإمام زيد بن علي بقيادة الشيعة، وفجر ثورة في الكوفة سنة 122هـ ، والتف الشيعة من بعده حول ابنه يحيى بن زيد الذي قام بثورة أخرى ضد النظام الأموي سنة 125هـ.. وبعد فشل هاتين الثورتين بثلاثة أعوام تفجرت ثورة شيعية أخرى واسعة عام 128 للهجرة ، بقيادة عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الطيار. وهي الثورة التي عصفت بجماهير الشيعة في مختلف مدن العراق وامتدت إلى الماهين وهمذان وقومس واصبهان والري وفارس ، وقد كان شعار الثورة : (إلى الرضا من آل محمد) وهي دعوة عموم الشيعة في ذلك الحين ، وقد اتخذ عبد الله ابن معاوية من اصبهان مركزا لدعوته وحركته ومناطق نفوذه ، وبعث إلى الهاشميين علويين وعباسيين يدعوهم إليه ليساهموا معه في إدارة البلاد التي سيطر عليها فقدم عليه عدد كبير منهم.[20]

وبعد فشل هذه الثورة ذهب الشيعة إلى اتباع الإمام محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ذي النفس الزكية الذي ظهر في المدينة في أول رجب سنة 145هـ، في أيام المنصور العباسي.[21]

بوادر الفكر الإمامي

وفي تلك الأثناء، قام فريق صغير من المتكلمين الشيعة بالغلو في أهل البيت، وادعى بعضهم كهشام بن الحكم الكندي وهشام بن سالم الجواليقي ومحمد بن علي النعمان ، الملقب بمؤمن الطاق، وعلي بن إسماعيل بن شعيب بن ميثم التمار ، وحمران بن أعين ، وأبي بصير المرادي :" أن الإمامة مفروضة من الله ، وهي في أهل البيت ، وإنها متوارثة في ذرية الحسين بصورة عمودية إلى يوم القيامة ، وإنها تثبت بالنص أو الوصية أو المعاجز الغيبية".[22] وكانوا يغلفون أقوالهم بلفائف من الكتمان ، ويدعون

---

[20] - الكليني، الكافي، ج1 ، ص 241

[21] - النوبختي، فرق الشيعة، ص 62 والمفيد، الارشاد، ص 268، والاصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص 167

[22] - الكليني، الكافي، ج 1، ص 174، والطبرسي، الاحتجاج، ج 2، ص 141

أن الأئمة كانوا يسرون لهم بذلك، خلافا لما كانوا يعلنون ، ويفسرون نفيهم لهذه النظرية بالخوف والتقية.

فلسفة العصمة

وقد انطلق أولئك المتكلمون في بناء نظريتهم "الإمامية" من ضرورة "العصمة" في الإمام (أي الرئيس أو الخليفة أو السلطان) وذلك بناء على مفهوم الإطلاق في الطاعة لأولي الأمر، وعدم جواز النسبية فيها. وهو المفهوم الذي كان الحكام الأمويون يدأبون على ترويجه، ويطالبون المسلمين بطاعتهم طاعة مطلقة في الخير والشر ، على أساسه. وهو ما أوقع فلاسفة الإمامية والمتكلمين في شبهة التناقض بين ضرورة طاعة الله الذي يأمر بطاعة أولى الأمر، كما في الآية الكريمة: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم) النساء 59، وضرورة طاعة الحكام بصورة مطلقة حتى في المعاصي والمحرمات. فقال المتكلمون بضرورة أن يكون الإمام (مطلق الإمام) "معصوماً من الله" حتى لا يأمر بمعصية ولا يقع المسلمون في حرج التناقض بين طاعته في ذلك وعصيان الله ، أو معصيته وعصيان الله الذي يأمر بطاعته.[23]

وبالإضافة إلى قضية الطاعة وضرورة أن يكون الوالي أو صاحب الأمر معصوماً ، ادعى بعض المتكلمين الشيعة عدم استطاعة المسلمين التعامل مع القرآن والاستفادة منه مباشرة، وقالوا بوجود حاجة إلى مفسر للقرآن الكريم يستقي علمه من الله.[24] ورفضوا طريق الاجتهاد للحصول على العلم الشرعي.[25] ورأى بعضهم ضرورة توفر شروط أخرى في الإمام ، وهي وجوب أن يكون أفضل المسلمين ، وعدم جواز إمامة المفضول.[26]

وبعد تقرير ضرورة اتصاف الإمام ، مطلق الإمام ، بالعصمة والأفضلية، وعدم جواز إمامة غير المعصوم أو الجاهل أو المفضول ، وهو ما لا يوجد طريق للتعرف عليه سوى إرشاد الله تعالى إليه، قام الفكر الإمامي بإسقاط الشورى طريقا لاختيار

---

23 - الطوسي، تلخيص الشافي، ج 1 ، ص 192

24 - الكليني، الكافي، ص 169 و المرتضى، الشافي، ج1، ص14 - 15

25 - المصدر، ج 1 ، ص 236

26 - المصدر ، ج 1، ص 199 - 211

الإمام ، ليحل محلها النص أو الوصية أو المعاجز الغيبية التي تميز الإمام المختار من قبل الله تعالى عن غيره من البشر.[27]

يقول الشريف المرتضى:" إذا ثبت وجـوب كـون الإمـام عالمـا بكل الأحكـام اسـتحال اختيـاره ووجب النص عليـه... وإذا ثبت أن الإمـام لنـا في جميـع الـدين وعلومـه وأحكامـه ، وجب أن يكـون افضل منا في جميع ذلـك ، وفي ثبـوت كونـه افضـل واكـثر ثوابـا وجـــوب النص عليـــه ، لأن ذلـــك ممـــا لا طريـــق إلى معرفتـــه بالاختيار".[28] ويضيف:" اعلم أن كلامنا في وجـوب النص ، وانـه لا بد منه ولا يقوم غيره في الإمامة مقامه ، تقدم ، وذلك كـافٍ في فسـاد الاختيـار ، لأن كـل شـيء أوجب النص بعينـه فهـو مبطـل للاختيار".[29]

وبعد أن يبطل الفكر الإمامي قانون الشورى والانتخـاب، ينتقـل إلى ضرورة النص على الإمام من الله كطريـق وحيـد لمعرفتـه ، ثم يحصر الإمامـة في الأئمـة المعصـومين من أهـل الـبيت ، وهم الإمام علي بن أبى طالب والحســن والحسـين والأئمـة من ذريـة الحسين "الذين نصّبهم الله تعالى قادة لخلقه إلى يـوم القيامـة". ولكن الفكر الإمامي يعجز عن إثبات النصوص على الأئمـة الإثـني عشـر ، وخاصـة الإمـام علي بن الحسـين ، الـذي يشـكل حلقـة الوصل بين الإمام الحسـين ، وبين بقيـة أبنائـه إلى يـوم القيامـة. ولـذلك يـذهب إلى الاعتمـاد على وسـائل أخـرى غـير النص في إثبات الإمامة للأئمة الآخرين ، وهي الوصية والعقل والمعاجز وما إلى ذلك. [30]

انحصار الإمامة في ذرية الحسين

واختلف الشيعة الأوائل في امتداد الإمامة في البيتين الحســني أو الحسيني، فقال بعضهم كالجارودية: إن حـديث الثقلين يشـمل الجميـع. وبنـوا نظـريتهم في جـواز الإمامـة في أبنـاء الحســن والحسين على ذلك الحديث .[31] وفضل بعضهم أبناءَ الحسـن على أولاد الحسين، وذهبوا الى كون المهدي المنتظر منهم. فيمـا قـام فريـق ثـالث بحصـر الإمامـة في ذريـة الحسـين فقـط دون دليـل

---

[27] - المفيد، الثقلان، ص 179

[28] - المرتضى، الشافي، ج 2 ، ص 17 و 42

[29] - المرتضى، الشافي، ج 4 ، ص 6

[30] - المفيد، الإرشاد، ص 278 – 279 والحلي، نهج الحق، ص 168

[31] - المفيد، الثقلان، ص 10

ظاهر. وقد ادعى هشام بن سالم الجواليقي انه سأل الإمام الصادق كيف صارت الإمامة من بعد الحسين في عقبه دون ولد الحسن ؟.. فقال:"إن الله تبارك وتعالى أحب أن يجعل سنة موسى وهارون جارية في الحسن والحسين، ألا ترى انهما شريكين في النبوة كما كان الحسن والحسين شريكين في الإمامة".[32] ولكن الشيعة ظلوا يتساءلون عن سر حصر الإمامة في ذرية الحسين مع قيام أبناء الحسن بقيادة الشيعة عمليا وتفجيرهم للثورات المختلفة هنا وهناك.[33] وكان عبد الله بن الحسن بن الحسن ينكر حصر الإمامة في البيت الحسيني ، ويقول مستنكرا: "كيف صارت الإمامة في ولد الحسين دون الحسن وهما سيدا شباب أهل الجنة ؟! وهما في الفضل سواء، إلا ان للحسن على الحسين فضلا بالكبر، وكان الواجب أن تكون الإمامة إذن في الأفضل".[34]

الوراثة العمودية

وإضافة الى ذلك قال الامامية بامتداد الإمامة في أولاد الحسين بصورة عمودية حتى قيام الساعة، وذلك في الأكبر فالأكبر ، وعدم جواز انتقالها الى أخ أو ابن أخ ، أو عم أو ابن عم.[35] وقد روى الكليني والصدوق والمفيد والطوسي أحاديث عن الإمام الصادق تشير الى قانون الوراثة العمودية وامتداد الإمامة في الأعقاب وأعقاب الأعقاب ، هكذا أبداً الى يوم القيامة.[36]

استمرار الإمامة الى يوم القيامة

وبعد سقوط نظرية الشورى، عند فلاسفة نظرية الإمامة الإلهية، كطريق لانتخاب الإمام ، كان لا بد أن تمتد هذه النظرية من يوم وفاة الرسول الأعظم (ص) الى يوم القيامة ، ولا تتحدد في فترة معينة. ومن هنا قال هشام بن الحكم في حواره مع

---

32 - الصدوق، إكمال الدين، ص 416

33 - الصدوق، إكمال الدين، ص 120

34 - الصدوق، اكمال الدين، ص 210

35 - الصدوق، علي بن بابويه، الإمامة والتبصرة من الحيرة، ص 177 و المفيد، الرسائل العشر، مختصر من الكلام على الزيدية، ص 157

36 - الكليني، الكافي، ج 1، ص 286 ، والمفيد، الإرشاد، ص 289، والصدوق، إكمال الدين، ص 414، والطوسي، الغيبة، ص 118

ضـرار:"لا بـد من أن يكـون في كـل زمـان قـائم بهـذه الصـفة (العصـمة) الى أن تقـوم السـاعة". وروى أبـو بصـير عن الإمـام الباقر أن الإمامة في ولد علي وفاطمة الى أن تقوم الساعة". [37] وروى إسحاق بن غالب عن أبى عبد الله الصادق:".. كلمـا مضـى منهم إمام نصب لخلقه من عقبه إماما".[38]

وفي الحقيقـة لم تكن هنـاك قائمـة مسـبقة بأسـماء الأئمـة القـادمين ، وإنمـا كـانت هـذه القضـية متروكـة للـزمن، وهنـاك أحاديث عديـدة تقـول: إن الأئمـة لم يكونـوا يعرفـون بخلفهم من قبل، وانهم كانوا يعلمون بذلك في اللحظات الأخيرة من حيـاتهم، حيث يـروي الصـفار عن الإمـام الصـادق انـه قـال: "إن الإمـام السابق لا يمـوت حـتى يعلمـه اللـه الى من يوصـي، و إن الإمـام التالي يعرف إمامته في آخر دقيقة من حياة الأول".[39]

ونظـرا لعـدم وجـود قائمـة مسـبقة بأسـماء الأئمـة، معـدة من قبل ، فقد كانت قضية معرفـة هويـة الإمـام الجديـد تعتـبر قضـية هامة عند الاماميـة. وكـانوا يسـألون الأئمـة دائمـا عن مواصـفات الأئمـة القـادمين، وكـان الأئمـة يجيبـونهم بالعلامـات لا الأسـماء، كالسكينة والوقار والعلم والكبر والوصية.[40] وكثيراً ما كـان الأئمـة يرفضون إخبارهم بذلك.[41] وهناك أحـاديث كثـيرة تصـرح بإمكانيـة جهـل الشـيعة بالإمـام، وترسـم لهم الموقـف في ذلـك الظـرف، كالتمسك بالأول حتى يستبين الآخر.[42]

وقد روى الكليني والصدوق والمفيد حـديثا عن عيسـى بن عبـد الله العلوي العمري عن أبى عبد الله جعفر بن محمـد، قـال قلت له:"جعلت فداك : إن كان كونٌ ولا أراني الله يومـك فبمن أأتم ؟

---

37 - الصدوق، إكمال الدين، ص 222

38 - الكليني، الكافي، ج 1 ، ص 204 و الصدوق، إكمال الدين، ص 245 و الصـــدوق، عيـــون أخبـــار الرضـــا، ج 1، ص261، وج 2 ، ص 131 ، والعطاردي، مسند الرضا، ص 108

39 - الصفار، بصائر الدرجات، ص 473 – 474 و 477 - 478

40 - الصـفار، بصـائر الـدرجات، ص 489 وابن بابويـه الصـدوق، الإمامـة والتبصـرة من الحـيرة، ص 226 و الكليـني، الكـافي، ج 1 ، ص 284، والصدوق، الخصال، ص 116

41 - الصفار ، بصائر الدرجات، ص 236، و239

42 - الكليني، الكافي، ج 1 ، ص 342 و الصدوق، إكمال الدين، ص 348 و 350 - 351

قال: قال فأومأ الى موسى ، فقلت : فإن مضى موسى فبمن أأتم ؟.. قال : بولده ، قلت فان مضى ولده وترك أخا كبيرا وابنا صغيرا فبمن أأتم ؟.. قال: بولده ، ثم هكذا أبدا ، قلت: فان أنا لم اعرفه ولم اعرف موضعه فما اصنع ؟.. قال:تقول: اللهم إني أتولى من بقي من حججك من ولد الإمام الماضي، فان ذلك يجزئك".[43]

سرية نظرية الإمامة

إن نظرية الإمامة الإلهية القائمة على العصمة والنص، لم تكن شائعة ومعروفة في أوساط الشيعة أو أهل البيت أنفسهم في القرن الأول الهجري ، ولم تكن لها رائحة في المدينة، وإنما بدأت تدب تحت الأرض في الكوفة في بداية القرن الثاني، وكان المتكلمون الذين ابتدعوها يلفونها بستار من التقية والكتمان.[44] وبما أن الأئمة من أهل البيت كانوا ينفون نظرية الإمامة الالهية وينفون علمهم بالغيب، فقد أطلق المتكلمون الإماميون على هذه الحالة اسم "التقية". وذلك لكي يفسروا ظاهرة التناقض بين أقوال الأئمة وسيرتهم العلنية القائمة على الشورى والعلم الطبيعي ، وبين دعوى "الإمامة الإلهية القائمة على النص والتعيين والعلم الإلهي الغيبي" ، والتي كان ينسبها الاماميون الى أهل البيت سراً.

نظرية الإمامة في مواجهة التحديات

نقد فلسفة العصمة

لم تكد نظرية الإمامة الإلهية تولد، حتى واجهت سلسلة من التحديات التي وضعتها على محك الاختبار، وأثبتت استحالتها ، فمن جهة كان مبدأ اشتراط "العصمة" في الإمام، الذي قامت عليه، مبدأ حادثاً، مرفوضا من قبل أهل البيت وعموم الشيعة ، حيث كانت فلسفة العصمة تقوم على مبدأ الإطلاق في الطاعة لولي الأمر، وعدم جواز أو إمكانية النسبية فيها ، وذلك مثل الرد على الإمام ورفض إطاعته في المعاصي والمنكرات لو أمر بها ، والأخذ على يده عند ظهور فسقه وانحرافه . وهو المبدأ الذي

---

43 - الكليني، الكافي، ج 1 ، ص86 ، والصدوق، إكمال الدين، ص 350 ، والمفيد، الإرشاد، ص 289

44 - الكليني، روضة الكافي، ص 10

كان الحكام الأمويـون يـدأبون على ترويجـه ومطالبـة المسـلمين بطاعتهم على أساسه طاعة مطلقة في الخـير والشـر ، وهـو مـا أوقع فلاسفة الامامية في شبهة التناقض بين ضرورة طاعـة اللـه الذي يأمر بطاعـة أولى الأمـر في الآيـة الكريمـة: (يـا أيهـا الـذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) النساء 59 ، وضـرورة طاعـة الحكـام بصـورة مطلقـة حـتى في المعاصـي والمحرمات.[45]

لكن هـذا الأمـر لم يثبت من إطلاق الآيـة الشـريفة ، الـتي قـد تفهم أيضا على أساس النسبية ، بل إن هذا ما يـوحي بـه العـرف والعقـل والآيـات الأخـرى في القـرآن الكـريم ، الـتي تؤكـد على مبدأ :" لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ". ومع إن آيـة (أولي الأمر) كانت تنطبق على أولي الأمر والـولاة والقـادة الـذين كـان يعينهم الرسـول الأكـرم في حياتـه ، فـان المسـلمين الأوائـل لم يكونوا يفهمون منها : معنى الإطلاق ، والطاعة لأولي الأمـر حـتى في المعاصي والمنكرات، وقد رفضت جماعة من المسلمين كان الرسول الأكرم قـد أرسـلها في سـرية وأمّـر عليهـا رجلا ، طاعـة ذلك الرجل عندما أمـر الجماعـة في وسـط الطريـق بـدخول نـار أشعلها ، وطالبهم بالامتثال لأوامـره ، وقـالوا لـه: لقـد فررنـا من النار فكيف ندخل فيها . وفهموا الطاعة في حدود العرف والعقل والشرع ، وليس خارج ذلك ، وعادوا فـأخبروا الرسـول بمـا فعـل القائد ، فأقرّهم على موقفهم العقلائي ،وحذرهم قائلا: لــو دخلتم فيها للبثتم فيها.

وهذا ما يؤيد إمكانية الفهم النسـبي لآيـات القـرآن الكـريم في حدود العقل والعرف والسيرة والشرع، وعدم جـواز فهمهـا فهمـا مطلقا دائما حتى في حالات التعارض مع أحكام أخـرى عقليـة أو شرعية.

وإذا انتفى الإطلاق وثبتت النسـبية في الطاعـة لأولي الأمـر؛ لا تبقى حاجة الى اشتراط العصمة في الإمـام ، ويمكن للمسـلمين انتخاب قائد لهم على أساس العدالة الظاهرية والتقوى والكفاءة، ليطبق لهم الدين ويـأمرهم بـالمعروف وينهـاهم عن المنكـر. وإذا

[45] - الكراجكي، كنز العرفان، ص 449، والطوسي، تلخيص الشافي، ج 1 ، ص 192، والحلي، منهاج الكرامة في إثبات الإمامة، ص 51 ونهج الحـق، ص 164

انحرف هذا القائد (الإمام) فـان لهم الحـق في عصـيانه ومخالفـة أوامره وإسقاطه عن منصب الإمامة ، ولا طاعة لـه من اللـه في أعناقهم. ولكن المتكلمين الامامية رفضوا النسـبية رفضـا مطلقـا وأصروا على مفهوم الإطلاق من الآية ، ولذلك بنـوا نظـريتهم في العصـمة على هـذا الأسـاس ، ثم أقـاموا سـائر المقـولات على قاعدة العصمة.[46]

وكان أهل البيت أنفسهم يرفضون "العصمة " أشـد الـرفض ، ويصرحون أمام الجماهير بأنهم أناس عـاديون قـد يخطئـون وقـد يصيبون وأنهم ليسوا معصـومين من الـذنوب ، ويطـالبون النـاس بنقدهم وإرشادهم واتخاذ موقـف المعارضـة منهم لـو صـدر منهم أي خطأ أو أمـروا بمنكـر لا سـمح اللـه . وقـد وقـف الإمـام أمـير المؤمــنين علي بن أبى طــالب في مســجد الكوفــة وخــاطب الجموع قائلا: "لا تكلموني بما تكلم به الجبابرة ولا تتحفظوا مـني بما يتحفظ به عند أهل البادرة ولا تخالطوني بالمصانعة ولا تظنوا بي استثقالا في حق قيـل لي ولا التمـاس إعظـام لنفسـي لمـا لا يصلح لي ، فانه من استثقل الحق أن يقال له أو العدل أن يعرض عليه كان العمل بهما اثقل عليـه .. فلا تكفـوا عن مقالـة بحـق أو مشورة بعدل ، فإني لست في نفسي بفــوق أن أخطيء ولا آمن ذلـك من فعلي ، إلا أن يكفي اللـه من نفسـي مـا هـو أملـك بـه مني . فإنما أنا وانتم عبيد مملوكون لرب لا رب غـيره يملـك منـا ما لا نملك من أنفسنا ، وأخرجنا مما كنا فيه الى ما صلحنا عليــه، فأبدلنا بعد الضلالة بالهدى وأعطانا البصيرة بعد العمى".[47]

وقال الإمام الصادق: " والله ما نحن إلا عبيـد ... مـا نقـدر على ضرّ ولا نفع ، إن رحمنا فبرحمته، وان عذبنا فبذنوبنا ، واللـه مالنـا على اللــه من حجــة ولا معنــا من اللــه بــراءة ، وإنــا لميتــون ومقبــورون ومنشــورون ومبعوثــون ومســئولون .. أشــهدكم أنى امرئ ولدني رسـول اللـه ومـا معي بـراءة من اللـه ، إن أطعت رحمني وان عصيته عذبني عذابا شديدا".[48]

---

[46] - الصـدوق، إكمـال الـدين، ص 362 –ـ 368 والمفيـد، شـرح عقائـد الصـدوق، ص 106 ، والنكت الاعتقاديـة، ص 48 –ـ 49 ، والحلي، كشـف المراد، ص 365 ، والمجلسي، بحار الأنوار، ج 11، ص 291

[47] - انظر الخطبة كاملة في: روضة الكافي للكليني، ص 292 ـ 293 ، وبحار الأنوار للمجلسي، ج 74 ، ص 309

أزمة البداء

ومن جهة أخرى أصيبت النظرية الامامية الوليدة ، في منتصف القرن الثاني الهجري، بنكسة شديدة عندما توفي إسماعيل بن جعفر الصادق ، وكان الاماميون في الكوفة قد التفوا حوله ونقلوا عن أبيه: أن إسماعيل خليفته من بعده ، فلما توفي في حياة أبيه تبين أن تعيينه ليس من الله ، وإلا فانه لم يكن ليموت قبل أبيه ، أو كان الإمام يوصي الى من يعلم من الله انه سوف يبقى بعده. ولكن الإمامية غطوا على هذه المشكلة، بالقول بالبداء ، والزعم بتغير إرادة الله بشأن إسماعيل ، بعد أن كان الإمام الصادق ، حسب قولهم، قد أشار اليه وعينه إماما من بعده.

ورفض الإمام الصادق بعد ذلك تحديد هوية الإمام من بعده، فتوفي زرارة بن أعين ، وهو من أكبر أصحاب الإمامين الباقر والصادق ، دون أن يعرف هوية الإمام الجديد ، فوضع القرآن على صدره وقال: اللهم اشهد أني أأتم بمن أثبت إمامته هذا المصحف.[49] ولكن معظم الشيعة ذهبوا الى القول بإمامة عبد الله الأفطح بن الصادق، باعتباره أكبر أولاد الإمام.[50] وكاد أن يحضى بإجماع الشيعة عليه بالرغم من عدم وجود نص واضح وصريح عليه من أبيه الإمام الصادق.[51] إلا أن عبد الله توفي بعد حوالي سبعين يوما من وفاة أبيه الصادق ، دون ان يخلف ولدا تستمر الإمامة في ذريته ، وهذا ما خلق أزمة جديدة في صفوف الامامية الذين كانوا يعتقدون أن الإمامة من الله ، وانها لا بد ان تستمر في الأعقاب وأعقاب الأعقاب هكذا أبدا الى يوم القيامة، فانقسموا الى ثلاث فرق ، حيث تراجع قسم منهم وهم "الموسوية" عن القول بإمامته وشطبوا اسمه من لائحة الأئمة. وانتقل قسم آخر الى القول بإمامة أخيه موسى من بعده ، وعرف هؤلاء بالفطحية، وكانوا من كبار أصحاب الإمام الصادق وبقية الأئمة اللاحقين .[52] وقد تجاوز هؤلاء مسألة الوراثة العمودية ، وأجازوا القول بإمامة الأخوين إذا لم يكن للسابق ولد. بينما أصر فريق ثالث على ادعاء وجود ولد لعبد الله الافطح ،

---

48 - الكليني، الكافي، ، الروضة، ص 312 ، والحر العاملي، إثبات الهداة، ص 770

49 - الصدوق، إكمال الدين، ص 75 - 76

50 - الكليني، الكافي، ج1 ، ص 351 – 352 ، والمفيد، الإرشاد، ص 291، والصفار، بصائر الدرجات، ص 250 – 252 ، والكشي، الرجال، ترجمة هشام بن سالم

51 - الأشعري، المقالات والفرق، ص 87

في السر ، وقد أخفاه للتقية ، وقالوا إن اسـمه (محمـد بن عبـد الله) وانه المهدي المنتظر ، وانه غائب في اليمن.

وقد كشفت هذه الأزمة عن هشاشة وغموض نظرية النص في الإمامة ، وصعوبة تحديد الامامية أو معـرفتهم بالإمـام المنصـوص عليه من الله، أو اتفاقهم عليه، وإمكانية القول بإمام لا تتوفر فيه شروط الإمامة ، ثم التراجع عنه بعد ذلك ، مثل عبد الله الأفطح.

دليل المعاجز

ولما لم يكن الإمام موسى الكاظم يـدعو الى نفسـه، ولم يكن يوجد عليه أي نص خاص من الله أو من أبيه ، فقـد لجـأ الاماميـة الى سلاح "المعاجز وعلم الغيب" ليثبتـوا وجـود الارتبـاط الخـاص بالسماء للإمام الكاظم ، وتحديده من بين اخوته كـوريث شـرعي ووحيد للإمام الصادق.[53] ويقول الكليـني:"إن الإمـام الكـاظم كـان يعلم مـتى يمـوت الرجـل ويخـبر أصـحابه بـذلك ، كمـا يخـبرهم بمصائرهم في المستقبل.[54] إلا ان هذا "الدليل" كان يعــاني من مشكلة صعوبة إثباته لأي أحد، خاصة في ظل نفي الإمام الكاظم له وإنكاره لمعرفة علم الغيب .

ولم تكد نظرية الإمامة تلتقط أنفاسها بعـد أزمـة الوصـية الى إسـماعيل والبـداء فيـه ، وأزمـة عبـد اللـه الأفطح ووفاتـه دون عقب ، ثم أزمــة إثبــات إمامــة الكــاظم، حـتى وقعت في أزمـة جديدة هي: وفاة الإمام موسى الكاظم في سجن هارون الرشـيد في بغـداد سـنة 183هــ بصـورة غامضـة ، وقـول عامـة الشـيعة الموسوية بهروب الإمام من السجن وغيبته ، وإنكـار وفاتـه. وقـد كانت وفاة الكـاظم غامضـة حقـاً بحيث التبس الأمـر على معظم أبنائه و تلامذته وأصحابه.[55] وكان السـبب الرئيسـي في (وقـوف) الشيعة الموسوية على الإمام الكاظم ، ورفض الاعـتراف بإمامـة

---

52 - المفيـــد، الفصـــول المختـــارة، ص 253، والإرشـــاد، ص 285 و291 والصـدوق، الإمامـة والتبصـرة من الحـيرة، ص 205 ، والنوبخـتي، فـرق الشيعة، ص 77 – 78 ، والأشعري القمي، المقالات والفرق، ص 87

53 - الكليني، الكافي، ج 1 ، ص 285، والمفيد، الإرشاد، ص 307
54 - الكليني، الكافي، ج 1 ، ص 484
55 - الطوسي، الغيبة، ص 47، والكليني، الكافي، ج1 ، والصدوق، عيون أخبار الرضا، ص 39

ابنه الرضا ، هو وجود روايات كثيرة متداولة تلـك الأيـام بمهدويـة الكاظم وحتمية قيامه قبل موته.[56]

وقـد تشـبث الامـاميون في عمليـة إثبـات "الإمامـة" للرضـا، بوصية الإمام الكاظم اليه ، ولكن الوصية كانت غامضة أيضـا ، و غير صريحة بالإمامة ، خاصة وان الكاظم أشـرك فيهـا بقيـة بنيـه مـع الرضـا.[57] ونتيجـة لغمـوض النص حـول الإمـام الرضـا ، وعدم شيوع نظرية الإمامة الإلهية بين أوساط الشيعة في عهده، فقـد بـرز عـدد من الزعمـاء العلـويين الآخـرين كقـادة للحركـة الشيعية المعارضة ، كعلي بن عبيـد اللـه بن الحسـن بن علي بن الحسين بن علي بن أبى طالب ، و عبد الله بن موسى ، و محمد بن إبـراهيم ابن طبطبـا بن الحسـن بن الحسـن بن علي بن أبى طالب. وأعلن محمـد الـديباج بن الإمـام الصـادق، نفسـه: "أمـيرا للمؤمـنين" في الحجـاز ، وأخـذ البيعـة بعـد صـلاة الجمعـة لسـت خلـون من ربيـع الآخـر سـنة 200 للهجـرة، وقـد رجـا أن يكـون المهدي القائم .. ولكنه سـرعان مـا فشـل وتنـازل عن الخلافـة ، وبايع المأمون.[58]

وما يهمنا من أمر محمد الديباج ، هو موقف الطالبيين والشيعة عموما من حركته، وحشر الناس لبيعته ، وهو مـا يـدل على حجم التأييـد لـه بالنسـبة الى ابن أخيـه الرضـا ، وجهـل عامـة الشـيعة بنظريـة الإمامـة الإلهيـة القائمـة على العصـمة والنص الـتي كـان يقول بها جماعة من المتكلمين في الكوفة بصورة سرية.

وعندما عرض المأمون العباسي الخلافـة على الإمـام علي بن موسى الرضا عام 201 للهجرة ، فانه لم يعرضها عليـه باعتبـاره الإمام الثامن في سلسـلة الأئمـة الاثـني عشـر ، وإنمـا بنـاء على فضله وجلالته ، وكان المأمون قد عاهـد اللـه ، خلال صـراعه مـع أخيه الأمين، أن ينقل الخلافة الى افضل آل أبى طالب، ثم أعلن: ان علي الرضا هو افضل العلـويين.[59] وقـد دعـا المـأمون الإمـام

---

56 - الطوسي، الغيبة، ص 29 - 40

57 - القرشي، باقر شريف، حياة الإمام موسى بن جعفر، ص 410 – 411 (نقلا عن تحفة العالم للسيد جعفر آل بحر العلوم، ج 2 ، ص 87)

58 - ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص 121، والأصفهاني، مقاتل الطـالبيين، ص 353 ، وتاريخ الطبري، ج 3 ، ص 989

الرضا لاستلام الخلافة منه ، وعنـدما رفض الإمـام ذلـك ، عـرض عليه ولاية العهد فقبلها.[60]

ومهمـا اختلـف المؤرخـون في تحليـل موقـف المـأمون ، فـان مبايعة الإمام الرضا له وقبوله بولاية العهـد، يكشـفان عن موقـف أيديولوجي ظاهر بشرعية خلافة المأمون وواقعيـة إمامـة الرضـا، بعيــدا عن نظريــة "الإمامــة الإلهيــة الخاصــة في أولاد علي والحسين" .

وقد تحدث الإمام الرضا عن نظرية الشورى بصراحة وروى عن آبائه وأجداده الأطهار ، حديثا عن رسول الله (ص) أنه قـال:" من جاءكم يريد أن يفرق الجماعة ويغصـب الأمـة أمرهـا ويتـولى من غير مشورة فاقتلوه فان الله قد أذن ذلك".[61] وهو ما يكشف عن نظرية الإمام الرضا السياسية الحقيقة المنسجمة مع الخط العام لأهل البيت ، والتي تؤكد حق الأمة في الشـورى واختيـار حكامهـا وتـدعو الى قتـل كـل من يغتصـبها حقهـا ويسـتولي عليهـا بـدون إرادتها ..

أزمة الطفولة

ورغم ذلك فقد كان الإماميون يتشبثون بأفكارهم المغالية بعيدا عن أهل البيت، ولكنهم كـانوا يصـابون كـل يـوم بصـدمة جديـدة. وبينمـا كـانوا يحـاولون إثبـات إمامـة الرضـا "الإلهيـة" بالنصـوص والمعاجز، توفي الإمام الرضا في خراسان سـنة 203 هـ وكـان ابنه (محمد الجواد) يبلغ من العمر سبع سنين ، مما أحـدث أزمـة جديـدة في صـفوفهم ، وشـكل تحـدياً كبـيراً لنظـريتهم السـرية الوليــدة . حيث لم يكن يعقــل ان ينصــب اللــه تعــالى لقيــادة المسلمين طفلا صغيراً غير مكلف شرعا، محجـوراً عليـه لا يحـق له التصرف بأمواله الخاصة حسبما يقول القرآن الكريم: (وابتلـوا اليتامى حتى إذا بلغـوا النكـاح، فـان آنسـتم منهم رشـدا فـادفعوا إليهم أمـوالهم) النسـاء 6، ولم تتح لـه الفرصـة للتعلم من أبيـه

---

59 - الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص 563

60 - الصدوق، عيون أخبار الرضا، ص 246

61 - الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج 2 ، ص 62

الذي تركه في المدينة وله من العمر أربع سنوات.[62] وهذا ما أدى الى انقسام الامامية الى عدة فرق :

أ - فرقة عادت الى الوقف على موسى الكاظم.[63]

ب - وفرقة ذهبت الى أخي الإمام الرضا (أحمد بن موسى) وكان على درجة من العلم والتقوى والورع ، كما يصفه الشيخ المفيد في (الإرشاد).[64] وقد نحا هؤلاء منحى الفطحية، ولم يلتزموا بدقة بقانون الوراثة العمودية ، واعتبروا الجواد الذي كان طفلا صغيرا كأنه لم يكن. وذهب قسم آخر منهم للالتفاف حول الإمام محمد بن القاسم بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبى طالب ، الذي كان يعيش في الكوفة ، وكان معروفا بالعبادة والزهد والورع والعلم والفقه ، وفجر ثورة ضد الخليفة المعتصم في الطالقان سنة 218 هـ .[65]

ج - وفرقة قالت بإمامة الجواد ، ولكنها اضطربت في الإجابة على مشكلَتَي العمر والعلم.[66]

ولما كان الاماميون يعتبرون الإمامة شبيهة بالنبوة، وأنها من الله ، فلم يصعب عليهم الاستشهاد بآية من القرآن الكريم تقول: (وآتيناه الحكم صبياً) مريم 12، وقالوا: كما أعطى الله النبوة ليحيى وهو طفل صغير ، وكما أعطاها لعيسى وهو طفل صغير، كذلك فلِمَ لا يجوز أن يعطي الإمامة لمحمد الجواد وهو ابن سبع سنين؟ و رووا عن الجواد انه قال لمن استشكل في عمره :" إن الله تعالى أوحى الى داود أن يستخلف سليمان وهو صبي يرعى الغنم". [67]

---

[62] - النوبختي، فرق الشيعة، ص 88 والأشعري القمي، المقالات والفرق، ص 96 - 98

[63] - الأشعري القمي، المقالات والفرق، ص 96 ، والمفيد، الفصول المختارة، ص 112 - 113

[64] - المفيد ، الإرشاد ، والفصول المختارة، ص 256، والنوبختي، فرق الشيعة، ص 88 والأشعري ، المقالات والفرق، ص 97

[65] - الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص 579 ، وتاريخ الطبري، ج 7 ، ص 223

[66] - النوبختي، فرق الشيعة، ص 86 - 90 والأشعري ، المقالات والفرق، ص 99

[67] - الكليني، الكافي، ج 1 ، ص 382 – 384 و 494

وبالرغم من عدم وجـود نص صـريح بالإمامـة من الرضـا على الجواد ، أو الوصية له ، وعدم ادعاء الإمام الجواد نفسه بالإمامة، فقد اضطر الإماميون للقول بإمامته إنقاذا لنظريتهم من التهـاوي والسقوط ، وكان لا بد أن يبنوا قولهم على مجموعة من حكايات المعاجز والعلم بالغيب .[68]

وقد تكررت مشكلة " صغر عمر الإمـام" مـرة أخـرى مـع ابن الجواد (علي الهادي) ، حيث توفي الجواد في مقتبل عمـره ولمـا يكمل الخامسة والعشـرين ، وكـان ولـده علي صـغيرا لم يتجـاوز السابعة. ولذلك أوصى أبوه بالأموال والضياع والنفقات والرقيـق الى أحد أصحابه وهو: (عبـد اللـه بن المسـاور) وأمـره بتحويلهـا الى الهادي عنـد البلـوغ ، وشـهد على ذلـك (أحمـد بن أبى خالـد) مولى أبى جعفر.[69] وهذا ما دفـع الشـيعة أيضـا الى التسـاؤل: إذا كـان الهـادي بنظـر أبيـه غـير قـادر على إدارة الأمـوال والضـياع والنفقات لصغره ، فمن هو الإمام في تلك الفترة ؟.. وكيف يقوم بالإمامـة طفـل صـغير ؟.. ولم يقـدم الإماميـة دليلا على إمامـة الهادي ، سوى دعاوى المعاجز وعلمه بالغيب.[70]

مشكلة البداء .. مرة أخرى

كانت مسألة الإمامة عند أهل البيت وعامة الشيعة، تختلف في مفهومها عند "الامامية" الذين كانوا يشكلون فريقا صغيرا وسـريا في الشيعة ، فهي كانت إمامة عادية بشرية عند أولئـك ، وإمامـة ربانية عند هؤلاء. ومن هنا كان أئمة أهـل الـبيت يشـيرون أحيانـا الى أحد أبنائهم ، أو يتوقعون أن يخلفهم في مقامهم التــوجيهي ، ويموت في حيـاتهم ، فيشـيرون الى رجـل آخـر ، ولا يجـدون في ذلك أي حرج أو تناقض. ولكن وفاة أحـد أبنـاء الأئمـة المرشـحين للخلافــة كـان يسـبب أزمــة في صـفوف الاماميــة الــذين كـانوا يعتقدون أن نصب الإمام يأتي من الله تعـالى، ولـذلك فقـد كـانوا يستغربون أن يموت الإمـام المقـترح و"المعين" في نظـرهم في حياة أبيه ، ويعتبرون ذلك تغييراً في الإرادة الإلهية ، وهو ما عبروا عنه بـ:" البداء" مع انه كان من الصـعب عليهم الاعـتراف بالبـداء وتغيير الله لإرادته في هكذا موضوع (كالإمامة) ، وذلك لما يسببه

68 - الصدوق، ابن بابويه، الإمامة والتبصرة من الحيرة، ص 222 ، والكليني، الكافي، ج 1 ، ص 353 و496

69 - الكليني، الكافي، ج 1 ، ص 325

70 - الصفار، بصائر الدرجات، ص 467 ، والكليني، الكافي، ج 1، ص 498 – 499 ، 502

التغيير فيها من حرج وتشكيك للناس في صدقية الأئمة والـتراجع عن اعتبار النص من الله.

لقد فسر الامامية وفـاة إسـماعيل بن جعفـر الصـادق ، الـذي كـانوا قـد رشـحوه لخلافـة أبيـه ، بالبـداء ، ورفض بعضـهم قصـة الترشيح من أساسها في وقت لاحق ، بينما أنكر بعضٌ آخر الوفاة ، وأصـر على اختفـاء إسـماعيل عن الأنظـار. وقـد سـببت وفـاة إسـماعيل هـزة في الفكـر الامـامي أدت الى تراجـع الكثـير من الامامية عن الاعتقاد بأن الإمامة تعيين من الله. وتكـررت القصـة مرة أخرى بعد مائـة عـام تقريبـا ، حيث أعلن الإمـام الهـادي عن ترشيح ابنه (السيد محمـد) كخلـف لـه، ولكنـه تـوفي في حياتـه ، فأوصى الى أخيه الحسن العسكري وقال له:" يا بني أحـدث للـه شكراً فقد أحدث فيك أمرا".[71] ومثلما حدث مع الإسماعيلية، فقد رفض قسم من شيعة الإمام الهادي الاعتراف بوفاة ابنه محمـد ، وأصـروا على القـول باسـتمرار حياتـه وغيبتـه ، وتفسـير إعلان الهادي لوفاة ابنه بأنه نوع من التقية والتغطية على الحقيقة.[72]

وتكـررت أيضـا قصـة وفـاة عبـد اللـه الافطح دون عقب ، مـع الإمام العسكري ، الذي توفي كذلك، دون أن يشير الى وجود ولد له أو يوصـي الى أي أحـد بالإمامـة ، ممـا أدى الى وقـوع الأزمـة الكـبرى والحـيرة العظمى في صـفوف الاماميـة ، وتفـرقهم الى أربعة عشر فرقة ، كل يقول برأي مختلف.

التطور الإثنا عشري

إذا القينا نظرة فاحصة على تاريخ الشـيعة في القـرنين الثـاني والثالث، ورأينا تعاطفهم وتجاوبهم مع الثورات المختلفة التي كان يقودها الأئمة من أهل البيت، كثورة الإمام زيد وابنـه يحـيى وابنـه عيسـى، وثـورة محمـد بن عبـد اللـه ذي النفس الزكيـة وأخيـه إبـراهيم ، وثـورة الحسـين شـهيد فخ ، وثـورة محمـد بن القاسـم وغيرهم .. وغيرهم ، لوجدنا أن عامة الشـيعة وجمـاهيرهم كـانت تلتف حول (أهل البيت) ولكن من دون تحديد الإمامة في سلسلة معينـة ، أو الإيمـان بـالنص من اللـه على واحـد منهم ، فضـلا عن

---

[71] - الكليني، الكافي، ج 1 ، ص 326 ـ 327 ، والصفار، بصائر الدرجات، ص 473 ، والمفيد، الإرشاد، ص 337 والطوسي، الغيبة، ص 122

[72] - النوبختي، فرق الشيعة، ص 94

تسلسلها في أبناء الحسن أو الحسين أو بشكل عمودي وراثي الى يوم القيامة ، ولوجدنا الشيعة بصورة عامة ، بعيدين عن نظرية "الإمامة الإلهية" التي كان يقول بها بعض المتكلمين سراً ويلصقونها بأهل البيت ، الذين كانوا يبرؤن منها في الحقيقة وفي الظاهر.

ولو القينا نظرة على تراث الامامية خلال ذينك القرنين الثاني والثالث لوجدنا النظرية الامامية مفتوحة وممتدة الى يوم القيامة ، وأنها لم تكن محصورة في عدد محدد من الأئمة أو فترة زمنية خاصة . ومع إنها وصلت الى طريق مسدود عند وفاة الإمام الحسن العسكري في سنة 260 للهجرة، دون أن يخلف ولداً تستمر الإمامة فيه ، ودون أن يشير أو يوصي الى أي أحد من بعده ، فقد اعتقد الذين آمنوا بوجود ولد مخفي له ، في البداية ، أن الإمامة ستسمر في ذرية ذلك الولد المخفي الى يوم القيامة، ولم يعتقدوا في ذلك الحين ، أنه الإمام الأخير ، وأن الأئمة اثنا عشر فقط.

وتوجد في التراث الشيعي العشرات بل المئات من الروايات التي تؤكد على استمرار الإمامة الى يوم القيامة ، مما يؤكد أن النظرية الامامية لم تكن محددة في عدد معين، خلال القرنين الثاني والثالث. وان من يلاحظ تلك الروايات المتواترة التي تتحدث عن امتداد الإمامة الى يوم القيامة يجد أنها: عامة، ومطلقة، ومقصودة العموم والإطلاق . أي إنها آبية عن التخصيص والتقييد. وهي تعبر عن النظرية الامامية الإلهية الموازية لنظرية الشورى، الممتدة الى يوم القيامة ، وذلك في مراحل نشوئها الأولى، وقبل أن تصل الى الطريق المسدود.

ونظراً لأن نظرية الإمامة كانت في بدو نشوئها ممتدة الى يوم القيامة ولم تكن محددة في عدد معين من قبل ، فقد كانت النظرية تقول بأن النص قد حدث على الإمام علي فقط ، وان النص على الأئمة الآخرين يتم دائما من قبل الأول للثاني وهكذا الى يوم القيامة.[73] ولم تكن تعرف وجود قائمة مسبقة بأسماء الأئمة (الإثني عشر).

وكانت النظرية الامامية، أيضا ، تعترف بعدم وجود النص الصريح من بعض الأئمة على بعض ، فكانت تتشبث بالوصية العادية وتعتبرها دليلا على الإمامة ، ولما لم تكن توجد أية وصية

---

[73] - الحر العاملي، إثبات الهداة، ج 2 ، ص 717

على بعض الأئمة الآخـرين من آبـائهم ، كالإمـام زين العابـدين، أو كــانت الوصــية مشــتركة بين عــدد من الاخــوة ، كأبنــاء الإمــام الكاظم، فقد كانت النظرية تقول: بأن دليل الإمامة الحاسـم، هي المعاجز وعلم الغيب ، أو الكبر ، أو العلم ، أو حيازة سيف رسول الله. بل إن روايات كثيرة تشير الى عدم معرفـة الأئمـة أنفسـهم بإمامتهم، أو إمامـة الإمـام اللاحـق من بعـدهم، إلا عنـد وفـاتهم . فضلا عن جهل الشيعة الامامية أنفسهم ، الذين كانوا يقعــون في حيرة واختلاف بعد وفاة كل إمام ، وكانوا يتوسلون بكـل إمـام أن يعين اللاحق بعده ويسميه بوضوح ، لكي لا يموتوا وهم لا يعرفون الإمـام الجديـد. ومـع ذلـك فكثـيرا مـا كـانوا يقعـون في الحـيرة والجهـل.[74] وهـو مـا يـدل على امتـداد نظريـة الإمامـة الى يـوم القيامة، في طورها الأول، وعدم اقتصارها على عدد محدود.[75]

ميلاد النظرية الإثني عشرية

ونظرا لوصول نظرية "الإمامة الإلهية" الى طريق مسدود بعد وفاة الإمام الحسن العسكري من دون ولد ظاهر، والقول بوجـود ولد له في السر وغيبته عن الأنظار، وعدم ظهوره لفـترة طويلـة جـدا .. شـهد القـرن الرابـع الهجـري تطـورا جديـدا في النظريـة الامامية هو حدوث الإثني عشرية ، وهي نظرية حدثت خاصـة في صفوف الشيعة الموسوية ، وبالأخص في الجنـاح المتشـدد الـذي كان يلتزم بقانون الوراثة العمودية، ولا يقبل أي تسامح فيه، وقـد قال ذلك الجناح بوجود قائمة مسبقة وتحديـد أسـماء الأئمـة من قبل الرسول الأعظم باثني عشر إماما، هم: علي بن أبي طالب ، والحسن والحسـين، وعلي بن الحسـين، ومحمـد البـاقر، وجعفـر الصادق، وموسى الكـاظم، وعلي الرضـا، ومحمـد الجـواد، وعلي الهـادي، والحسـن العسـكري، وآخـرهم الإمـام الغـائب المهـدي المنتظر:"محمد بن الحسن العسكري".

وكان الهـدف من وراء تشـكيل هـذه القائمـة المسـبقة، إثبـات وجود الإمام الثاني عشر، الذي كان وجوده محل شك ونقاش في صفوف الشيعة الامامية. وقد اسـتعانوا بأحـاديث "سـنية" ذكرهـا

---

[74] - راجـع: بصـائر الـدرجات، ص 473 ، والكـافي، ج 1 ، ص 277 و309 والإرشاد للمفيد وقرب الإسناد وتفسير العياشي.

[75] - الحر العاملي، إثبات الهداة، ج 2 ، ص 714 – 715 والصفار، بصائر الدرجات، ص 489

البخاري ومسلم حول حدوث هرج ومـرج بعـد الخليفـة، أو الأمـير الثاني عشر.

ولكي ينسجم عدد الأئمة السابقين مع هذه الروايات فقـد لجـأ الإثنا عشريون الى حذف اسم الإمام زيد والإمام عبد الله الأفطح والإمام احمد بن موسى، الـذين قـال بإمـامتهم كثـير من الشـيعة الامامية في السابق ، كما رفضوا الاعتراف بإمامة جعفر بن علي الهـادي ، وأضـافوا اسـم (الإمـام محمـد بن الحسـن العسـكري) ونظموا قائمة جديدة بأسماء تسعة من أولاد الحسين واحـدا بعـد واحد ، وقالوا بـأن هـؤلاء الأئمـة قـد نصَّ عليهم الرسـول وأعلن أسماءهم من قبـل، وجـاءوا على ذلـك بعشـرات الأحـاديث الـتي نسبوها الى رسول الله (ص) والأئمة السابقين.

وقد أورد الكليني ، في مطلع القرن الرابع الهجري ، في كتابـه (الكافي) سبع عشرة رواية تتحـدث عن "الاثـني عشـرية" بينمـا ذكر الشيخ الصدوق ، بعد ذلك بنصف قرن ، خمساً وثلاثين رواية حول الموضوع (في كتابـه إكمـال الـدين) ، وأكملهـا الخـزاز، في كتابه (كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثـني عشـر) الى مـائتي رواية، في نهاية القرن الرابع.

ولكن النظريــة الاثـني عشـرية لم تسـتقر في أذهـان الشـيعة الامامية بسهولة، إذ انتشرت بعض الأحاديث التي تقـول: إن عـدد الأئمـة ثلاثـة عشـر. (كمـا ورد في كتـاب سـليم بن قيس الهلالي والكافي للكليـني) وقـد قـامت على أثرهـا فرقـة تسـمى "الثلاث عشرية" بقيادة (أحمد بن هبة الله الكاتب، حفيد عثمان بن سعيد العمري). وقد قال الصدوق بصـراحة: "إننـا لسـنا مسـتعبدين في ذلك إلا بالإقرار باثني عشر إماما ، واعتقاد كون ما يـذكره الثـاني عشر بعده". وروى عدة روايات حول احتمال امتداد الإمامــة بعـد المهدي وعدم الاقتصار عليـه، فـروي عن الإمـام أمـير المؤمـنين رواية حول غموض الأمر بعد القائم، وأن رسول الله قد عهد اليـه أن لا يخـبر أحـدا بـذلك إلا الحسـن والحسـين ، وأنـه قـال : " لا تسألوني عما يكون بعد هذا فقـد عهـد الي حبيـبي أن لا أخـبر بـه غير عترتي". [76]

---

[76] - الصدوق، إكمال الدين، ص 77 - 78

الجزء الثاني

"الإمام المهدي محمد بن الحسن العسكري"

حقيقة تاريخية ؟.. أم فرضية فلسفية ؟

المدخل:

عصـــر الحيـــــــــرة!

وفاة الإمام العسكري

أدت وفاة الإمـام الحسـن العسـكري، في سـامراء سـنة 260 للهجرة، دون إعلانه عن وجود خلف له، والوصية بتركتـه الى أمـه المسماة بـ:" حديث" الى تفجر أزمة عنيفة في صـفوف الشـيعة الاماميـة الموسـوية ، الـذين كـانوا يعتقـدون بضـرورة اسـتمرار الإمامة الإلهية الى يوم القيامة. وحدوث نوع من الشك والحـيرة والغموض والتساؤل عن مصير الإمامة بعد العسكري ، وتفــرقهم في الإجابة عن ذلك الى أربع عشرة فرقـة. كمـا يقـول النوبخـتي في (فـرق الشـيعة)، وسـعد بن عبـد اللــه الأشـعري القمي في (المقالات والفرق)، ومحمد بن أبي زينب النعمـاني في (الغيبـة)، والصدوق في (إكمال الدين)، والمفيـد في (الإرشـاد) والطوسـي في (الغيبة) ، وغيرهم .. وغيرهم..

ويقول المؤرخون الشيعة: إن جعفر بن علي الهادي، أخا الحسن العسكري، حاول أن يحوز كل تركة الإمام، ولما اتصل خبر وفاة الحسن بأمه وهي في المدينة، خرجت حتى قدمت (سرّ من رأى) وادعت الوصية عنه، وثبت ذلك عند القاضي.[77]
ويذكر المؤرخون الشيعة أيضا: أن جارية للإمام العسكري، تسمى صقيل ، ادعت أنها حامل منه، فتوقفت قسمة الميراث. وحمل الخليفة العباسي المعتمد الجارية صقيل الى داره، وأوعز الى نسائه، وخدمه ونساء الواثق ونساء القاضي ابن أبى الشوارب بتعهد أمرها والتأكد من حملها واستبرائها .. ولم يزل الذين وكلوا بحفظ الجارية ملازمين لها حتى تبين لهم بطلان الحمل فقسم ميراث الحسن بين أمه وأخيه جعفر .[78]

ادعاء جعفر بن علي بالإمامة

ولما كانت الإمامة تثبت عادة بالوصية من الإمام السابق للّاحق، فقد استغل أخو الإمام العسكري (جعفر بن علي الهادي) الذي كان ينافس أخاه على الإمامة في حياته ، استغل الفراغ الظاهري بعدم وجود ولد لأخيه ، وعدم وصيته أو إشارته الى أحد، فادعى الإمامة لنفسه بعد أخيه ، وقال للشيعة:" مضى أبو محمد أخي ولم يخلف أحدا لا ذكراً ولا أنثى ، وأنا وصيه" و كتب الى بعض الموالين في قم - التي كانت مركزا للشيعة يوم ذاك - يدعوهم فيها الى نفسه ويعلمهم أنه القيّم بعد أخيه، ويدعي أن عنده من علم الحلال والحرام ما يحتاج إليه غيره وغير ذلك من العلوم كلها.[79]
وينقل الصدوق حديثا عن (أبي الأديان البصري) الذي يصفه بأنه خادم الإمام العسكري ورسوله الى الشيعة في مختلف الأمصار، أن عامة الشيعة عزّوا جعفر وهنئوه، وكان من ضمنهم "النائب الأول" عثمان بن سعيد العمري. [80]
ويذكر النوبختي والأشعري القمي والمفيد، أن بعض شيعة

---

[77] - الطوسي : الغيبة، ص 132 . والصدوق: إكمال الدين ج1ص44 . والمفيد: الإرشاد ، ص 341 و النجاشي: الرجال . ترجمة احمد بن عامر بن سليمان أبى الجعد . والطبري:دلائل الإمامة ، ص 224 ، والصدر: الغيبة الصغرى، ص 315 ، والصدوق : إكمال الدين، ص 44

[78] - الصدوق: إكمال الدين44 , والطبري : دلائل الإمامة 224

[79] - الطبرسي : الاحتجاج ج2 ص279 ، و الصدر: الغيبة الصغرى، ص 307 والصدوق: إكمال الدين ، ص 475 ، و الخصيبي : الهداية الكبرى، ص 391

[80] - الصدوق، إكمال الدين، ص 475

الإمام العسكري ، وخاصة الفطحيـة ، اعـترفوا بالظـاهر وسـلموا بعدم وجود ولد للعسكري ، وآمنوا بإمامـة أخيـه جعفـر . وقـالوا : إن الحسـن بن علي تـوفي ولا عقب لـه والإمـام بعـده جعفـر بن علي أخوه ، وذهبـوا في ذلـك الى بعض مـذاهب الفطحيـة الـذين جمعوا بين إمامة عبد الله وموسى ابـني جعفـر الصـادق، والـذين لم يكونوا يشترطون الوراثة العموديـة دائمـا في الإمامـة. وكـان رئيسـهم والـداعي لهم الى ذلـك رجـل من أهـل الكوفـة من المتكلمين يقال له (علي بن الطاحي الخزاز) وعلماء بني فضـال، وأخت الفارس بن حاتم بن ماهويه القزويني .[81]

وكـاد أهـل قم أن يسـتجيبوا لجعفـر، لأنهم لم يكونـوا يعرفـون غـيره، وقـد اجتمعـوا الى شـيخهم احمـد بن إسـحاق، وكتبـوا الى جعفر كتابـاً، جوابـاً عن كتابـه، وطلبـوا منـه أن يجيبهم على عـدة مسـائل؛ قـالوا: إن" أسـلافنا سـألوا عنهـا آبـاءك ، فأجـابوا عنهـا بأجوبة، وهي عندنا نقتدي بها ونعمل عليها، فاجبنا عنهـا بمثـل مـا أجـاب آبـاؤك المتقـادمون، حـتى نحمـل إليـك الحقـوق الـتي كنـا نحملها إليهم". وأرسلوا وفدا منهم الى جعفر لمحاورتـه، فأوصـل الكتاب إليه وسأله في البداية عن كيفية انتقـال الإمامـة إليـه مـع وجود خبر يقول بعدم جواز انتقال الإمامة الى أخوين بعد الحسن والحسين؟ فاعتذر جعفر بحدوث البداء من الله، لعدم وجـود ولـد لأخيه الحسن. [82]

ويقول الخصيبي (وهو أحد أركان الامامية في تلك الفترة): "إن الوفد أقام عليه مدة يسال عن جـواب المسـائل فلم يجب عنهـا، ولا عن الكتاب بشـيء منـه أبـدا".[83] ولكن الصـدوق والطوسـي، ومحمد الصـدر لا يتحـدثون عن هـذه المشـكلة البسـيطة الـتي لا تصـعب على من يـدعي الإمامـة مثـل جعفـر، وإنمـا يقولـون:"إن الوفد سأل جعفر عن الغيب، وطالبوه بإخبارهم عن كمية الأموال الـتي يحملونهـا من قم وعن أصـحابها، وقـالوا: إن الحسـن كـان يخبرهم بذلك ، فرفض جعفر التحدث بالغيب واستنكر نسـبته الى أخيه".[84]

ويقول الخصيبي : إن جماعـة من أهـل قم، هم: (أبـو الحسـين

---

[81] - النوبختي:فرق الشيعة، ص 98 و99 ، و الاشعري:المقالات والفرق، ص 110 ، و المفيد:الفصول المختارة من العيون والمحاسن، ص 259

[82] - الخصيبي:الهداية الكبرى 383 -391

[83] - المصدر نفسه

[84] - الصدوق: إكمـال الـدين 476 والطوسـي : الغيبـة ...والصـدر : الغيبـة الصغرى 316

بن ثوابة وأبو عبد الله الجمال وأبو علي الصائغ والقزويني) كانوا يأخذون الأموال باسم جعفر ويأكلونها ولا يوصلونها إليه ويتهمونـه بالكـذب، ممـا يشـير الى أن قسـما من شـيعة قم آمنـوا بإمامـة جعفر ، بالفعل، وأخذوا يرسلون إليه الأموال.[85]

القائلون بانقطاع الإمامة

وكما يقـول النوبخـتي والأشـعري القمي، والكليـني، والمفيـد والصدوق، والطوسي، والحر العاملي، فان قسماً آخر من الشيعة الاماميـة ذهب الى القـول بـالتوقف وانقطـاع الإمامـة، والقـول بالفترة كالفترة بين الرسل ، وانهم اعتلوا في ذلك ببعض الأخبـار عن الإمامين الباقر والصادق، حول إمكانية ارتفاع الأئمة وانقطاع الإمامة ، خاصة إذا غضب الله على خلقه، وقـالوا: إن هـذا عنـدنا ذلك الوقت.[86]

التراجع عن إمامة العسكري

ويقول المؤرخان الشيعيان المعاصران لتلك الفترة (النوبخـتي، والأشعري القمي): إن وفاة الإمام العسكري عن دون ولد ظاهر، أدت الى تراجع بعض الشيعة عن القول بإمامة العسكري نفسه ، كما تراجع بعض الشـيعة الموسـوية، قبـل مائـة عـام، عن القـول بإمامة عبد الله الأفطح الذي أصبح إماما بعد أبيه الصادق، ولكنه لم ينجب ولـدا تسـتمر الإمامـة فيـه ، وقـال هـؤلاء:" إن القـول بإمامة الحسن كـان غلطـا وخطـأ ، وجب علينـا الرجـوع عنـه الى إمامة جعفر ، وان الحسن قد توفي ولا عقب له، فقد صـح عنـدنا انه ادعى باطلا، لأن الإمام بإجماعنا جميعا لا يمـوت إلا عن خلـف ظاهر معروف يوصي إليـه ويقيمـه مقامـه بالإمامـة ، والإمامـة لا ترجع في أخـوين بعـد حسـن وحسـين ..فالإمـام لا محالـة جعفـر بوصية أبيه إليه ".[87]

وكان السبب في تراجع هؤلاء عن القول بإمامة العسكري، هـو

---

[85] - الخصيبي، الهداية الكبرى، ص 392

[86] - الكليني : الكافي ج1ص343 ، والحر العاملي : إثبـات الهـداة ج3 ص 477 , والطوسي : الغيبة ص244 . الصدوق : إكمال الـدين ، ص 230 ، و النوبختي:فرق الشيعة، ص 105 ، و الاشعري:المقالات، ص 115 ، و المفيد:الفصول، ص260

[87] - الاشعري : المقالات والفرق ، ص 11 ، والنوبختي : فرق الشيعة، ص 114

إيمانهم بقانون الوراثة العمودية، وعدم جواز انتقـال الإمامـة الى أخ أو ابن أخ، أو عمّ أو ابن عمّ.

المحمدية والنفيسية

وذهب قسم من هؤلاء المتراجعين عن القول بإمامـة الحسـن، الى القول بإمامة أخيـه محمـد، الـذي كـان قـد تـوفي قبـل سـبع سنوات، في حياة أبيه الهادي، فأنكروا وفاة محمد وقالوا :إن أباه قد أشار إليه ونصّبه إماما ونص على اسمه وعينه ، وهذا ما يتفـق عليه الجميع، ولا يجوز أن يشير الإمام بالوصية والإمامـة الى غـير إمـام ...إذاً فإنـه لم يمت ، بـل إن أبـاه قـد أخفـاه (تقيـة) ، كمـا أخفى الإمام الصادق ابنه إسـماعيل ، حسـب قـول الإسـماعيلية، وانه هو المهدي المنتظر. وعرفت هذه الفرقة بـ:(المحمدية).[88]
وقال قسم من هذه الفرقة : إن محمد ابن علي قد توفي ، وانه أوصـى الى غلامٍ لأبيـه اسـمه "نفيس" ، وكـان ثقـة أمينـا عنـده ، ودفــع إليــه الكتب والعلــوم والســلاح ومــا تحتــاج إليــه الأمــة ، وأوصاه :إذا حدث به حدث المـوت أن يـؤدي ذلـك كلـه الى أخيـه جعفر.[89]

وكـانت هـذه الفرقـة تتخـذ موقفـا عنيفـاً من الإمـام الحسـن العسكري وتكفره ، كما تكفر من يقول بإمامته ، وتغلو في جعفر ، وتدعي انه القائم. وقد عرفت هـذه الفرقـة المتطرفـة باسـم : (النفيسية).[90]

القائلون بمهدوية العسكري

وقـد ذهب قسـم آخـر من الشـيعة الى إنكـار وفـاة الإمـام العسكري ، والقول بمهدويته وغيبته . وذلك بناء على عـدم جـواز وفـاة الإمـام دون ولـد معـروف ظـاهر " لأن الأرض لا تخلـو من إمام" إمام واعتبروا اختفاء الإمام نوعاً من الغيبة عنهم . [91]
ومنهم من اعترف بمـوت العسـكري ، ولكنـه قـال بعودتـه الى الحياة مرة أخرى .. وذلك استنادا الى حديث حول معنى (القائم)

---

[88] - النوبختي:فرق الشيعة، ص 101
[89] - النوبختي:فرق الشيعة 107 - 108 و المفيد:الفصول 260
[90] - المصادر
[91] - النوبختـي: فـرق الشـيعة، ص 98 والاشـعري:المقـالات والفـرق، ص 106

:" أنه يقوم من بعد الموت ، ويقوم ولا ولد له" ، ولو كان له ولد لصح موته ولا رجوع ، لأن الإمامة كانت تثبت لخلفه ، ولا أوصى الى أحد .. فلا شك انه القائم ، وانه حي بعد الموت . وقالوا: انه قد عاش بعد الموت !.. وقد رووا : " أن القائم إذا بلغ الناس خبر قيامه قالوا : كيف يكون فلان إماما وقد بليت عظامه؟" فهو اليوم حي مستتر لا يظهر، وسيظهر ويقوم بأمر الناس ويملأ الأرض عدلا كما ملئت جوراً". [92]

ومنهم من قال: إن العسكري سيعود الى الحياة في المستقبل ..وإنما سمي القائم لأنه يقوم بعد ما يموت .
وقد اختلق هؤلاء، أو استوردوا أحاديث بهذا المضمون من بعض الحركات الشيعية الواقفية السابقة.[93]
ويقول الصدوق: إن هؤلاء سُمُّوا بـ :(الواقفية على الحسن) ، وقد ادعوا: أن الغيبة وقعت به، لصحة أمر الغيبة عندهم، وجهلهم بموضعها. [94]

الحيارى

وقد دفعت أزمة وفاة الإمام العسكري دون ولد ظاهر، بكثير من الشيعة الامامية، الذين كانوا يعتقدون بضرورة استمرار الإمامة الى يوم القيامة.. دفعتهم الى البحث والتمحيص والتفتيش عن ولد يحتمل أن يكون الإمام الحسن العسكري قد أخفاه لسبب من الأسباب ، كالخوف عليه من الأعداء مثلا، وأحجم بعضهم عن القول بأي شيء ، انتظارا لجلاء الأزمة، فلم يقولوا بإمامة جعفر ولم يقولوا بانقطاع الإمامة، ولم يقولوا بمهدوية الحسن العسكري، بل قالوا:" لا ندري ما نقول في ذلك ..وقد اشتبه علينا الأمر، فلسنا نعلم أن للحسن بن علي ولداً أم لا؟.. أم الإمامة صحت لجعفر أم لمحمد؟..وقد كثر الاختلاف ، إلا أنا نقول:إن الحسن بن علي كان إماما مفترض الطاعة، ثابت الإمامة، وقد توفي وصحت وفاته ، والأرض لا تخلو من حجة. فنحن نتوقف ولا نقدم على القول بإمامة أحد بعده ، إذ لم يصح عندنا أن له خلفا، وخفي علينا أمره ، حتى يصح لنا الأمر ويتبين ، ونتمسك بالأول حتى يتبين لنا الآخر ، كما امرنا : (انه إذا هلك

---

92 - الاشعري:المقالات، ص 107 و النوبختي : فرق الشيعة، ص 96 - 98
93 - النوبختي:فرق الشيعة، ص 96 - 98 ، و الاشعري : المقالات والفرق، ص 108
94 - الصدوق: إكمال الدين، ص 40

الإمام ولم يعرف الـذي بعـده فتمسـكوا بـالأول حـتى يتـبين لكم الآخر) فنحن نأخذ بهذا ونلزمه، فانه لا خلاف بين الشـيعة: أنـه لا تثبت إمامة إمام إلا بوصية أبيه إليه وصية ظاهرة".[95]

الجنينيون

وفي غمـــرة أجـــواء الشـــك والحـــيرة والخلاف والبحث عن الحقيقة هذه ، اعتمد بعض الشيعة الامامية على دعـوى الجاريـة (صقيل) أو (نرجس) بالحمـل من الحسـن ، عنـد وفاتـه ، وقـالوا بولادة ابن له ولد بعد وفاته بثمانية اشهر ، وانه مستتر ، لا يعرف اسمه ولا مكانه ، واستندوا الى حـديث رووه عن الإمـام الرضـا ، يقول فيه : "إنكم ستبتلون بالجنين في بطن أمه والرضيع ". [96]

وذهب قسم من هؤلاء الذين قالوا بوجـود الحمـل بعـد الوفـاة ، الى ادعاء استمرار الحمـل في بطن أمـه الى أمـد غـير منظـور ، بصورة اعجازية ، وقالوا بحتمية ولادة الجاريـة لولـد ذكـر تسـتمر الإمامة فيه وفي ذريته الى يـوم القيامـة . واحتجـوا بـالخبر الـذي روي عن الإمـام الصـادق: (إن القـائم يخفى على النـاس حملـه وولادته). [97]
وبقدر ما كان احتمال الـولادة بعـد الوفـاة أمـراً وارداً وممكنـاً، فان دعوى استمرار الحمل في البطن الى مـا يشـاء اللـه، كـانت غـير معقولـة، ومرفوضـة جـداً، خاصـة وأن الجاريـة صـقيل (أو نـرجس) اختفت في زحمـة الأحـاديث، أو تـوفيت فيمـا بعـد، ولم يستطع أحد أن يشاهدها وينظر الى نتيجة حملها بعد ذلك. إلا انـه لم يكن بعيداً ، في تلك الأزمـة وأجـواء الغلـو البعيـدة عن العقـل والعـرف ، أن يقـول أي فريـق بمـا يشـاء من أقـوال وفرضـيات وأوهام.

القائلون بوجود الولد المسبق

وبالرغم من عدم توصل كثير من الشيعة الذين بحثـوا عن ولـد للعسـكري، الى أيـة نتيجـة، وفيمـا كـانت الحـيرة تعصـف بعامـة

[95] - النوبختي:فرق الشيعة، ص 108 ، والاشعري: المقالات، ص 115 ، والمفيد:الفصول، ص 260
[96] - النوبختي: فرق الشيعة، ص 103 ، والاشعري: المقالات، ص 114 ، والمفيد:الفصول، ص 260
[97] - النوبختي:فرق الشـيعة، ص 104 ، والاشـعري:المقـالات، ص 115 ، والمفيد:الفصول، ص 260

الشيعة الامامية، وكان الغموض يلف موضوع الخلف، والاختلاف يمزق الناس يمينا وشمالا، كان بعض أصحاب الإمام العسكري يهمسون في آذان الشيعة، بتكتم شديد، ويدعون وجود ولد له في السرّ، ولد قبل وفاة أبيه بسنتين أو ثلاث، أو خمس أو ستّ، أو ثماني سنين، ويزعمون أنهم قد رأوه في حياة العسكري، وأنهم على اتصال به، ويطلبون من عامة الشيعة التوقف عن البحث والتفتيش عنه، أو السؤال عن اسمه، ويحرمون ذلك. وكانوا يفسرون ادعاء الجارية صقيل بوجود الحمل عند وفاة العسكري، بأنها محاولة منها للتغطية على وجود الولد في السرّ.

وكان منهم : عثمان بن سعيد العمري، وكيل الإمام العسكري المالي، ومحمد بن نصير النميري ، وأبو القاسم الجعفري ، واحمد بن هلال العبرتائي الكرخي ، واحمد بن إسحاق القمي . وآخرون..وقد عرف هؤلاء الذين قالوا بوجود ولد مغمور للإمام العسكري، بعد حوالي مائة عام، بـ:(الاثناعشرية) .[98]

عصر الحيرة

وقد كان القول بوجود ولد للإمام العسكري، قولاً سرياً باطنياً، قال به بعض أصحاب الإمام العسكري، بعد وفاته. ولم يكن الأمر واضحاً وبديهيا ، أو مجمَعاً عليه بين الشيعة في ذلك الوقت، حيث كان جوٌ من الحيرة والغموض يلف مسألة الخلف، ويعصف بالشيعة بشدة. وقد كتب عدد من العلماء المعاصرين لتلك الفترة كتباً تناقش موضوع الحيرة وسبل الخروج منها، منهم الشيخ علي بن بابويه الصدوق، الذي ألّف كتاباً أسماه: (الإمامة والتبصرة من الحيرة).

وقد امتدت تلك الحيرة الى منتصف القرن الرابع الهجري، حيث أشار الشيخ محمد بن علي الصدوق، في مقدمة كتابه: (إكمال الدين وإتمام النعمة) الى حالة الحيرة تلك، التي عصفت بالشيعة وقال:" وجدت أكثر المختلفين إليّ من الشيعة قد حيّرتهم الغيبة، ودخلت عليهم في أمر القائم الشبهة" " وقد كلمني رجل بمدينة السلام (بغداد) فقال لي: إن الغيبة قد طالت، والحيرة قد اشتدت ، وقد رجع كثير عن القول بالإمامة لطول

---

[98] - الصدوق:إكمال الدين، ص483، والطوسي:الغيبة، ص 186، والنوبختي:فرق الشيعة، ص 102 ، والاشعري:المقالات، ص 114، والمفيد:الفصول، ص 260

الأمد".[99] وذكر الكليني والنعماني والصـدوق مجموعـة كبـيرة من الروايات التي تؤكد وقوع الحيرة بعد غيبة صاحب الأمر، واختلاف الشيعة ، وتشتتهم في ذلك العصر، واتهام بعضـهم بعضـا بالكـذب والكفر، والتفل في وجوههم ، ولعنهم، وانكفاء الشـيعة كمـا تُكفـأ السفينة في أمواج البحر، وتكسرهم كتكسر الزجاج أو الفخار.[100]

وقال محمد بن أبي زينب النعمـاني، يصـف حالـة الحـيرة الـتي عمّت الشـيعة في ذلـك الـوقت:" إن الجمهـور منهم يقـول في الخلف: أين هـو؟ وأنى يكـون هـذا؟ والى مـتى يغيب؟وكم يعيش هذا، ولـه الآن نيّـف وثمـانون سـنة؟.. فمنهم من يـذهب الى أنـه ميت، ومنهم من ينكر ولادتـه ويجحـد وجـوده بواحـدة، ويسـتهزئ بالمصدق به، ومنهم من يستبعد المدة ويسـتطيل الأمـد". ويقـول النعماني:" أي حيرة أعظم من هذه التي أخـرجت من هـذا الأمـر الخلـق العظيم والجمّ الغفـير؟ ولم يبـق ممن كـان فيـه إلا الـنزر اليسير، وذلك لشك الناس". [101]

وهذا مما يـدل على أن قضـية وجـود ابن للإمـام العسـكري لم تكن قضية مجمعـاً عليهـا بين صـفوف الشـيعة الاماميـة في ذلـك العصر، أو ان الشـيعة الـذين احتملـوا وجـوده بـدءوا يتخلـون عن إيمانهم هذا، بعد مضـي سـبعين عامـاً على وفـاة العسـكري، وان دعـاوى الإجمـاع والتـواتر والاستفاضـة الـتي يـدعيها البعض على أحـاديث وجـود وولادة ومهدويـة الإمـام الثـاني عشـر (محمـد بن الحسن العسكري) لم يكن لها رصيد من الواقع في ذلك الزمان.

ومن هنا لا بـد أن نضـع علامـة اسـتفهام على دعـاوى الإجمـاع والتواتر المتأخرة، والمناقضة تمامـاً لحقـائق التـاريخ، خاصـة وأن دعوى الإجماع والتواتر ، لا تمنع من المراجعة والنقـد والتمحيص. بالإضافة الى أن الإجماع لا يشـكل لـدى الشـيعة الاماميـة الإثـني عشرية حجـة بديلـة عن الأدلـة العلميـة... وحسـبما يقـول علمـاء الأصـول: فـإن الإجمـاع يمكن أن يؤخـذ بـه، في غيـاب الـدليل الشـرعي، فـإذا علمنـا اسـتناد دعـوى معينـة على أدلـة نقليـة أو عقلية، فعلينا مراجعة تلك الأدلة ، وعدم التشـبث بالإجمـاع. ومن المعروف أن دعوى ولادة الإمام الثاني عشر (محمـد بن الحسـن

---

99 - الصدوق:إكمال الدين، ص 2 و 16

100 - الكليني، الكافي، ج1 ص 366، 338، 340، والنعماني، الغيبة، ص 89، 206، 208، والصدوق، عيون أخبار الرضا، ص 168 ، وإكمال الدين، ص 408

101 - النعماني، الغيبة، ص 113، و 186

العسـكري) تـأتي بأدلـة عقليـة ونقليـة وتاريخيـة، فلا بـد إذاً من مراجعتها والتحقق منها بأنفسنا، وعـدم الانسـياق وراء المتكلمين الامامية، أو النفر الذين ادعـوا وجـود ولـد للإمـام العسـكري في السر، وعدم التسليم بدعاواهم وفرضياتهم واجتهاداتهم.

الفصل الأول

أدلة وجود الإمام المهدي (محمد بن الحسن العسكري)

المبحث الأول:

الاستدلال الفلسفي

المطلب الأول : العقل أولاً ..

تقدم الفرقة (الإثناعشرية) الـتي قـالت بوجـود ولـد مسـتور للإمام الحسـن العسـكري ، واسـتمرار حياتـه إلى اليـوم والى إن يظهر في المستقبل .. تقدم عـدة أدلـة على ذلـك ، وهي تنقسـم إلى أنواع عديدة، ويأتي على رأسها الدليل الأول : الفلسـفي ، أو العقلي ، فماذا يقول هذا الدليل؟ وعلى ماذا يرتكز؟

إنه يقول :

أولاً : بضرورة وجود الإمـام (أي الـرئيس) في الأرض، وعـدم جواز بقاء البلاد فوضى بلا حكومة.

ثانيـاً: ضـرورة عصـمة الإمـام من اللـه ، وعـدم جـواز حكومـة الفقهاء العدول ، أو الحكام العاديين .

ثالثـاً: وجـوب حصـر الإمامـة في أهـل الـبيت وفي أبنـاء علي والحسين إلى يوم القيامة .

رابعاً : الإيمان بوفاة الإمام الحسـن العسـكري ، وعـدم القـول بغيبته و مهدويته .

خامساً: الالتزام بقانون الوراثة العموديـة، وعـدم جـواز انتقـال الإمامة إلى أخوين بعد الحسن والحسين.

قدَّم المتكلمون الذين نظّروا لوجود (الإمام محمد بن الحسن العسكري) قديما وحديثا ، دليل العقل كأهم الأدلة على وجوده ، وأولَوه أهمية كبرى في عمليات الاستدلال . وقد نقل الشيخ الصدوق (توفي 381هـ) قول المتكلم الشيعي المعاصر لتلك الفترة: (أبى سهل إسماعيل بن علي النوبختي) الذي استدل على "وجود" ابن الحسن ، بالعقل ، وذكر في كتابه (التنبيه) ، الذي ألفه بعد ثلاثين عاما من (الغيبة) :" إن الشيعة قد علموا بوجود ابن الحسن بالاستدلال ، كما عرفوا الله والنبي وأمور الدين كلها بالاستدلال" .[102]

واعتبر الشيخ المفيد (338هـ - 413 هـ) :" الدليل العقلي الذي يقتضي وجود الإمام المعصوم في كل زمان ... دليلاً كافياً على وجود ابن الحسن وحصر الإمامة فيه" ، و قال:" إن هذا أصل لن يحتاج معه إلى رواية النصوص لقيامه بنفسه في قضية العقول، وصحته بثابت الاستدلال" .[103]

واستخدم الشيخ الكراجكي (- 427 هـ) الدليل العقلي ، القائم على ضرورة الإمامة وضرورة العصمة في الإمام ، في عملية الاستدلال على وجود ولد للإمام الحسن العسكري، وثبوت الإمامة فيه وصحة غيبته ، وذلك "لانحصار (العصمة) فيه مع عدم عصمة أدعياء الإمامة الآخرين" .[104]

وقال السيد المرتضى علم الهدى (355 هـ - 436 هـ):" إن العقل يقتضي بوجوب الرياسة في كل زمان ، وان الرئيس لا بد من كونه معصوما.. وإذا ثبت هذان الأصلان فلا بد من القول : انه (صاحب الزمان) بعينه ، لأن الصفة التي اقتضاها ودلّ على وجوبها لا توجد إلا فيه ، وتساق الغيبة بهذا سوقا ضروريا لا يقرب منه شبهة.. ولأنه إذا بطلت إمامة من أثبتت له الإمامة بالاختيار، لفقد الصفة التي دلّ العقل عليها ، وبطل قول من خالف من شذاذ الشيعة ، فلا مندوحة عن مذهبنا ، فلا بد من صحته ، وإلا خرج الحق عن الأمة" .[105]

---

102 - الصدوق، إكمال الدين، ص 92

103 - المفيد، الإرشاد، ص 347

104 - الكراجكي، كنز الفوائد، ص 345

105 - المرتضى، رسالة في الغيبة، ص 2 - 3

ونفى السيد المرتضى الحاجة إلى مشاهدة الإمام للإيمان بـه ، بعد إمكانية التعرف عليه بالاستدلال العقلي ، و ردَّ على القاضـي المعـتزلي عبـد الجبـار الهمـداني الـذي نفى في كتابـه (المغـني) وجـود الإمـام الثـاني عشـر وقـال : " إن قـول الشـيعة بالعصـمة أداهم إلى إثبـات أشـخاص لا اصـل لهم ، وانهم اثبتـوا في هـذا الزمان إماما مختصا بنسب واسم من غير إن يعـرف منـه عين أو اثر" فقـال المرتضـى في (الشـافي):" إن قولـه هـذا مبـني على مجرد دعوى ومحض اقتراح ، وقد دللنـا على وجـوب الإمامـة في كل زمان ، بما لا حيلة فيه ولا قدرة على دفعه" .[106]

وقال الشيخ الطوسي (385هـ - 460 هـ) :" إن كل من قطع على وجـوب اعتبـار الـدليل العقلي قطـع على وجـود (صـاحب الزمان) وإمامته.[107] وقال :" إن الإمام اليوم هو : الخلـف الحجـة القائم المنتظر المهدي محمد بن الحسـن صـاحب الزمـان... وان المهدي حي موجود من زمان أبيه الحسـن العسـكري إلى زماننـا هذا، بدليل: إن كـل زمـان لا بـد فيـه من إمـام معصـوم ، مـع إن الإمامة لطف واللطف واجب على الله تعالى في كل وقت" .[108]

وقسم الشيخ الطوسي الأدلة على ولادة (صاحب الزمـان) إلى قسمين عقلية ونقليـة ، وركـز على أهميـة القسـم الأول بصـورة مستقلة ، فقـال:" أمـا الكلام في ولادة صـاحب الزمـان وصـحتها فأشياء اعتباريـة وأشـياء إخباريـة ، فأمـا الاعتباريـة فهـو: إذا ثبت إمامتـه بمـا دللنـا عليـه من الأقسـام وإفسـاد كـل قسـم منهـا إلا القول بإمامته ، علمنا بذلك صـحة ولادتـه ، وان لم يـرد فيـه خـبر أصلاً ".[109]

وبعد إن اسـتعرض دليـل العصـمة، وان الإمـام لا بـد إن يكـون معصـوما وان الحـق لا يخـرج من الأمـة، قـال:" إذا ثبتت هـذه الأصـول ثبتت إمامـة صـاحب الزمـان ، لأن كـل من يقطـع على ثبوت العصمة للإمام قطع على انه الإمام" .[110]

---

106 - المرتضى، الشافي، ج 1، ص 79 - 80

107 - الطوسي، تلخيص الشافي، ص 211

108 - الطوسي، مسائل كلامية / المسائل العشر، ص 99

109 - الطوسي ، الغيبة، ص 138

110 - المصدر ، ص 15

وقد تصدى الشيخ الطوسي لإبطال صحة ادعاءات الفرق الشيعية المختلفة من الكيسانية والناووسية والفطحية والواقفية وغيرها من الفرق التي ادعت العصمة لأئمتها ، واستنتج من ذلك: "ضرورة صحة إمامة ابن الحسن ، وصحة غيبته" ، ونفى - مع ثبوت ذلك – "الحاجة إلى تكلف الكلام في إثبات ولادته وسبب غيبته ، لأن الحق لا يجوز خروجه عن الأمة" . [111]

واستدل الفتال النيسابوري على وجود (صاحب الزمان) وإمامته بـ :" ما يقتضيه العقل من الاستدلال الصحيح من استحالة خلو الزمان من كون معصوم يكون لطفا للمكلفين" . [112]

وهكذا اعتبر الحسن بن أبى الحسن الديلمي :" انحصار العصمة في أئمة أهل البيت ، دليلا على وجود الإمام الثاني عشر (الحجة بن الحسن)" . [113]

واحتج عبد الله بن النصر ابن الخشاب البغدادي ، لإثبات " وجود وإمامة القائم بالحق ابن الحسن، بما يقتضيه العقل بالاستدلال الصحيح من : وجود أمام معصوم .. ووجوب النص على من هذه سبيله أو ظهور المعجز عليه.. وعدم هذه الصفات من كل أحد سوى من اثبت إمامته أصحاب الحسن بن علي وهو ابنه المهدي" وقال:" إن هذا اصل لا يحتاج معه في الإمامة إلى رواية النصوص وتعداد ما جاء فيها من الأخبار ، لقيامه بنفسه في قضية العقول وصحته بثبات الاستدلال" . [114]

و جاء بعد ذلك العلامة الحلي الحسن بن يوسف المطهر ، ليستدل على وجود (ابن الحسن) بالدليل العقلي الذي يتألف من :" وجوب الإمامة، ووجوب كون الإمام معصوما ، ووجوب النص عليه أو ظهور المعجز على يديه". ثم اثبت إمامة علي وأولاده بالنص "المتواتر" من النبي (ص) وقال: " إن الإمام الثاني عشر حي موجود من حين ولادته وهي سنة 256 هـ إلى آخر زمان

---

[111] - المصدر نفسه، ص 3 - 4

[112] - النيسابوري ، روضة الواعظين، ص 224

[113] - الديلمي ، أعلام الدين في صفات المؤمنين، ص 52

[114] - البغدادي ، تاريخ مواليد الأئمة ووفياتهم.باب ولادة المهدي.

التكليـف ، لأن كـل زمـان لا بـد فيـه من إمـام معصـوم، لعمـوم الأدلة ، وغيره ليس بمعصوم ، فيكون هو الإمام ".[115]

وانطلق العلامة محمد باقر المجلسي في عمليـة إثبـات وجـود (ابن الحسـن) من قاعـدة (الحسـن والقبح العقلـيين) وقـال:" إن العقـل يحكم بـأن اللطـف على اللـه واجب.. وان وجـود الإمـام لطف.. وانه لا بد إن يكون معصوما... وان العصمة لا تعلم إلا من جهته... وان الإجماع واقع على عدم عصمة غير صاحب الزمان .. فيثبت وجوده عليه السلام ". [116]

وقال السيد محمد صـادق الصـدر: " لقـد عـرفتَ إن الأمـة في حاجة ماسة إلى أمام معصوم... ولا شك إن هـذه الحاجـة ليسـت خاصة بوقت دون وقت أو عصر دون عصر، فالضـرورة إذا تلجئنـا إن نؤمن بوجود الإمام المهدي.. إذ ليس ثمة أمـام يـدعى وجـوده سواه.. وهذه حقيقة واضحة" . [117]

واعتمد بعض المتكلمين على مبدأ:" ضرورة وجـود ولـد للإمـام لكي تستمر الإمامة في عقبه" للاستدلال على وجـود ولـد للإمـام الحسن العسـكري . ونقـل الشـيخ الطوسـي عن الإمـام علي بن موسى الرضا قوله:" إن صـاحب هـذا الأمـر لا يمـوت حـتى يـرى ولده من بعده" وابطل بذلك قـول من قـال :(لا ولـد لأبي محمـد العسكري) .[118]

المطلب الثاني: خطوات نقلية على طريق العقل

ولا بد هنا من القول : إن " الدليل العقلي" على وجود (الإمام محمـد بن الحسـن العسـكري) ليس دليلا عقليـا محضـا ، بحيث يستطيع أي عاقل مجرد إن يتوصل إليه تلقائيا ، وإنمـا هـو يعتمـد على مقدمات نقلية عديدة. وقد قال الشيخ الصدوق :" إن القول بغيبة صاحب الزمـان مبـني على القـول بإمامـة آبائـه... وان هـذا

---

115 - العلامة الحلي ، الباب الحادي عشر، الفصل السادس

116 - المجلسي، بحار الأنوار، ج 51

117 - الصدر، الشيعة الإمامية، ص 27

118 - الطوسي، الغيبة، ص 133 و 135

بـــاب شـــرعي ، وليس بعقلي محض" . [119] ولـــذلك فقـــد قـــام المتكلمـون الإمـاميون بمناقشـة كـل فقـرات " الـدليل العقلي" كالعصمة وغيرها من نقاط الخلاف، التي كـانت بينهم وبين عامـة المسلمين وسائر الفـرق الشـيعية ، وبـالأخص الزيديـة والواقفيـة الذين كانوا يؤمنون بنظريـات مهدويـة أخـرى ، والـذين كـانوا من أشد خصوم الشيعة الاثني عشرية في عصر الحيرة.

ومن هنا فقد كانت المحطـة الأولى في الاسـتدلال النقلي على طريق العقل هي:

1 - ضرورة وجود الإمام. وقد اعتمد علي بن بابويه القمي (الصـدوق) لإثبـات هـذه المقدمـة ، على مجموعـة كبـيرة من الأحاديث ، ونقل عن الإمام الباقر والصادق أحاديث تقـول: بعـدم جواز بقاء الأرض بغير أمـام، أو بغـير أمـام عـادل " وان آخـر من يموت الإمام لئلا يحتج أحد على الله انه تركه بغير حجة".[120]

كما روى ابنه محمد الصدوق عن أبى عبد اللـه (ع) انـه قـال:" إن الله أجل واعظم من إن يترك الأرض بغير عدل". [121] وأضـاف إليها حديثا آخر حـول ضـرورة " وجـود العـالم الحي الظـاهر في الأرض لكي يفزع إليـه النـاس في حلالهم وحـرامهم" . وروى عن أبى عبـد اللـه قولـه:" إن الأرض لـو خلت طرفـة عين من حجـة لساخت بأهلها" . [122]

وروى الطبري عن أبى عبد الله انه قال:" ما تزال الأرض للـه فيها حجة يعرف الحلال والحرام ويدعو الناس إلى سبيل الله عـز وجل". [123]

2- إثبات الإمامة في عترة الرسـول (ص). وكـانت الخطـوة الثانية، هي إثبات الإمامة في أهل الـبيت (ع)، وذلـك اسـتنادا إلى الحـديث النبـوي الشـريف الـذي يقـول:" أني تـارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، وهمـا الخليفتـان من بعـدي وانهمـا لن يفترقا حتى يردا علي الحـوض " . ولمـا كـان لفـظ :"العـترة"

---

119 - الصدوق ، إكمال الدين، ص 63

120 - الصدوق، الإمامة والتبصرة من الحيرة، ص 157 و 160 - 162

121 - الصدوق ،إكمال الدين، ص 229

122 - الصدوق ، علل الشرائع، ص 195 و201

123 - الطبري، دلائل الإمامة، ص 231

عاما يشمل جميع أقرباء الرسول ، فقد تم اللجوء ، كما يقول الصدوق ، إلى العقل والتعارف والسيرة في تفسير الحديث بما يدل على إن الرسول الأكرم أراد علماء العترة دون جهالهم، والبررة الأتقياء منهم دون الفساق والظالمين.[124] وروى الطبري حديثا في تفسير قوله تعالى :(أطيعوا الله أطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) النساء 59، بأن المراد بهم : الأئمة من ولد علي وفاطمة إلى إن تقوم الساعة. [125]

3- **إثبات إمامة أمير المؤمنين (ع) ونفي مهدويته.** وذلك بإثبات النصوص عليه بالخلافة والإمامة من رسول الله (ص) . ونفي القول بمهديته وغيبته - كما قال السبئية - وذلك اعتمادا على موته الظاهر والشهير ورفض التفسيرات الباطنية .[126]

4- **إثبات الإمامة في أبناء علي.**

5- **إثبات الإمامة لعلي بن الحسين** . و **نفي الإمامة والمهدوية عن محمد بن الحنفية** ، وكذلك نفي الإمامة والمهدوية والغيبة عن أبى هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية ، اللذين ادعى الشيعة الكيسانية لهما ذلك. [127]

6- **نفي إمامة أبناء الحسن** الذين ادعى بعضهم كمحمد بن عبد الله (ذي النفس الزكية) الإمامة والمهدوية ، وحصر الإمامة بدلا من ذلك في أبناء الحسين فقط ، وذلك بناء على تفسير قوله تعالى : (وأولوا الأرحام بعضهم أولي ببعض في كتاب الله) الأنفال 75 . [128]

7- **عدم جواز اجتماع الإمامة في أخوين بعد الحسن والحسين** ، وذلك اعتمادا على تفسير قوله تعالى :(وجعلها كلمة باقية في عقبه) الزخرف 28، بأن المقصود من (الكلمة) : الإمامة ، والمقصود من الضمير المتصل بالعقب : هو الحسين

---

[124] - الصدوق، إكمال الدين، ص 120

[125] - الطبري، دلائل الإمامة، ص 231

[126] - الطوسي، الغيبة، ص 118

[127] - الصفار، بصائر الدرجات، المختصر، ص 14 و170 ، والطوسي، الغيبة، ص 118 ، والصدوق، إكمال الدين، ص 36 ، وابن بابويه، الإمامة والتبصرة من الحيرة، ص 193

[128] - الصدوق ابن بابويه، الإمامة والتبصرة من الحيرة، ص 179 - 180

بن علي ، وعدم جواز رجـوع الإمامـة إلى أخ أو ابن عم وضـرورة انتقالها من الوالد إلى الولد.[129] وقد تم اعتمـاد هـذا القـانون من اجـل نفي إمامـة زيـد بن علي وأبنائـه الـذين ادعـوا المهدويـة أو ادعيت لهم ، وحصر الإمامة في الإمام محمد البـاقر وابنـه جعفـر الصادق .

8- إثبات إمامة الصادق ونفي مهدويته ، وذلـك خلافـا للشيعة الناووسية الـذين أنكـروا وفـاة الصـادق وادعـوا مهدويتـه وغيبته .[130]

9- **إثبات إمامة الكاظم ، ونفي مهدويته** ، وذلك خلافا للشيعة الإسماعيلية الـذين سـاقوا الإمامـة بعـد الصـادق في ولـد إسـماعيل ، أو الفطحيـة الـذين قـالوا بإمامـة عبـد اللـه الأفطح ، وخاصة الفريق الذي قال بوجود ولد مستور له هو (محمد بن عبد اللـه الأفطح) وادعى مهدويتـه وغيبتـه. وقـد قـام علي بن بابويـه القمي بإيراد عدة روايـات حـول إمامـة الكـاظم والنص عليـه من أبيه ، ونفي إمامة عبد الله الأفطح وإبطال إمامة إسماعيل الـذي توفي في حياة الإمام الصادق ، وذلك من اجل حصر الإمامـة في الكاظم ونزعها من أبنـاء إسـماعيل الـذين ادعـوا تـوارث الإمامـة فيهم وادعـوا ظهـور المهـدي من بين صـفوفهم.[131] وقـام ابنـه الشـيخ الصـدوق بـإيراد مجموعـة روايـات عن الإمـام علي بن موسـى الرضـا تؤكـد وفـاة أبيـه وتنفي مهدويتـه الـتي قـال بهـا (الواقفية) الذين رفضوا الاعتراف بوفـاة الكـاظم وقـالوا بهروبـه من سـجن الرشـيد ، وغيبتـه عن الأبصـار اسـتعدادا للظهـور في المستقبل.[132]

10- إثبات إمامة بقية الأئمة كالرضـا والجـواد والهـادي والعسـكري ، حـتى تصـل إلى (الإمـام الثـاني عشـر : محمـد بن الحسن العسكري).

---

129 - المصدر نفسه.

130 - ابن بابويه، الإمامة والتبصرة من الحيرة، ص 199 ، والصدوق ، إكمال الدين، ص 137 ، والطوسي، الغيبة ، ص 18

131 - الصدوق، الإمامة والتبصرة من الحيرة، ص 207

132 - الصدوق، إكمال الدين، ص 39

11- **نفي إمامة ومهدوية محمد بن علي الهادي** ، التي قال بها قسم من الشيعة الإمامية في ذلك الزمان وهم (المحمدية) الذين رفضوا الاعتراف بوفاته في حياة أبيه، وأصروا على القول بحياته وغيبته ومهدويته ، وذلك اعتمادا على وصية أبيه إليه . وقد اعتمد الشيخ الطوسي في إبطال هذا القول، على موت السيد محمد، الظاهر ، واعتبر إنكاره إنكاراً للضروريات.[133]

12 - إثبات إمامة الحسن العسكري ، ونفي مهدويته ، حيث كان ذلك ضرورياً على طريق إثبات الإمامة والمهدوية لابنه المفترض (محمد) . وقد توقف الشيخ الطوسي عند هذه النقطة ملياً ، وجاء بعدة روايات عن الإمام الهادي يثبت فيها الإمامة والوصية للعسكري. ونقل حديثا يتضمن حدوث البداء لله في إمامة محمد بن علي ونقلها إلى أخيه الحسن العسكري .[134] واعتمد الطوسي في عملية إثبات إمامة العسكري على مجموعة من (المعاجز) التي رواها أبو هاشم الجعفري ، والتي تدور حول محور (علم الإمام بالغيب) . وكان لا بد من إثبات وفاة الإمام العسكري اعتمادا على الظاهر ، ونفي مهدويته وغيبته ، وتأويل الأحاديث التي تدعي القيام بعد الوفاة ، وذلك لقطع الطريق على الذين قالوا بغيبة الإمام الحسن ومهدويته .[135]

13- نفي إمامة جعفر بن علي الهادي . وقد اعتمدت هذه العملية على إسقاطه من أهلية الإمامة فضلا عن المهدوية ، وذلك باتهامه بشرب الخمر والفسق والفجور والكذب .[136]

واعتمد الشيخ الطوسي في مناقشة الشيعة (الفطحية) الذين قالوا بإمامة جعفر بن علي بعد وفاة أخيه الحسن العسكري ، على مبدأ الوراثة العمودية في الإمامة ، وضرورة استمرارها في الأعقاب وأعقاب الأعقاب أبدا إلى يوم القيامة ، وعدم جواز

---

[133] - الطوسي ، الغيبة، ص 120

[134] - المصدر، ص121

[135] - المصدر، ص 122 - 124

[136] - الصدوق، إكمال الدين، ص 40 و133 والطوسي، الغيبة، ص 133 و 136

انتقالها إلى الاخوة أو أبناء العم ، لكي ينفي إمامة جعفر بن علي الهادي. [137]

14- ضرورة استمرار الإمامة إلى يوم القيامة. وكان لا بد من إثبات هذا المبدأ ، في الطريق إلى القول بوجود (ابن الحسن) وذلك ردا على الفرقة التي قالت بانقطاع الإمامة بعد وفاة الإمام الحسن العسكري ، وقد قام علي بن بابويه القمي بالرد على هؤلاء بإيراد حديث عن رسول الله (ص) يذكر فيه استمرار الإمامة في أهل البيت إلى يوم القيامة ، وعدم توقيتها لفترة محددة فقط .[138] واعتمد الشيخ المفيد على عدم جواز خلو الأرض من حجة (أي : من إمام معصوم) في عملية الاستدلال العقلي على وجود الإمام (صاحب الزمان المهدي المنتظر).[139] وروى الطوسي حديثا عن الإمام الصادق (ع) يقول:" إن الأرض لو بقيت بغير أمام ساعة لساخت" . [140] وتمسك الكراجكي بضرورة استمرار الإمامة في أهل البيت ، وعدم جواز خلو الزمان من أمام ، بعد وفاة العسكري ، في الاستدلال على ضرورة وجود (الإمام صاحب الزمان) وعدم استحقاق غيره للإمامة. [141]

15- نفي وفاة القائم. وكانت الخطوة الأخيرة في عملية إثبات وجود (ابن الحسن) هي نفي وفاته ، وتأويل الأحاديث الكثيرة التي كانت متداولة في تلك الأيام ، والتي تتحدث عن وفاة القائم وقيامه بعد الموت ، وهي الأحاديث التي طبقها أصحاب نظرية (مهدوية الحسن العسكري) عليه ، وطبقها آخرون على ابنه، فقالوا: انه ولد ومات، وسيحيى ويظهر في المستقبل. وقد ذكر الطوسي بعض تلك الروايات في كتاب:(الغيبة) ولم يضعّفها ، ولكنه أوّلها بموت ذكره ، وأشار إلى ضرورة التوقف فيها والتمسك بما هو معلوم. [142]

---

137 - الطوسي، الغيبة، ص 136

138 - الصدوق، الإمامة والتبصرة من الحيرة، ص 233

139 - المفيد، الفصول المختارة، ص 402

140 - الطوسي، الغيبة، ص 123

141 - الكراجكي ،البرهان على صحة طول عمر صاحب الزمان، ص 243

142 - الطوسي، الغيبة، ص 260 - 282

هـذه هي فقـرات "الـدليل العقلي" ، الـذي يقدمـه المتكلمـون كـأول وأهم دليـل على وجـود (محمـد بن الحسـن العسـكري) ويمكن تلخيصه في: " نظرية الإمامة الإلهية لأهـل الـبيت القائمـة على العصمة و النص والوراثة العمودية" . وهو يتركز أساسا على مبـدأ "الوراثـة العموديـة" وعـدم جـواز الجمـع بين الأخـوين في الإمامة ، خلافا للشيعة الإماميـة الفطحيـة الـذين لم يؤمنـوا بهـذا المبدأ ، فـذهبوا إلى القـول بإمامـة جعفـر بن علي ولم يشـاركوا (الاثني عشرية) بالقول بوجود (ابن مغمور للحسـن العسـكري) . رغم إيمانهم بعدد كبير من تلك المقدمات النظرية.

المبحث الثاني :

الدليل النقل على وجود ابن للعسكري

يعتمد الاسـتدلال على وجـود الإمـام الثـاني عشـر (محمـد بن الحسـن العسـكري) بالـدليل النقـل ، على القـرآن الكـريم ، و الأحـاديث الـواردة عن الرسـول الأعظم (ص) والأئمـة من أهـل البيت (ع) حول التبشير بالمهدي المنتظر ، وهي تنقسم إلى عدة أقسام رئيسية:

القسم الأول: القرآن الكريم

1- قولـه تعـالى: (وقضـينا آلي بـني إسـرائيل في الكتـاب، لتفسدنَّ في الأرض مـرتين، ولتعلُنَّ علـواً كبـيراً ، فـإذا جـاء وعـد أوليهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار ، ثم رددنـا لكم الكـرة عليهم ..) الإسـراء 4 –ـ 6 ، حيث روى الكليني عن أبى عبد الله (ع) : أنها نزلت في القائم .[143]

2 - قوله تعالى :(فاستبقوا الخيرات، أينمـا تكونـوا يـأت بكم الله جميعا) البقرة 148، وقد روى الكليني عن أبى جعفر (ع) إن المخاطب بها أصحاب القائم . [144]

3- قوله تعالى :(حتى يتبين لهم انه الحق) فصلت 53، وقـد روى الكليني أيضا : أنها تعني خروج القائم من عند الله .[145]

---

[143] - الكليني ، الكافي، الروضة، ص 175

[144] - المصدر نفسه ، ص 260 ، والعياشي، التفسير ، ج 1 ، ص 66

[145] - الكليني ، الكافي، الروضة، ص 312

4- قوله تعالى :(ولتعلَمُنَّ نبأه بعد حين) ص 88 ، وقد روى الكليني : إن ذلك عند خروج القائم. وقوله تعالى:(وقل جاء الحق وزهق الباطل) الإسراء 81 ،أي إذا قام القائم ذهبت دولة الباطل.[146]

5- قوله تعالى:(فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون ، لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون) الأنبياء 12 ـ 13 . وقد روى الكليني عن أبى جعفر (ع) انه قال: إذا قام القائم وبعث إلى بني أمية بالشام هربوا إلى الروم.. فإذا نزل بحضرتهم أصحاب القائم طلبوا الأمان والصلح فيقول أصحاب القائم : لا نفعل حتى تدفعوا إلينا من قبلكم منا فيدفعونهم إليهم ، فذلك قوله:(لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ..) قال : ويسألهم عن الكنوز ، وهو أعلم بها ، فيقولون:(يا ويلنا انا كنا ظالمين ، فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين) بالسيف.[147]

6- قوله تعالى :(حتى إذا رأوا ما يوعدون) مريم 75 ، وذلك بظهور القائم، كما يقول علي بن إبراهيم القمي في تفسيره.[148]

7 - قوله تعالى:(يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج) ق 42 ،أي صيحة القائم من السماء . [149]

8 - قوله تعالى :(ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) التوبة 33 ، قال الصدوق والخزاز: إن المقصود هو المهدي من ولد فاطمة . [150]

9 - قوله تعالى:(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض) النور 55.

10 - قوله تعالى :(ونريد إن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) القصص 5.

---

146 - المصدر نفسه، ص 239 – 240
147 - المصدر نفسه، ص 44
148 - القمي ، التفسير، ج 2 ، ص 390
149 - المصدر نفسه، ص 327

150 - الصدوق، إكمال الدين، ص 378 ، والخزاز ، كفاية الأثر، ص 277

وكل هذه الآيات، وان لم تكن صريحة ، إلا انها تُـأوّل بالمهـدي القـائم . ويسـتدل بهـا على وجـود وولادة (محمـد بن الحسـن العسكري) بعد إثبات أنه (المهدي القائم) لا غيره.

القسم الثاني: الأحاديث :

1- الروايات الواردة حول المهدي والقـائم . وذلـك مثل:(المهدي يخـرج في آخـر الزمـان) و(ابشـروا بالمهـدي...) و (القائم لا يقوم حتى ينادي منـادي السـماء...) و(لا تـذهب الـدنيا حـتى يلي هـذه الأمـة رجـل من أهـل بيـتي يقـال لـه المهـدي) و (المهدي من ولد فاطمة) و (المهـدي من ولـد الحسـين).. وهي روايـات كثـيرة يرويهـا الكليـني في (الكـافي) والنعمـاني في : (الغيبـة) والصـدوق في (إكمـال الـدين) والطوسـي في (الغيبـة) والمفيـد في :(الإرشـاد) ، وهي وان كـانت عامـة غـير محـددة بشخص معين إلا إن كثيرا من المؤلفين حول الإمام الثاني عشر، يستخلصون منهـا دليلا على وجـوده وولادتـه ، وذلـك بعـد إضـافة روايات أخرى عن الإمام الجواد والإمـام الهـادي: إن المهـدي من أولادهما.[151]

2**- الروايات الواردة حول الغيبة والغائب**. وذلـك مثـل : (المهدي من ولـدي تكـون لـه غيبـة وحـيرة) و(إن الثـابتين على القـول بالمهـدي في زمـان غيبتـه لأعـز من الكـبريت الأحمـر) و (المهدي.. له غيبة وحيرة تضـل الخلـق عن أديـانهم) و (للقـائم منا غيبة أمدها طويل) و (لا بد لصـاحب هـذا الأمـر من عزلـة أو غيبة) و (إن للقائم غيبة قبل ظهوره) و (إن لصـاحب هـذا الأمـر غيبتين إحداهما تطول حتى يقول بعضهم مات ، وبعضـهم يقـول : قتل ، وبعضهم يقول: ذهب ، فلا يبقى على أمـره من أصـحابه إلا نفر يسير).

وقد اتخذ القائلون بوجود الإمام الثاني عشر (محمد بن الحسن العسكري) من تلـك الأحـاديث دليلا على صـحة نظـريتهم ، وقـال محمد بن أبى زينب النعماني في (الغيبة):" لو لم يكن يـروى في

---

151 - الصدوق، إكمال الدين، ص 378 ، و الخزاز ، كفاية الأثر، ص 277

الغيبة إلا هذا الحديث (الأخير) لكان فيـه كفايـة لمن تأملـه" .[152] واعتبر الصدوق ، نقـل الشـيعة لتلـك الروايـات الـتي تتحـدث عن (الغيبة) قبل وقوعها، دليلا على صحتها.[153] وقال: إن عدم ظهور النص والخلـف بعـد الحسـن العسـكري، وغيبـة الإمـام المهـدي واختفاء شخصه ، واختلاف الشيعة ووقوع الحيرة من أمره ، كمـا جـاء في الروايـات الماضـية دليـل على (كـون المهـدي ووجـوده وغيبته) .[154]

وقال الشيخ الطوسي في (الغيبة):" إن موضـع الاسـتدلال من هذه الأخبار ما تضمن الخبر بالشيء قبل كونه ، فكان كما تضمنه ، فكان ذلك دلالة على صحة ما ذهبنا إليه من إمامة ابن الحسن ، لأن العلم بما يكون لا يحصل إلا من جهـة علام الغيـوب ، فلـو لم يُـروَ إلا خـبر واحـد ووافـق مخـبره مـا تضـمنه الخـبر لكـان ذلـك كافيـا" .[155] وقـال أيضـا:" إن مـا يـدل على إمامـة ابن الحسـن وصحة غيبته، ما ظهر وانتشر من الأخبار الذائعـة عن آبائـه، قبـل هـذه الأوقـات بزمـان طويـل، من أن لصـاحب هـذا الأمـر غيبـة ، وصـفة غيبتـه، ومـا يجـري فيهـا من الاختلاف ويحـدث فيهـا من الحوادث ، وانه يكون له غيبتان إحداهما أطول من الأخـرى.. وان الأولى يُعرف فيها خبره ، والثانية لا يُعرف فيهـا أخبـاره.. فوافـق ذلك ما تضـمنه الأخبـار، ولـولا صـحتها وصـحة إمامتـه لمـا وافـق ذلك ، ولا يكون ذلك إلا بإعلام الله تعالى على لسان نبيه" .[156]

3- الروايات الواردة حول الاثني عشر إمامـا. وذلـك مثل حديث النـبي (ص):(يكـون بعـدي اثنـا عشـر خليفـة) أو (لا يزال أمر أمـتي ظـاهرا حـتى يمضـي اثنـا عشـر خليفـة كلهم من قريش) أو (يلي هذه الأمة اثنـا عشـر.. كلهم من قـريش لا يـرى مثله) أو (يكون بعدي اثنا عشـر أمـيرا كلهم من قـريش). وهـذه روايات كلها من طـرق أهـل السـنة ، وقـد رواهـا الصـدوق وقـال تعليقـاً عليهـا:" نقـل مخالفونـا من أصـحاب الحـديث نقلا ظـاهرا مستفيضا من حديث جابر بن سمرة السوائي عن رسـول اللـه... وقد أخرجت طرق هذا الحديث... فدل على إن الأخبـار الـتي في

---

152 - النعماني، الغيبة، ص 116
153 - الصدوق، إكمال الدين، ص 19
154 - المصدر ، ص 113
155 - الطوسي، الغيبة، ص 109
156 - المصدر نفسه، ص 110

أيدي الإمامية عن النبي والأئمة بـذكر الأئمـة الاثـني عشـر أخبـار صحيحة" . [157]

كما رواها الكليني في (الكافي) والطوسي في (الغيبة) . [158]

أما الروايات الشيعية الـواردة حـول موضـوع (الاثـني عشـرية) فقد ذكر الكليني في (الكافي) منها حـوالي سـبع عشـرة روايـة ، وذكر الصـدوق في (إكمـال الـدين) حـوالي بضـع وثلاثين روايـة.. وروى الخزاز في (كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشـر) حوالي مائتي رواية ، وقـال عنهـا : أنهـا متـواترة · وذلـك " لعـدم إمكانية اتفاق صحابة رسول اللـه وخيـار العـترة والتـابعين الـذين يُنقل عنهم شطرا من الروايات على الكذب" . [159]

وتعتمد النظرية الاثـني عشـرية حسـب الروايـة الشـيعية الـتي تذكر أسماء الأئمة الاثني عشـر في قائمـة مُعـدَّة من قبـل ، على كتـاب سـليم بن قيس الهلالي الـذي يقـول : إن الشـيعة كـانوا يحتفضون بالقائمة الاثني عشرية في بيوتهم خلال القرون الثلاثـة السابقة.

وقد قال ابن أبى زينب النعمـاني عن كتـاب سـليم:" انـه ليس بين جميـع الشـيعة ممن حمـل العلم ورواه عن الأئمـة خلاف في إن كتـاب سـليم بن قيس الهلالي أصـل من كتب الأصـول الـتي رواها أهـل العلم وحملـة حـديث أهـل الـبيت وأقـدمها ، وهـو من الأصول التي يرجع إليها الشيعة ويعوّل عليها" . [160]

واتخــذ الصــدوق وســائر المتكلمين من تلــك الروايــات الــتي اعتبروها "متواترة" دليلاً على وجـود وولادة (الإمـام الثـاني عشـر محمد بن الحسن العسكري) من حيث انه لا بد إن يكمل الرقم (12) المُخبَر به من قبل ، ومن دونه يصبح عدد الأئمة (أحد عشر) خلافاً للأحاديث ، ومن حيث إن الروايات قد جاءت بأن (المهـدي) من أهل البيت ومن ولد الحسين ، وقد مضى الأئمة الأحـد عشـر

---

157 - الصدوق، إكمال الدين، ص 67 - 68

158 - الكليني ، الكافي، ج 1 ، ص 525 ـ 534 والطوسي ،الغيبة، ص 88 - 90

159 - الخزاز، كفاية الأثر، ص 77

160 - النعماني، الغيبة، ص 77

ولم يظهر واحد منهم ، فتحتم : انه المهدي الذي سوف يظهر ويملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا . [161]

واعتبر الطوسي إجماع الطائفتين المختلفتين والفرقتين المتباينتين : (العامة) و (الإمامية) على : أن الأئمة بعد النبي (ص) اثنا عشر ، لا يزيدون ولا ينقصون، دليل على ولادة (صاحب الزمان) وصحة غيبته ، وقال: "إن الشيعة يروون تلك الأخبار على وجه التواتر خلفاً عن سلف".[162]

4- **المهدي الإمام الثاني عشر.** وإضافة إلى ذلك توجد في التراث الشيعي اكثر من سبعين رواية عن رسول الله (ص) وأهل البيت (ع) تتحدث عن (المهدي والقائم) بصراحة : انه (الإمام الثاني عشر أو التاسع من ولد الحسين) وبعضها يذكره بالاسم الصريح الكامل ، وبعضها يكتفي بالإشارة إليه بالكنية واللقب . ومن تلك الروايات ما ذكره الصدوق في :(إكمال الدين) عن رسول الله (ص): "إن خلفائي وأوصيائي وحجج الله على الخلق بعدي اثنا عشر أولهم أخي وآخرهم ولدي المهدي). [163]

وما عنه أيضا:" إن الله عز وجل اختار... من علي الحسن والحسين ، واختار من الحسين الأوصياء من ولده... تاسعهم قائمهم) .[164]

وما عن أمير المؤمنين (ع) :" آني فكرت في مولود يكون من ظهري الحادي عشر من ولدي هو المهدي ". [165]

وما عن الحسين بن علي (ع) :" التاسع من ولدي ...هو قائمنا أهل البيت يصلح الله تبارك وتعالى أمره في ليلة واحدة" .[166]

---

161 - الصدوق، إكمال الدين، ص 66
162 - الطوسي، الغيبة، ص 88 و 100

163 - الصدوق، إكمال الدين، ص 280

164 - المصدر، ص 281
165 - المصدر ص 289
166 - المصدر، ص 316

وما عن أبى عبد الله (ع):" إن الغيبة ستقع بالسادس من ولدي ، وهو الثاني عشر من الأئمة الهداة بعد رسول الله ، أولهم أمـير المؤمنين، وآخرهم بقية الله في الأرض وصاحب الزمان" .[167]

وما عن الإمام الرضا (ع):" إن القائم هو... الرابع من ولـدي ".[168]

وما عنه أيضا:" الإمام بعـدي محمـد ابـني ، وبعـده ابنـه علي ، وبعد علي ابنه الحسن ، وبعد الحسن ابنه الحجة القائم المنتظر" .[169]

وما عن الإمـام الهـادي (ع) :" إن الإمـام بعـدي الحسـن ابـني وبعد الحسن ابنه القائم ". [170]

وما عن أبى عبد اللـه عن ، جـابر بن عبـد اللـه الأنصـاري، انـه دخل على فاطمـة الزهـراء في حيـاة رسـول اللـه ليهنئهـا بـولادة الحسين ، فرأي في يدها لوحا أخضر ، ورأى فيـه كتابـا شـبه نـور الشمس ، فسألها عن ذلك فقالت له : هذا اللوح أهـداه اللـه إلى رسـول اللـه ، فيـه اسـم أبى واسـم بعلي واسـم ابـني وأسـماء الأوصياء من ولـدي ، فأعطانيـه أبي ليسـرني بـذلك... وكـان فيـه أسماء الأئمة الاثني عشر واحدا واحدا .. وان الأخير منهم (م ح م د) يبعثه الله رحمة للعالمين" .[171]

5- **حتمية وجود الحجة في الأرض.** وهنـاك أحـاديث أخـرى تؤكد على ضرورة وجـود الحجـة في الأرض، وعـدم جـواز خلوهـا من الإمــام ، مثــل مــا يــروى عن رســول اللــه (ص) في كتب السنة :" من مات بغير أمام مات ميتة جاهلية ، ومن نزع يـداً من طاعة جاء يوم القيامة لا حجة له" ومـا عن الإمـام الصـادق:" من مات وهو لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية" الذي يرويه سـليم بن قيس في كتابه ، والصدوق والكليني والنعماني والمفيد.[172]

---

167 - المصدر نفسه، ص 342
168 - المصدر نفسه، ص 379
169 - المصدر نفسه، ص 372
170 - المصدر نفسه، ص 382
171 - المصدر نفسه، ص 305 ، والكافي، ج1 ، ص 527
172 - الصدوق ، إكمال الدين، ص 413 ، والكليني ، الكافي ، ج1 ص 376، والنعماني ، الغيبة ، ص 129 ، والمفيد ، الاختصاص ، ص 268 ، والرسائل، ص 384

والحديث الآخر الذي يرويه كل من البرقي والصدوق والمفيد ، عن الإمام الصادق :" لن تخلو الأرض من رجل يعرف الحق ، فإذا زاد الناس فيه قال: زادوا ، وإذا نقصوا قال: قد نقصوا ، وإذا جاؤا به صدقهم ، ولو لم يكن ذلك كذلك لم يعرف الحق من الباطل".[173]

وما يروى أيضا عن الإمام الصادق من " إن الله جل وعز ، أجل واعظم من إن يترك الأرض بغير أمام " والذي يرويه كلٌ من الصفار والكليني والصدوق .[174]

وما يروى عنه أيضا ، من انه قال:" ما ترك الله عز وجل الأرض بغير أمام قط منذ قبض آدم (ع) يهتدى به إلى الله عز وجل ، وهو الحجة على العباد ، من تركه ضلّ ومن لزمه نجا، حقاً على الله عز وجل". وما يروى أيضا عن الإمام الصادق من انه قال:" لو خلت الأرض طرفة عين من حجة لساخت بأهلها" والذي يرويه الصفار والكليني والنعماني والصدوق .[175]

إذن فان "الدليل النقلي" كان يتألف من عدة مجاميع من الآيات والروايات التي تتحدث عن القائم والمهدي بصورة عامة ، وتلك التي تخصصه في أهل البيت وفي أولاد الإمام علي (ع) وفي أولاد السيدة فاطمة الزهراء (ع) وفي أولاد الإمام الحسين وفي أولاد الإمام الصادق وفي أولاد الإمام الجواد والهادي والعسكري ، إضافة إلى الروايات التي كانت تتحدث عن عدد الأئمة الإثني عشر ، وعن ولادة (الإمام المهدي) واسمه ، وهذا ما يؤدي ، في نظرهم ، إلى الإيمان بولادة ووجود (الإمام الثاني عشر الحجة بن الحسن العسكري) واستمرار حياته ، بالرغم من عدم ظهوره في حياة أبيه أو الوصية له أو الإشارة المباشرة منه إليه.

---

173 - البرقي ، المحاسن، ص 235 ، والصدوق، علل الشرائع ج1 ص 200 ، والمفيد ، الاختصاص، ص 289

174 - الصفار، بصائر الدرجات، ص 485، والكليني ، الكافي ج1 ص 178، والصدوق ، إكمال الدين، ص 229

175 - الصفار، بصائر الدرجات، ص 481 ، والكليني ، الكافي ، ج1 ص 179، والنعماني ، الغيبة، ص 139 ، والصدوق، علل الشرائع ، ص 197 وإكمال الدين، ص 201

المبحث الثالث

الدليل التاريخي على ولادة (الإمام الثاني عشر)

المطلب الأول: ولادة ابن الحسن

يعـترف "الـدليل التـاريخي" بـأن الظـاهر من حيـاة الإمـام العسـكري وسـيرته ينفي إن يكـون لـه ولـد، ولكنـه يقـول : إن الظـروف السياسـية لم تكن لتسـمح للحسـن العسـكري بـإعلان وجود ولد لـه ، وان الخـوف عليـه من السـلطات العباسـية الـتي كـانت تعلم من قبـل انـه الإمـام المهـدي الـذي سـوف يزلـزل عرشها ، هو الذي اجبر الإمام على إخفاء أمر ولادة ابنه (المهدي المنتظر). ثم يذهب الدليل التاريخي ليذكر تفاصيل ولادة (محمـد بن الحسـن العسـكري) والظـروف الـتي أحـاطت بهـا ، وقصـص الذين شاهدوه ، بصورة سـرية ، والتقـوا بـه في مختلـف مراحـل حياته أيام أبيه وبعد وفاته .

أم الولد

تختلف الروايات حول اسم أم ابن الحسن ، فبينما يقول الشيخ الأقدم ابن أبى الثلج البغدادي في (تاريخ الأئمة) والمسعودي في (إثبـات الوصـية) والطوسـي في (الغيبـة) والمجلسـي في (بحـار الأنوار) : أن اسمها :(نرجس) يقول محمد بن علي الصدوق في : (إكمال الدين): " إن اسمها (مليكـة) وهي بنت يشـوعا بن قيصـر ملك الروم في ذلك الزمان ، وأنها رأت الإمام الحسن العسـكري في المنـام فأحبتـه وتزوجتـه وهـربت من أبيهـا الـذي كـان يريـد تزويجهـا من ابن أخيـه ، ووقعت في الأسـر، حيث أرسـل الإمـام الهادي نخاسا لشرائها من سوق الرقيق في بغداد".[176]

ولكن المسـعودي يقـول :" إنهـا كـانت جاريـة ولـدت في بيت بعض أخوات أبى الحسن علي بن محمـد، وربتهـا في بيتهـا، فلمـا كبرت وعبلت دخل أبـو محمـد فنظـر إليهـا فأعجبتـه ، وطلب من عمته أن تستأذن أباه في دفعها إليه ، ففعلت" .[177]

---

[176] - الصدوق، إكمال الدين، ص 417

[177] - المسعودي، إثبات الوصية، ص 195

ويقول الصدوق في رواية أخرى :" إن اسمها هو (صقيل) وأنها ماتت في حياة الحسن العسكري".[178] وهناك عـدة أسـماء أخـرى يذكرها المجلسي هي (سوسن) و(ريحانة) و(خمـط) و ينقـل عن الشهيد الأول في (الدروس): انها حرة وان اسمها (مريم بنت زيد العلوية) . [179]

تاريخ ولادته

اختلفت الروايات حول تاريخ مولـد (الإمـام محمـد بن الحسـن العسـكري) وأخــذ قــوم من الشـيعة الأوائــل بــدعوى الجاريــة (نرجس) بالحمل ، بعد وفاة الإمام العسكري ، وقالوا: إنها ولدت (ابن الحسن) بعد ذلك بثمانية اشهر .[180]

ويقول الشيخ المفيد : انه ولد في الثامن من شهر ذي القعــدة سنة 257 هـجرية أو 258هـ ، ويضيف : انه كان له عند وفاة أبيه سنتان وأربعة اشهر.[181] كما يقول في رواية أخرى: انــه ولــد في النصف من شعبان من سنة 255هـ. [182] ويقول في رواية ثالثـة : انه ولد سنة 252 هـ وكان سنه عند وفاة أبيه ثماني سنوات . [183] ولكن الشيخ الصدوق يقـول: إن مولـده كـان في 8 شـعبان سـنة 256 هـ . [184] أما الشيخ الطوسـي فيقـول : انـه ولـد في النصـف من رمضان .[185] دون إن يحدد السنة، ويتفق في رواية أخرى مــع الشيخ المفيـد : في انـه ولـد في النصـف من شـعبان سـنة 255 هـ.[186]

وهكــذا تختلــف هــذه الروايــات في تحديــد تــاريخ مولــد (ابن الحسن) الذي تقول انه ولد بصورة سرية وظل أمره مخفيا..

---

178 - الصدوق، إكمال الدين، ص 431

179 - المجلسي، بحار الأنوار، ج51 ، ص 432

180 - النوبخــتي، فــرق الشــيعة، ص 103 ، والأشــعري القمي، المقــالات والفرق، ص 114

181 - المفيد ، رسالة مولد الأئمة ، ص 6
182 - المفيد، الفصول المختارة ، ص 258
183 - المصدر نفسه
184 - الصدوق ، إكمال الدين، ص 432
185 - الطوسي ، الغيبة، ص 143
186 - المصدر نفسه ، ص 141

كيفية ولادته

يعتمد الصدوق والطوسي والمسعودي والخصيبي الذين يروون قصة ولادة (ابن الحسن) على رواية واحدة ينسبونها إلى حكيمة (أو خديجة) عمة الإمام العسكري ، وتقول فيها:

" بعث اليّ أبو محمد الحسن بن علي ، فقال: يا عمة اجعلي إفطارك هذه الليلة عندنا فإنها ليلة النصف من شعبان ، فان الله تبارك وتعالى سيظهر في هذه الليلة الحجة ، قالت: فقلت له: ومن أمه؟ فقال لي : من نرجس ، قلت له: جعلني الله فداك ما بها أثر ، فقال: هو ما أقول لك.

" قالت فجئت .. فلما سلمتُ وجلستُ جاءت تنزع خفي وقالت لي: يا سيدتي وسيدة أهلي : كيف أمسيت؟ ..فقلت لها: بل أنت سيدتي وسيدة أهلي ، قالت : فأنكرت قولي وقالت : ما هذا يا عمة؟! .. فقلت لها: يا بنية إن الله تعالى سيهب لك في ليلتك هذه غلاما سيدا في الدنيا والآخرة. قالت فخجلت واستحيت.. فلما أن فرغت من صلاة العشاء الآخرة أفطرت وأخذت مضجعي فرقدت ، فلما كان في جوف الليل قمت إلى الصلاة .. ففرغت من صلاتي ، وهي نائمة ليس بها حادث ، ثم جلستُ معقبة.. ثم اضطجعتُ.. ثم انتبهتُ فزعة وهي راقدة.. ثم قامت فصلت ونامت" .

" قالت حكيمة: وخرجت أتفقد الفجر فإذا أنا بالفجر الأول كذنب أتسرحان ، وهي نائمة ، فدخلني الشك، فصاح أبو محمد (ع) من المجلس فقال: لا تعجلي يا عمة فهاك الأمر قد قرب".

" قالت : فبينما أنا كذلك إذا انتبهت فزعة فوثبت إليها فقلت: اسم الله عليك ، ثم قلت لها: أتحسين شيئا؟ قالت: نعم ، يا عمة. فقلت لها: اجمعي نفسك واجمعي قلبك فهو ما قلت لك ".

" قالت: فأخذتني فترة فانتبهت بحس سيدي، فكشفت الثوب عنه فإذا أنا به ساجدا يتلقى الأرض بمساجده ، فضممته اليّ فإذا أنا به نظيف متنظف ، فصاح بي أبو محمد هلمي اليّ ابني يا عمة ، فجئت به إليه فوضع يديه تحت إليتيه وظهره ووضع قدميه على صدره ، ثم أدلى لسانه في فيه وأمرّ يده على عينيه وسمعه ومفاصله ، ثم قال: تكلم يا بني ، فقال: اشهد إن لا اله إلا الله

وحده لا شريك له ، واشهد إن محمدا رسول الله ، ثم صلى على علي أمير المؤمنين وعلى الأئمة إلى إن وقف على أبيه ثم أحجم .. ثم قال أبو محمد: يا عمة اذهبي به إلى أمه ليسلم عليها وائتيني به، فذهبت به فسلم عليها وردته فوضعته في المجلس ، ثم قال: يا عمة إذا كان يوم السابع فأتينا" .

" قالت حكيمة: فلما أصبحت جئت لأسلم على أبى محمد وكشفت الستر لأتفقد سيدي فلم أره ، فقلت : جعلت فداك ما فعل سيدي؟ فقال: يا عمة استودعناه الذي استودعته أم موسى"..

" قالت حكيمة: فلما كان في اليوم السابع جئت فسلمت وجلست ، فقال: هلمي اليّ ابني ، فجئت بسيدي وهو في الخرقة ، ففعل به كفعلته الأولى ، ثم أدلى لسانه في فيه كأنه يغذيه لبنا أو عسلا ، ثم قال: تكلم يا بني ، فقال: اشهد إن لا اله إلا الله وثنى بالصلاة على محمد وعلى أمير المؤمنين وعلى الأئمة الطاهرين حتى وقف على أبيه ، ثم تلا هذه الآية :(بسم الله الرحمن الرحيم ونريد إن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) القصص 5 – 6". [187]

وتقول حكيمة في رواية أخرى يذكرها الصدوق: إن نرجس لم يكن بها أي أثر للحمل وإنها لم تكن تعرف ذلك ، وعندما قالت لها حليمة إنها ستلد هذه الليلة استغربت وقالت:" يا مولاتي ما أرى شيئا من هذا". [188] حتى إذا كان آخر الليل وقت طلوع الفجر وثبت فزعة وقالت:" ظهر بي الأمر الذي أخبرك مولاي". وتقول الرواية : إن حكيمة أقبلت تقرأ على نرجس القرآن فأجابها الجنين من بطن أمه .. يقرأ مثلما تقرأ وسلّم عليها. مما أثار فزعها . ولكن الرواية تقول: إن نرجس غُيّبت عن حكيمة فلم ترها كأنه ضرب بينها وبين نرجس حجاب ، مما أثار استغرابها وصراخها ولجوئها إلى أبى محمد ، حيث قال لها: ارجعي يا عمة وستجدينها في مكانها.

---

[187] - الصدوق، إكمال الدين، ص 424

[188] - المصدر، ص 428

" قالت حكيمة: فرجعت .. فلم ألبث أن كشف الغطاء الذي كـان بيني وبينها ، وإذا أنا بها وعليها من أثـر النـور مـا غشـي بصـري ، وإذا بالصبي ساجداً لوجهه" . [189]

وتضيف هذه الرواية موضـوعا آخـر هـو: تحليـق عـدد من الطيـور فوق رأس الوليـد ، وقـول الحسـن لطـير منهـا: احملـه واحفظـه ورده إلينا في كل أربعين يوما ، فتناوله الطـير وطـار بـه في جـو السماء ، مما جعل أمه تبكي لفراقه .

" قالت حكيمة: فقلت: وما هذا الطير؟ فقـال: هـذا روح القـدس الموكل بالأئمة يوفقهم ويسددهم ويربيهم بالعلم . فلما كـان بعـد أربعين يوما رد الغلام وكان يمشي كأنه ابن سـنتين ، ممـا دفعهـا للتسـاؤل بدهشـة فقـال لهـا أخوهـا الحسـن: إن أولاد الأنبيـاء والأوصياء إذا كـانوا أئمـة ينشـئون بخلاف مـا ينشـأ غـيرهم ، وان الصبي منا إذا كان أتي عليه شهر كان كمن أتي عليـه سـنة ، وان الصبي منا ليتكلم في بطن أمه ويقرأ القرآن ويعبد ربه عـز وجـل وعند الرضاع تطيعه الملائكة وتنزل عليه صباحا ومساءا ".

وتواصل الرواية نقلا عن حكيمة : " أنها لم تزل ترى ذلك الصـبي في كـل أربعين يومـا إلى إن رأتـه رجلا ، قبـل مضـي أبى محمـد بأيام قلائل، فلم تعرفه ، وقالت لأبن أخيها : من هذا الذي تأمرني إن اجلس بين يديه؟! فقال لها: هـذا ابن نـرجس ، وهـذا خليفـتي من بعدي ، وعن قليل تفقدوني فاسمعي له أطيعي" .

" قالت حكيمة: فمضى أبو محمد بعـد ذلـك بأيـام قلائـل وافـترق الناس كما ترى .. ووالله آني لأراه صباحا مساءا وانه لينبئني عما تسألون عنـه فـأخبركم، وواللـه آني لأريـد إن اسأله عن الشـيء فيبدأني به وانه ليرد عليّ الأمر فيخرج اليّ منه جوابه من ساعته من غير مسألتي ".. [190]

رواية الطوسي لقصة الولادة

ويورد الطوسي في :(الغيبة) قصة ولادة (ابن الحسن) ، ولكن لا يذكر قصة الطيور وروح القدس وأخذ الوليد آلي السـماء ..بـل يقـول: إن حكيمـة ودعت أبـا محمـد وانصـرفت إلى منزلهـا في أعقاب ولادة المهدي ، وعندما اشتاقت له بعـد ثلاثـة أيـام رجعت

---

189 - المصدر نفسه، ص 426

190 - الصدوق، إكمال الدين، ص 430

ففتشت عنـه في غرفتـه فلم تجـد لـه أثـرا ولا سـمعت لـه ذكـرا فكرهت إن تسأل ، ودخلت على أبى محمد فبدأها بـالقول: ٠ هـو يا عمة في كنف الله أحرزه وستره حتى يأذن الله له ، فـإذا غيّب الله شخصي وتوفاني ورأيتِ شيعتي قد اختلفوا ، فـأخبري الثقـاة منهم .. وليكن عنـدك مسـتورا وعنـدهم مكتومـا ، فـان ولي اللـه يغيبه الله عن خلقه ويحجبه عن عباده فلا يراه أحد حتى يقدم لـه جبرائيل فرسه ليقضي الله أمرا كان مفعولا . [191]

ويضـيف الطوسـي في روايـة أخـرى قـول الحسـن لعمتـه:" استودعناه الذي استودعته أم موسى، والطلب منها إن تـأتي في اليوم السابع ، حيث يعود المهدي فتراه حكيمة" . [192]

ويقول في رواية ثالثة:" إن حكيمة دخلت بعد ثلاثة أيـام فـرأت الولد في المهـد وعليـه ثـوب اخضـر وكـان نائمـا على قفـاه غـير محــزوم ولا مقمــوط ففتح عينيــه وجعــل يضــحك لهــا ويناجيهــا بإصبعه ، ثم غاب بعد ذلك".. [193]

ويقول في رواية رابعة:" إن حكيمة وجـدت على ذراع المهـدي عند ولادته مكتوبا :"(جاء الحـق وزهـق الباطـل إن الباطـل كـان زهوقا) ص 88 ، كما وجدته مفروغاً منـه (أي مختونـا) وانـه رفـع بينهـا وبين المهـدي مـع أبيـه الحسـن كالحجـاب ، فلم تـرَ أحـدا ، فقالت: أين مولاي؟!.. فقال لها الحسن: أخذه من هو أحـق منـك ومنا . وعندما عادت بعد أربعين يوما وجـدت المهـدي يمشـي في الدار فلم تـرَ وجهـا أحسـن من وجهـه ولا لغـة افصـح من لغتـه ، وعندما تعجبت من ذلك وقالت: أرى من أمره ما أرى وله أربعون يوما؟! تبسم أبـو محمـد وقـال: يـا عمـتي أمـا علمت انـا معاشـر الأئمــة ننشــأ في اليــوم كمــا ينشــأ غيرنــا في الســنة؟ فقــامت وانصرفت ولم تره بعد ذلك. [194]

ويروي الطوسي عن خادمتين للإمـام العسـكري، همـا: (نسـيم ومارية) انهما قالتا: لما خرج صاحب الزمان من بطن أمـه سـقط جاثيا على ركبتيه رافعـا سـبابته نحـو السـماء ، ثم عطس فقـال: الحمد لله رب العالمين وصلى اللـه على محمـد وآلـه داخـرا للـه

191 - الطوسي، الغيبة، ص 141
192 - المصدر نفسه، ص 142
193 - المصدر نفسه، ص 143
194 - المصدر نفسه، ص 145

غير مستنكف ولا مستكبر ، ثم قال: زعمت الظلمة إن حجة اللـه داحضة ، ولو أذن لنا في الكلام لزال الشك .[195]

ويضيف المسعودي والخصـيبي جانبـا آخـر إلى قصـة ولادة ابن الحسـن، فيقـولان: إن المهـدي ولـد من فخـذ أمـه ، وينقلان عن الإمام العسكري قولـه لعمتـه حكيمـة : إن الأئمـة لا يحملـون في البطون وإنما يحملون في الجنوب . [196]

ويتفق المسعودي مع الصدوق والطوسي في إن حكيمة نـامت في تلـك اللحظـات وهي قاعـدة ووقـع عليهـا سـبات لم تتمالـك نفسها منه ولم تحس إلا على صوت الوليد تحت نـرجس وصـوت أبيه يناديها: " يا عمتي هاتي ابني" ويقول : إن الوليـد اختفى في ذلك اليوم وعاد بعد أسبوع ، فرأته حكيمة مرة أخرى ثم اختفى ، ولم تره حتى أربعين يوما ، حيث شاهدته يمشي.[197]

ويختلـف المسـعودي مـع الصـدوق الـذي ذكـر في روايتـه: إن الإمام ينشأ في الشهر كما ينشأ غيره في السنة، ومـع الطوسـي الذي ذكر: إن الإمام ينشأ في اليوم كما ينشـأ غـيره في السـنة ، فيقلل المسعودي النسبة ، وينقل عن العسكري قوله لحكيمة: أو ما علمت يا عمتي انا معاشـر الأوصـياء ننشـأ في اليـوم مثـل مـا ينشأ غيرنا في الجمعة؟ وننشأ في الجمعة مثل ما ينشأ غيرنا في الشهر وننشأ في الشهر مثل ما ينشأ غيرنا في السنة؟ [198]

ويروي المسعودي أخيرا عن أبى محمد العسكري انه قال: لما ولـد الصـاحب بعث اللـه (عـزّ وجـلّ) ملكين فحملاه إلى سـرادق العرش حتى وقف بين يدي الله فقال له: مرحبا بـك.. بـك أعطي وبك أعفو وبك أعذب .[199]

سرية الولادة

ومع إن رواية حكيمة السابقة تقول : إن أمر الولادة ظل سـريا مكتومـا عن الجميـع ، وان الإمـام الحسـن طلب منهـا إذا رأت اختلاف الشـيعة بعـد وفاتـه، أن تخـبر الخـواص فقـط ، إلا إن الصدوق يذكر ان الإمام الحسن العسكري اخبر كبير الشـيعة في

---

195 - المصدر نفسه

196 - المسعودي، إثبات الوصية، ص 196 والخصيبي، الهداية الكبرى

197 - المسعودي، إثبات الوصية، ص 197

198 - المصدر نفسه

199 - المصدر نفسه

قم : (أحمد بن إسحاق) ، وانه كتب له:" وُلد لنا مولود فليكن عندك مستورا وعن جميع الناس مكتوما ، فانا لم نظهر عليه إلا الأقرب لقرابته والمولى لولايته ، أحببنا إعلامك ليسرك الله به مثل ما سرنا به ، والسلام ". [200]

وفي رواية أخرى يقول الصدوق : إن احمد بن إسحاق دخل على الإمام العسكري يوما فسأله عن الإمام والخليفة بعده ، فنهض مسرعا فدخل البيت ثم خرج وعلى عاتقه غلام من أبناء الثلاث سنين ، وقال له: يا أحمد لولا كرامتك على الله عز وجل وعلى حججه ما عرضت عليك ابني هذا .[201]

ويقول الفضل بن شاذان في (كشف الحق) إن الحسن قال: ولد ولي الله وحجته على عباده وخليفتي من بعدي ليلة النصف من شعبان وكان أول من غسله رضوان خازن الجنة ثم غسلته حكيمة .

ويقول الصدوق : إن من الذين علموا بخبر الولادة أبو الفضل الحسن بن الحسين العلوي ، الذي يقول: انه دخل على أبى محمد بسرّ من رأى ، وهنأه بولادة ابنه . وكان منهم أيضا: (أبو هارون) الذي يقول: انه رأى صاحب الزمان وانه كشف عنه الثوب فوجده مختونا . [202]

ويؤكد الطوسي هاذين الخبرين في :(الغيبة).[203]

ويقول الشيخ المفيد : إن الحسن العسكري كان يعرضه على أشخاص بمفردهم حين يزورونه ، كعمرو الاهوازي . [204]

وفي رواية أخرى: إن الإمام العسكري أرسل أموالا إلى بعض الشيعة وأمرهم إن يعقوا عن ابنه.[205]

رؤية المهدي في حياة أبيه

---

200 - الصدوق، إكمال الدين، ص 434
201 - المصدر نفسه، ص 384
202 - المصدر 435
203 - الطوسي ، الغيبة، ص 151
204 - المفيد، الإرشاد، ص 392
205 - الصدوق، إكمال الدين، ص 432

وعلى أي حال فان المؤرخين الشيعة ينقلون قصصا كثيرة عن مشاهدة الإمام الثاني عشر (محمد بن الحسن العسكري) في حياة أبيه وعند وفاته ، حيث ينقل الكليني والصدوق والطوسي عن رجل من أهل فارس كان يخدم في بيت الإمام العسكري : انه شاهد يوما جارية تحمل غلاما ابيض ، وقول الإمام له:" هذا صاحبكم" وعدم رؤيته بعد ذلك.[206]

كما ينقل الصدوق والطوسي ، عن مجموعة من أصحاب الإمام العسكري ، فيهم: عثمان بن سعيد العمري: انه عرض عليهم ابنه وقال لهم: هذا إمامكم من بعدي وخليفتي عليكم ..أطيعوه ولا تتفرقوا من بعدي في أديانكم فتهلكوا ، أما إنكم لا ترونه بعد يومكم هذا ، قالوا : فخرجنا من عنده فما مضت إلا أيام قلائل حتى مضى أبو محمد .[207]

كما ينقل الصدوق في (إكمال الدين) قصصا عن رجل اسمه (يعقوب بن منقوش) : انه دخل على الإمام العسكري يوما فسأله: من صاحب هذا الأمر؟ فكشف له الإمام سترا عن بيت ، فخرج غلام خماسي وجلس على فخذ أبى محمد ، فقال ليعقوب: هذا صاحبكم ، ثم قال للغلام : يا بني ادخل إلى الوقت المعلوم . فدخل البيت واختفى فيه . وينقل عن (نسيم) خادمة الإمام العسكري : أنها دخلت على صاحب هذا الأمر بعد مولده بليلة فعطست عنده ، فقال لها: يرحمك الله .[208]

وينقل عن خادم آخر هو (طريف أبو نصر) : انه دخل على صاحب الزمان فطلب منه إن يأتيه بصندل أحمر ثم قال له: أنا خاتم الأوصياء ، وبي يدفع الله البلاء عن أهلي وشيعتي. وينقل عن رجل سوري اسمه (عبد الله): انه ذهب إلى بستان بني عامر فرأى فتى جالسا على مصلى واضعاً كمّه في فيه ، فقال: من هذا ؟ فقيل له :(م ح م د) ابن الحسن .[209]

وينقل الصدوق رواية مطولة جدا عن سعد بن عبد الله القمي : انه دخل مع احمد بن إسحاق على الإمام العسكري، فرأى غلاما على فخذه وبين يديه رمانة ذهبية يلعب بها ، وبيد

---

[206] - الكليني، الكافي، ج 1 ، ص 329 والصدوق، إكمال الدين، ص 435 ، والطوسي، الغيبة، ص 140

[207] - الصدوق، إكمال الدين، ص 435 ، والطوسي، الغيبة، ص 217

[208] - المصدر

[209] - الصدوق، إكمال الدين، ص 436

الحسن قلم إذا أراد إن يكتب شيئا قبض الغلام على يده فيدحرج الرمانة بين يديه ويشغله بردها، كيلا يصده عن كتابة ما أراد ، وكان مع احمد بن إسحاق جراب فيه هدايا الشيعة والموالي ، فوضعه بين يدي العسكري ، فقال للغلام : فضّ الخاتم ، فرفض ، وقال: أيجوز إن أمدّ يدا طاهرة إلى هدايا نجسة وأموال رجسة قد شيب حلالها بحرامها؟! فأخرجها احمد بن إسحاق ليميز بينها ، فأخذ الغلام يحكي قصة الأموال والهدايا واحدة فواحدة.. [210]

وفي رواية أخرى ينقلها الصدوق عن احمد بن إسحاق يقول فيها : انه سأل الإمام عن الخليفة بعده وانه جاء بابنه وعرضه عليه ، ولكنه لم يطمئن فسأل : يا مولاي هل من علامة يطمئن إليها قلبي؟ فنطق الغلام بلسان عربي فصيح فقال: أنا بقية الله في أرضه والمنتقم من أعدائه ، فلا تطلب أثرا بعد عين. فقال الإمام العسكري: هذا سر من سر الله ، فخذ ما آتيتك أكتمه وكن من الشاكرين .[211]

ويروي الطوسي عن كامل بن إبراهيم المدني: انه ذهب إلى الإمام العسكري ليسأله عن بعض المسائل ، وبينما هو جالس في الدار ، وإذا بالريح تكشف ستراً مرخى على باب ، وإذا هو بفتى كأنه فلقة قمر ، فقال له: يا كامل بن إبراهيم جئت إلى ولي الله وحجته وبابه تسأله كذا وكذا ، فقال: أي والله . ثم رجع الستر إلى حالته ، فلم يستطع كشفه ، ولم يعاينه بعد ذلك. [212]

وينقل أيضا عن إسماعيل بن علي النوبختي : انه دخل على الإمام العسكري قبيل وفاته بساعة ، وانه طلب من خادمه (عقيد) إن يدخل البيت ويأتيه بصبي فيه ، فقال له أبو محمد: أبشر يا بني ، فأنت صاحب الزمان وأنت المهدي وأنت حجة الله على أرضه وأنت ولدي ووصيي وأنا ولدتك ، وأنت محمد بن الحسن ... وأنت خاتم الأئمة الطاهرين ، وبشر بك رسول الله وكناك بذلك عهد اليّ أبى عن آبائك الطاهرين . [213]

رؤيته عند وفاة أبيه

---

[210] - المصدر ، ص 454 - 456

[211] - المصدر نفسه، ص 384

[212] - الطوسي ، الغيبة ، ص 148 - 149

[213] - المصدر، ص 165

وينفـرد محمـد بن علي الصـدوق من بين المـؤرخين القـدامى بذكر قصص أخرى كقصة (أبى الأديان البصري) الذي يقول: كنت اخدم الحسن بن علي واحمل كتبه إلى الأمصار فدخلت عليه في علتـه الـتي تـوفي فيهـا فكتب معي كتبـا وقـال: امضِ بهـا إلى المدائن فانك سـتغيب خمسـة عشـر يومـا وتـدخل إلى (سـر من رأى) يوم الخامس عشر ، وتسمع الواعية في داري وتجدني على المغتسل .

فقلت: يا سيدي إذا كان ذلك فمن؟ ..

قال: من طالبك بجواب كتبي فهو القائم بعدي.

فقلت: زدني.

قال: من يصلي علي فهو القائم بعدي .

فقلت: زدني.

فقال: من اخبر بما في الهميان فهو القائم بعدي.

وخرجت بالكتب إلى المـدائن، وأخـذت جواباتهـا، ودخلت (سـرّ من رأى) يوم الخامس عشر ، كما ذكر لي ، فإذا أنا بالواعيـة في داره وإذا به على المغتسـل، وإذا أنـا بجعفـر بن علي أخيـه ببـاب الدار والشيعة من حوله يعزونـه ويهنؤنـه ، فقلت في نفسـي: إن يكن هـذا الإمـام فقـد بطلت الإمامـة ، لأني كنت اعرفـه يشـرب النبيـذ ويقـامر في الجوسـق ويلعب بـالطنبور ، فتقـدمت فعـزيت وهنيت ، فلم يسألني عن شيء ثم خرج عقيد فقال: يا سيدي قد كفن أخوك فقم وصل عليه ، فدخل جعفـر بن علي والشـيعة من حوله يقدمهم السمان (عثمان بن سعيد العمري) فلمـا صـرنا في الدار إذا نحن بالحسن على نعشه مكفنـا ، فتقـدم جعفـر بن علي ليصـلي على أخيـه فلمـا همّ بـالتكبير خـرج صـبي بوجهـه سـمرة بشعره قطط بأسنانه تفليج فجذب برداء جعفر وقال: تأخر يا عمّ فأنـا أحـق بالصـلاة على أبى ، فتـأخر جعفـر ، وقـد اربـد وجهـه واصفرّ.. فتقدم الصبي وصلى عليه ودفن إلى جانب قبر أبيه ، ثم قال: يا بصري هـات جوابـات الكتب الـتي معـك ، فـدفعتها إليـه ، فقلت في نفسـي: هـذه بينتـان ، بقي الهميـان ، ثم خـرجت إلى جعفر وهو يزفر، فقال لـه حـاجز الوشـاء: يـا سـيدي من الصـبي لنقيم عليه الحجة؟ فقال: واللـه مـا رأيتـه قـط ولا اعرفـه. فنحن جلوس إذ قدم نفر من قم فسـألوا عن الحسـن بن علي فعرفـوا

موتـه، فقـالوا: فمن نعـزي؟ فأشـار النـاس إلى جعفـر بن علي فسلموا عليه وعزوه وهنئوه ، وقالوا: إن معنا كتبا وأموالا فتقـول ممن الكتب؟ فقـام ينفض أثوابـه ويقـول: تريـدون منـا إن نعلم الغيب؟!

قــال: فخــرج الخــادم فقــال: معكم كتب فلان وفلان وفلان وهميان فيه ألف دينار وعشرة دنانير منهـا مطليـة ، فـدفعوا إليـه الكتب والمال ، وقالوا: الذي وجه بك لأخذ ذلك هو الإمام .[214]

وينقل الصدوق هذه القصة برواية أخرى عن سنان الموصـلي : انه لما قبض العسكري وفد من قم والجبال وفـود بـالأموال، ولم يكن لديهم خبر وفاة الحسن، فسـألوا عن وارثـه فقيـل لهم: انـه أخوه جعفر وقد ذهب يتـنزه في دجلـة مـع المغـنين ، فـأرادوا إن يرجعوا ، ولكن أبا العباس محمد بن جعفـر الحمـيري القمي قـال لهم: قفوا بنـا حـتى ينصـرف هـذا الرجـل ونختـبر أمـره بالصـحة. وانهم طالبوا جعفر بالتحدث غيبيا عن تفاصيل الأموال وأصحابها ، فأنكر علم الغيب ... ولمـا إن خرجـوا من البلـد خـرج إليهم غلام فنادى: يا فلان ويا فلان بن فلان أجيبوا مولاكم ، قالوا فسرنا معه حتى دخلنا دار مولانـا الحسـن بن علي فـإذا ولـده القـائم سـيدنا قاعد على سرير كأنه فلقة قمر عليه ثيـاب خضـر ، فسـلمنا فـرد علينا السلام ثم قـال: جملـة المـال كـذا وكـذا .. حمـل فلان كـذا وحمل فلان كذا . ولم يزل يصف حتى وصف الجميـع.. ثم وصـف رحالنا وثيابنا وما كان معنا من الـدواب ، فخررنـا سـجداً للـه عـز وجل شكرا لمـا عرفنـا ، و قبلنـا الأرض بين يديـه ، وسـألناه عمـا أردنا فأجاب ، فحملنا إليه الأموال ، وأمرنا إن لا نحمل إلى (سـرّ من رأى) بعدها شيئا من المال ، فانه ينصب لنا ببغداد رجلا يحمل إليه الأموال ويخرج من عنده التوقيعات.[215]

محاولة القبض على المهدي

وهنـاك روايـة تاريخيـة ينقلهـا عـدد من المـؤلفين عن شـرطي اسـمه (رشـيق) يتحـدث عن محاولـة المعتضـد العباسـي للقبض على (المهـدي) وإرسـاله ثلاثـة من الشـرطة ، وذهـابهم إلى بيت الإمام الحسن العسكري في سـامراء ، ورؤيتهم في الـبيت بحـرا

[214] - الصدوق، إكمال الدين، ص 475 - 476
[215] - المصدر نفسه، ص 476 - 479

من الماء ورجلا على حصير على الماء، قائما يصلي ، وغرقهم عند محاولتهم التقدم نحوه ، ثم اعتذارهم وتراجعهم.[216]

وينقل المجلسي و الصدر قصة أخرى مشابهة ، وهي تجريد المعتضد لحملة أكبر وكبس البيت وسماع العسكر لصوت قراءة من السرداب ، واجتماعهم عند مدخله لإلقاء القبض على صاحب الصوت ، وخروجه من بين أيديهم.[217]

المطلب الثاني:

شهادة (النواب الأربعة)

لعل أهم دليل تاريخي على ولادة ووجود (الإمام محمد بن الحسن العسكري) هو شهادة (النواب الأربعة الخاصين) الذين ادعوا (النيابة) عنه ، في فترة (الغيبة الصغرى) من سنة 260 إلى سنة 329 هجرية . حيث كان هؤلاء (النواب) يدعون مشاهدته واللقاء به وإيصال الأموال إليه و نقل الرسائل و (التواقيع) منه إلى المؤمنين به.

وكان الجيل الأول من (النواب) أو (السفراء والوكلاء) رجال من أصحاب الإمامين علي بن محمد الهادي ، والحسن بن علي العسكري ، وكان على رأسهم عثمان بن سعيد العمري ، الذي كان وكيلا للإمامين في قبض الأموال من الشيعة وإيصالها اليهما في حياتهما ، والذي يصفه الشيخ الطوسي بأنه : "الشيخ الموثوق به ، ومن السفراء الممدوحين للأئمة" .[218]

ويقال : انه كان محل ثقة الإمامين العسكريين ، ولم يكن وكيلا لهما في جمع الأموال فقط ، وإنما كان يقوم بأدوار أكبر في إيصال رسائل الإمامين إلى الشيعة ، وكان يحتل مرتبة عظيمة

---

[216] - الطوسي، الغيبة، ص 149 والراوندي، الخرايج والجرايح، ص 67 ، والمجلسي، بحار الأنوار، ج 13 ، ص 118 ، ومحمد الصدر ، الغيبة الصغرى، ص 577

[217] - المجلسي، بحار الأنوار، ج 13 ، ص 118 ، ومحمد الصدر ، الغيبة الصغرى، ص 560

[218] - الطوسي، الغيبة، ص 209 و214

عنـدهما . وينقـل الشـيخ الطوسـي روايـة عن احمـد بن اسـحق القمي ، قال: دخلت على أبى الحسـن علي بن محمـد ، في يـوم من الأيــام ، فقلت: يــا سـيدي أنــا أغيب واشــهد ، ولا يتهيــأ لي الوصول إليك إذا شهدت في كل وقت ، فقـول من نقبـل ، وأمـر من نمتثل؟ فقال لي: " هذا أبو عمرو الثقة الأمين ، ما قالــه لكم فعـني يقولـه ، ومـا أداه اليكم فعـني يؤديـه" . فلمـا مضـى أبـو الحسن وصـلت إلى أبى محمـد الحسـن العسـكري ، ذات يـوم ، فقلت له مثل قولي لأبيه ، فقال لي: " هذا أبو عمرو الثقة الأمين ثقة الماضي وثقـتي في المحيـا والممـات ، فمـا قالـه لكم فعـني يقوله ، وما أدى إليكم فعني يؤديه" .[219]

وهـذه الروايـة تكشـف عن أن العمـري لم يكن وكيلا في جمـع المـال فقـط ، وإنمـا كـان يقـوم بـأدوار اكـبر في إيصـال رسـائل الإمامين الهادي والعسكري إلى الشـيعة ، ويحتـل مرتبـة عظيمـة عندهما.

وينقل الطوسي أيضـا عن احمـد بن علي بن نـوح أبـو العبـاس السيرافي ، قال : اخبرنا أبـو نصـر عبـد اللـه بن محمـد بن احمـد المعروف بابن برنية الكـاتب ، قـال : حـدثني بعض الأشـراف من الشـيعة الإماميـة أصـحاب الحـديث ، قـال : حـدثني أبـو محمـد العبــاس بن احمــد الصــائغ ، قــال : حــدثني الحســين بن احمــد الخصيبي ، قال : حدثني محمد بن إسـماعيل وعلي بن عبـد اللـه الحسنيان ، قـالا: دخلنـا على أبى محمـد الحسـن بسـرّ من رأى ، وبين يديه جماعة من أوليائه وشيعته ، حتى دخل عليه بدر خادمه ، فقال: يا مولاي بالباب قوم شعث غـبر ، فقـال لهم: هـؤلاء نفـر من شيعتنا باليمن (في حديث طويل يســوقه) إلى إن ينتهي إلى أن قال الحسن لبدر: فامض ائتنا بعثمان بن سعيد العمـري ، فمـا لبثنا إلا يسيرا حتى دخـل عثمـان ، فقـال لـه سـيدنا أبـو محمـد : امض يـا عثمـان فانـك الوكيـل والثقـة المـأمون على مـال اللـه ، واقبض من هؤلاء النفر اليمنيين ما حملـوه من المـال (ثم سـاق الحديث إلى إن قال) ثم قلنا بأجمعنا : يا سيدنا واللـه إن عثمـان لمن خيار شيعتك ، ولقـد زدتنـا علمـا بموضـعه من خـدمتك وانـه وكيلــك وثقتــك على مــال اللــه ، قــال: نعم ، واشــهدوا على أن عثمـان بن سـعيد العمـري وكيلي ، وان ابنـه محمـد وكيـل ابـني مهديكم .[220]

---

[219] - المصدر نفسه، ص 215

[220] - المصدر نفسه، ص 215 - 216

ويلاحظ إن هذه الرواية تشتمل ، إضافة إلى وثاقته ووكالته ، على وثاقة ابنه ووكالته .

ويروي الطوسي عن أبى محمد هارون بن موسى، قال ، وقال جعفر بن محمد بن مالك الفزاري عن جماعة من الشيعة، منهم علي بن بلال ، واحمد بن هلال ، ومحمد بن معاوية بن حكيم ، والحسن بن أيوب بن نوح (في خبر طويل مشهور) قالوا جميعا: اجتمعنا إلى أبى محمد الحسن بن علي نسأله عن الحجة من بعده ، وفي مجلسه أربعون رجلا ، فقام إليه عثمان بن سعيد العمري ، فقال له : يا ابن رسول الله أريد إن أسألك عن أمر أنت اعلم به مني ، فقال له: اجلس يا عثمان ، فقام مغضبا ليخرج ، فقال: لا يخرجن أحد ، فلم يخرج منا أحد إلى ان كان بعد ساعة ، فصاح (ع) بعثمان ، فقام على قدميه ، فقال: أخبركم بما جئتم ؟.. جئتم تسألوني عن الحجة من بعدي ، قالوا: نعم ، فإذا غلام كأنه قطع قمر أشبه الناس بأبي محمد ، فقال: هذا إمامكم من بعدي وخليفتي عليكم.. اقبلوا من عثمان ما يقوله وانتهوا إلى أمره واقبلوا قوله ، فهو خليفة إمامكم ، والأمر إليه .[221]

ويقول الطوسي ، نقلا عن حفيد العمري (هبة الله) : إن الحسن بن علي لما مات حضر غسله عثمان بن سعيد وتولى جميع أمره في تكفينه وتحنيطه وتقبيره مأمورا بذلك للظاهر من الحال... وكانت توقيعات صاحب الأمر تخرج على يدي عثمان بن سعيد وابنه أبى جعفر، إلى شيعته وخواص أبيه بالأمر والنهي ، والأجوبة عما يسأل الشيعة عنه إذا احتاجت إلى السؤال فيه ، **بالخط الذي كان يخرج في حياة الحسن** ، فلم تزل الشيعة مقيمة على عدالتهما إلى إن توفي عثمان بن سعيد.[222]

وهكذا اصبح العمري (نائبا خاصا) عن (الإمام المهدي) بعد إن ادعى وجوده وولادته والنيابة له . وقد سأله احمد بن إسحاق ، فقال له: أنت الآن ممن لا يشك في قوله وصدقه ، فأسألك بحق الله وبحق الإمامين اللذين وثقاك ، هل رأيت ابن أبى محمد الذي هو صاحب الزمان ؟ .. فبكى ثم قال: على إن لا تخبر بذلك أحدا وأنا حي ، قال: نعم ، قال: قد رايته ، وعنقه هكذا (يريد: أنها

---

221 - المصدر نفسه، ص 217
222 - المصدر ، ص 216

اغلظ الرقاب حسـنا وتمامـا) قـال: فالاسـم ؟ .. قـال: نهيتم عن هذا .[223]

وقد توفي عثمان بن سعيد العمري بعد وفاة الإمـام العسـكري بسنتين، وخلف ابنه محمد (سفيرا) بين الإمام المهدي والشيعة.

وينقل الكليني والطوسي (تواقيع) واردة من الإمام ، بتوثيقـه وتزكيته وتنصيبه في منصب (النائب الخاص) .[224]

ويقول عبد الله بن جعفر الحمـيري القمي ، زعيم الشـيعة في قم : إن المهدي قد أرسل إلى العمري الابن (توقيعا) جاء فيه : " إنا لله وانا إليه راجعون ، تسليما لأمره ورضاء بقضـائه.. عـاش أبوك سعيدا ومات حميدا ، فرحمه الله وألحقه بأوليائه ومواليـه ، فلم يزل مجتهـدا في أمـرهم سـاعيا في مـا يقربـه إلى اللـه عـز وجل ، نضّر الله وجهه وأقاله عثرتـه.. . وكـان من كمـال سـعادته إن رزقه اللـه تعـالى ولـدا مثلـك يخلفـه من بعـده ويقـوم مقامـه بأمره ويـترحم عليـه ، واقـول : الحمـد للـه ، فـان الأنفس طيبـة بمكانك وما جعله الله عز وجل فيك وعندك ، أعانـك اللـه وقـوّاك وعضدك ووفقك وكان لك وليا وحافظا وراعيا وكافيا" .[225] وقـال الحميري : لما مضى أبـو عمـرو (عثمـان بن سـعيد) أتتنـا الكتب بالخط الذي كنا نكاتب به بإقامة أبى جعفر مقامه.[226]

وقال محمد بن إبراهيم بن مهزيار الاهوازي : انه خرج إليه بعد وفاة أبى عمرو :" والابن وقاه اللـه لم يـزل ثقتنـا في حيـاة الأب رضي الله عنه وأرضاه ونضّر وجهه ، يجري عندنا مجراه ، ويسـدّ مسده ، وعن أمرنا يأمر الابن ، وبه يعمل ، تولاه الله ، فانتـهِ إلى قوله وعرّف معاملتنا ذلك" .[227]

وروى الطوسي عن إسحاق بن يعقوب : قال سألت محمـد بن عثمـان العمـري ، أن يوصـل لي كتابـا قـد سـألت فيـه مسـائل اشكلت علي ، فوقع (التوقيع) بخط مولانا صـاحب الـدار: " وأمـا محمد بن عثمان العمري رضي الله عنه وعن أبيه من قبل ، فانـه ثقتي وكتابه كتابي" .[228]

---

[223] - المصدر ، ص 215
[224] - المصدر ، ص 218
[225] - المصدر ، ص 220
[226] - المصدر نفسه.
[227] - المصدر نفسه.
[228] - المصدر نفسه.

وكـان العمـري إذا سُـئل : هـل رأيت المهـدي ؟ يقـول:" نعم ، وآخر عهدي به عند بيت الله الحرام ، وهو يقول :" اللهم أنجز لي ما وعدتني" ، ورايتـه متعلقـا بأسـتار الكعبـة في المسـتجار، وهـو يقـول : "اللهم انتقم لي من أعـدائي ".. واللـه إن صـاحب هـذا الأمر ليحضر الموسم كل سنة يـرى النـاس ويعـرفهم ويرونـه ولا يعرفونه" .[229] ويقول الطوسي: إن التوقيعات كـانت تخـرج على يد العمري طول حياته بالخط الذي كانت تخرج في حياة أبيـه ، لا يعرف الشيعة في هذا الأمر غيره. [230]

واستمر العمري (الابن) في هذا المنصب حوالي خمسين عامـا حيث تـوفي في مطلـع القـرن الرابـع الهجـري سـنة 305 هـــ ، وأوصـى إلى (الحسـين بن روح النوبخـتي) الـذي كـان واحـدا من عشرة وكلاء له في بغداد . وهكـذا أوصـى النوبخـتي الـذي تـوفي سنة 325 هجرية إلى النائب الرابع (علي بن محمد السـمري ، أو الصيمري) كخليفة من بعده بالوكالة عن الإمام المهـدي الغـائب . [231]

والى جانب هؤلاء (النواب الأربعة) ادعى النيابة حوالي أربعة وعشرين رجلا آخر من أصحاب الإمامين الهـادي والعسـكري ، أو من أتباعهم كالحسن الشريعي ، ومحمد بن نصير النميري ، وأبي هاشـم داود بن القاسـم الجعفـري ، واحمـد بن هلال العبرتـائي ، ومحمــد بن علي بن بلال، وإسـحاق الأحمـر، وحــاجز بن يزيــد ، ومحمد بن صالح الهمداني ، ومحمـد بن جعفـر بن عـون الاسـدي الـرازي ، ومحمـد بن إبـراهيم بن مهزيـار، والحسـين بن منصـور الحلاج، وجعفر بن سهيل الصيقل، ومحمد بن غـالب الأصـفهاني ، واحمد بن إسحاق ألا شعري القمي، والقاسـم بن محمـد بن علي بن إبـراهيم الهمـداني، ومحمــد بن صــالح القمي ، والقاســم بن العلاء وابنـــه الحســـن، ومحمـــد بن علي الشـــلمغاني ابن أبى العزاقر ، وأبو دلف الكاتب .

وكان الكثير من هؤلاء يدعي وجـود "علاقـة خاصـة" بينـه وبين الإمامين الهادي والعسكري ومن ثم (الإمام المهـدي) كمـا يـدعي القـدرة على اجـتراح المعـاجز و العلم بـالغيب ، ويخـرج رسـائل سرية يقول أنها وردته من الإمـام الغـائب ، ويقـوم على أساسـها باستلام الأموال والحقوق الشرعية . وقد اختلف الشيعة الإماميـة

---

[229] - المصدر نفسه، ص 222

[230] - المصدر نفسه، ص 221

[231] - الصدوق، إكمال الدين، ص 503

القـائلون بوجـود الإمـام الثـاني عشـر، فيمـا بينهم ، حـول صـدق أولئك النواب وصحة ادعائهم بالنيابة ، فـذهب فريـق إلى تصـديق (النـواب الأربعـة) الأوائـل ، وذهب فريـق آخـر، كالنصـيرية، إلى تصـديق الشـريعي والنمـيري ، كمـا ذهب آخـرون إلى تصـديق مجموعة أخرى.

وعلى أي حال فان البعض يعتبر وجود (النواب الأربعة) وغيرهم ، شـهادة تاريخيـة على وجـود ابن للإمـام الحسـن العسـكري هـو (الإمام المهدي) إضافة إلى تلك الروايات التاريخية التي تحـدثت عن ولادته ومشاهدته في حياة أبيه واللقاء به بعد ذلك .

يقول السيد محمد باقر الصدر في كتابه :(بحث حول المهـدي) انه ليس من المعقول إن يكذب أولئك النواب الثقـاة العـدول في دعواهم النيابة أو في وجود الإمام المهدي . بعد أن اجمع الشـيعة على صدقهم وورعهم وتقواهم.

وقد اعتبر بعض المحدثين السـابقين كالنعمـاني محمـد بن أبى زينب : إن وجود أولئك النواب الخاصين الأربعة في فـترة (الغيبـة الصغرى) وانقطاعهم في فترة (الغيبة الكبرى) الممتدة منذ ذلك الحين إلى يـوم الظهـور، وانسـجام الفـترتين مـع الروايـات الـتي تتحدث عن وجـود غيبـتين صـغرى وكـبرى للإمـام المهـدي ، دليلا على وجود (محمد بن الحسن العسكري) وصحة غيبته.

المطلب الثالث: رسائل المهدي

ذكر الصدوق والطوسـي وابن شهرآشـوب والطبرسـي عـددا من الرسائل التي قالوا: إن (الإمام محمد بن الحسن العسـكري) قـد بعث بها إلى عدد من (وكلائه) في عصر (الغيبة الصـغرى) . منهـا ما رواه الطوسي في :(الغيبـة) عن احمـد بن إسـحاق ألا شـعري القمي الذي يقول انه كتب إلى (ابن الحسن) رسالة حـول دعـوة جعفر بن علي الهادي لأهل قم لأتباعـه بعـد وفـاة أخيـه . ويقـول فيها : إن (صاحب الزمـان) كتب إليـه كتابـا يتضـمن اتهـام جعفـر بالجهل بالدين، وبالفسق وشـرب الخمـر والعصـيان للـه ، وبعـدم امتلاكـه لأيـة حجـة ، ودعـوة لامتحانـه ، وتأكيـدا على عـدم جـواز اجتماع الإمامة في أخوين بعد الحسن والحسين.[232]

---

232 - الطوسي، الغيبة، ص 174 - 176

كما ينقل الطوسي رواية ثانية عن ابن أبى غانم القزويني، انـه وجماعة من الشيعة اختلفوا حول وجود (الخلـف) وتشـاجروا ، ثم انهم كتبوا في ذلك كتابـا أنفـذوه إلى (الناحيـة)[233] وأعلمـوه بمـا تشاجروا فيه ، فورد جواب كتبهم بخطه (ع) وكـان يتضـمن أسـفا وحرقة عليهم ، ودعوة للتسليم وعدم محاولة الكشف عن أسـتار الغيبة. [234]

وتوجد رسالة ثالثة يرويهـا الصـدوق عن إسـحاق بن يعقـوب ، قـال: سـألت محمـد بن عثمـان العمـري إن يوصـل لي كتابـا قـد سألت فيـه عن مسـائل اشـكلت عليّ ، فـورد التوقيـع (الجـواب) بخط مولانا صـاحب الـدار ، وكـان فيـه:" وأمـا الحـوادث الواقعـة فارجعوا فيهـا إلى رواة حـديثنا ، فـانهم حجـتي عليكم، وأنـا حجـة الله عليهم" كما كـان يتضـمن التوقيـع تزكيـة وتوثيقـا للعمـري ، وإباحة للخمس في عصـر الغيبـة ، ونهيـا عن السـؤال عن سـبب الغيبة . [235]

وينقل الصدوق رسالة أخرى من (الإمام المهـدي) إلى (النـائب الأول): عثمان بن سعيد العمري وابنه محمد (النائب الثاني) يذكر فيها أخبار الخلاف بين الشيعة حول (الخلف) وقول بعضهم بعـدم وجود غير جعفر بن علي ، ويطالب الشيعة بعدم البحث عما ستر عنهم لكي لا يـأثموا ، وعـدم كشـف سـتر اللـه لكي لا ينـدموا ، والاقتصار على الإجمال والتعريض ، دون التفسير والتصريح . [236]

وقـد ذكـر ابن شـهر آشـوب في (المنـاقب) والطبرسـي في (الاحتجاج) : أن المفيد اخرج نسـخا من رسـائل ، قـال إن الإمـام المهدي قد بعثها إليه بيد أعرابي وبخط رجل آخر ، وكان المهدي يخـاطب فيهـا المفيـد بـالأخ السـديد والمـولى الرشـيد والمخلص الناصر ، وملهم الحق ودليله والعبد الصالح الناصر للحق والداعي إليه بكلمة الصدق.[237]

---

233 - ناحية الإمام المهدي، عبر سفيره الخاص.

234 - الطوسي، الغيبة ، ص 172 - 174

235 - الصـدوق، إكمـال الـدين، ص 473 ، والطوسـي، الغيبـة، ص 186 - 188

236 - الصدوق، إكمال الدين، ص 510

237 - راجع أيضا: النوري الطبرسي، خاتمـة المسـتدرك، ج 3 ، ص 518 ، والجزائري ، الأنوار النعمانية، ج 2 ، ص 21 ، وابن بطريـق الحلي، رسـالة

هذه أهم القصص التي تروى عن مشاهدة (الإمام محمد بن الحسن العسكري) عند ولادته وفي حياة أبيه وعند وفاته وبُعيد ذلك.. وهناك قصص أخرى كثيرة تروى عن مشاهدته في البيت الحرام في الطواف أو في شعب من شعاب الطائف أو في المدنية أو هنا وهناك ، وهي أقل دلالة من هذه القصص وأضعف سنداً.. وربما كانت قصة حكيمة وأبي الأديان البصري هما اشهر القصص التي تروى عن ولادة ووجود (الإمام الثاني عشر) .

المبحث الرابع

الدليل الإعجازي على وجود (المهدي)

وبالإضافة إلى الأدلة العقلية، والنقلية، والتاريخية، على وجود (محمد بن الحسن العسكري) فان المؤيدين لهذه النظرية يوردون دليلا رابعا هو: (المعاجز) التي يقولون إن (النواب الأربعة) كانوا يقومون بها أو (علم الغيب) الذي كانوا يتحدثون عنه .

وقد استعرضنا كثيرا من تلك (المعاجز) في أثناء الحديث عن الروايات التاريخية حول ولادة (ابن الحسن) ووجوده ، في الفصل الماضي ، وسوف نقوم الآن باستعراض (المعاجز) التي قدمها (النواب الأربعة: عثمان بن سعيد العمري ومحمد بن عثمان ، والحسين بن روح النوبختي وعلي بن محمد السمري) وكلاء (الإمام المهدي) في فترة :(الغيبة الصغرى) التي امتدت حوالي سبعين عاما من 260 للهجرة إلى 329 هـ تاريخ وفاة (النائب الرابع).

وقد ذكر الشيخ المفيد قصة محمد بن إبراهيم بن مهزيار ، الذي شكك في وجود (الإمام المهدي) بعد وفاة الإمام العسكري ، والذي يقول :" إن أباه قد أوصى إليه بمال جليل وأمره إن يتقي الله فيه ويسلمه لخليفة الإمام العسكري ، فقال في نفسه: احمل هذا المال إلى بغداد واكتري دارا على الشط ولا اخبر أحدا بشيء ، فان وضح لي شيء كوضوحه في أيام أبى

نهج العلوم، والتنكابني ، قصص العلماء ، ص 399

محمـد، انفدتـه ، وإلا أنفقتـه في ملاذي وشـهواتي". فقـدم بغـداد واكـترى دارا على الشـط وبقي أيامـا فـإذا برقعـة مـع رسـول ، وفيها: يا محمد معك كذا وكـذا... حـتى قصّ عليـه جميـع مـا معـه وذكـر في جملتهـا شـيئا لم يحـط بـه علمـا، فسـلم المـال إلى الرسول ، وبقي أياما، ثم خـرج إليـه إعلان بنصـبه (وكيلا) مقـام أبيه .[238]

وذكر الكليني والمفيد والطوسـي أمثلـة كثـيرة على " معـاجز" النواب ، وعلمهم بالغيب ، كدليل على ارتباطهم بالإمام المهدي ، وعلى وجود المهدي وارتباطه بالسماء .

منها قيام الإمام المهدي برفع جمل وما عليه في السماء .

ومنها : نهي المهدي لرجل عن ختان ابنه ، ومـوت الطفـل بعـد ذلك بقليل .

ومنهـا نهي رجـل عن السـفر في الـبر والبحـر وأمـره بالإقامـة بالكوفة ، وخروج القراصنة وقطاع الطرق على القوافل في ذلك الوقت .

ومنها قصة معرفة العمـري بموضـع أمانـة نسـيها الرسـول بين أمتعتـه ، مـع عـدم حمـل الرسـول لأيـة تـذكرة أو كتـاب حـول الموضوع.

ومنها أخبار العمري بتاريخ وفاته في اليوم والشهر والسنة.

ومنها أخبار العمري النـاس بالأجوبـة العجيبـة ، وإخبـاره لرجـل بتفاصيل خلاف سري بينه وبين زوجته .

ومنهـا قـدرة النـائب الثـالث: الحسـين بن روح النوبخـتي على قراءة رسالة بيضاء ومعرفته بمحتوياتها، والإجابة عليها بسرعة.

ومنها أخبار علي بن بابويه الصدوق بـولادة ولـدين صـالحين لـه في المستقبل .

ومنهـا : أخبـار النوبخـتي لعـدد من النـاس بحـل قضـاياهم في المسـتقبل بالتحديـد وبالتفصـيل ، وبمـوت بعض الأشـخاص في أوقات محددة من قبل .

---

[238] - المفيد ، الإرشاد، ص 351

ومنها : معرفة النوبختي باللغات الأجنبية والتكلم بها ، من دون تعلم ، بالمعجزة .

ومنها : أخبار النائب الرابع السمري ، لأصحابه ، وهو في بغداد ، بنبأ وفاة علي بن الحسين بن بابويه في قم في نفس اليوم .

ومنها أخبار الشيعة بتاريخ وفاته بعد ستة أيام.

ومنها أخبار الوكيل القاسم بن العلاء بقرب وفاته بعد أربعين يوما ، وإرجاع بصره إليه بعد فقده لمدة طويلة ، و إخباره ببقاء ولده وعدم موته كأخوته السابقين .

ومنها علم النواب بمصدر الأموال التي كانت ترد إليهم .

ومنها إخبار محمد بن زياد الصيمري بوفاته وموته في الوقت المحدد .[239]

ويشير الطوسي إلى "دليل المعاجز" ويعتبره : دليلا على إمامة ابن الحسن وثبوت غيبته ووجود عينه ، " لأنها أخبار تضمنت الإخبار بالمغيبات وبالشيء قبل كونه على وجه خارق للعادة لا يعلم ذلك إلا من أعلمه الله على لسان نبيه (ص) ووصل إليه من جهة مَن دلّ الدليل على صدقه ، لأن المعجزات لا تظهر على يد الكذابين ، وإذا ثبت ذلك دلّ على وجود من اسندوا ذلك إليه" .[240]

المبحث الخامس: **دليل الإجماع**

بعد الدليل الفلسفي (العقلي ، أو الاعتباري) والدليل الروائي (النقلي) والدليل التاريخي ، ودليل (المعاجز الغيبية) الخارقة للعادة.. بعد كل ذلك ، يأتي دليل الإجماع الذي يشير إليه بعض القائلين بنظرية وجود (محمد بن الحسن العسكري) وولادته. الذي كان أول من أشار اليه، سعد بن عبد الله إلا شعري القمي،

---

239 - الكليني، الكافي، ج 1 ـ 519، والمفيد، الإرشاد، ص 352 ـ 355 ، والطوسي، الغيبة، ص 179 و 184 و192 و 193 و222 و243

240 - الطوسي ، الغيبة، ص 199

في القرن الثالث الهجري.[241] وكذلك النوبختي، الذي قال:" إن الشيعة اجمعوا جميعا على إن الإمام الحسن العسكري قد خلف ولدا هو الإمام " وقال: "إن كل من قال بإمامة الأحد عشر من آباء القائم لزمه القول بإمامة الثاني عشر ، لنصوص آبائه عليه باسمه ونسبه وإجماع شيعتهم على القول بإمامته ، وانه القائم الذي يظهر بعد غيبة طويلة فيملأ الأرض قسطا وعدلا".[242]

وهو ما يتبادر إلى الأذهان اليوم ، حيث يحتج الكثير من الناس بأن قضية وجود (الإمام المهدي محمد بن الحسن العسكري) هي من الأمور "المجمع عليها" بين صفوف الشيعة الإمامية الاثني عشرية على الأقل.

المبحث السادس

لماذا الغيبة ؟

بعد تقديم جميع الأدلة العقلية والنقلية والتاريخية على " وجود " (محمد بن الحسن العسكري) وولادته في منتصف القرن الثالث الهجري ، فان غيبته عن الأنظار وعدم خروجه وتصديه لقيادة الأمة الإسلامية والاضطلاع بمهام الإمامة ، يشكل تحديا كبيرا للقائلين بوجوده ، ولذلك كان عليهم إن يفسروا " سرّ الغيبة" . وقد قدموا عدة نظريات في تفسير ظاهرة الغيبة المحيرة ، وهي كما يلي:

1 - نظرية الحكمة المجهولة . وقد مال الشيخ الصدوق إلى هذه النظرية ، وحتّم وجود حكمة في غيبة الإمام ، انطلاقا من آثار حكمة الله في حججه المتقدمين ، وقال:" إن إيماننا بعصمة الإمام المهدي يقتضي منا التسليم بوجود حكمة وراء غيبته".[243]

وقد نفى السيد المرتضى علم الهدى ، ضرورة معرفة سبب الغيبة على وجه التعيين ، وكفاية علم الجملة بوجود سببٍ ما للغيبة ، مع الإيمان بعصمة الإمام ، واعتبر العلم في ذلك كالعلم

---

241 - إلا شعري القمي، المقالات والفرق، ص 106
242 - الصدوق، إكمال الدين ، ص 44 و93
243 - الصدوق، إكمال الدين، ص 21 و85

بمراد الله من الآيات المتشابهات في القرآن الكـريم. [244] وهكـذا قـال الشـيخ الطوسـي بضـرورة افـتراض سـبب لغيبـة (صـاحب الزمان) واستتاره ، والقول بوجود حكمة مسـوّغة وان لم نعلمهـا مفصلا ، كما يتم افـتراض أسـباب وحكم لخلـق اللـه (عـز وجـل) للبهائم والمؤذيات والصور القبيحة وإيلام الأطفــال ، وان لم نعلم وجه حكمتها بالتفصيل ، وقـال:" إذا علمنـا إمامتـه بـدليل وعلمنـا عصمته بدليل آخر، وعلمناه غاب ، حملنا غيبته على وجـه يطـابق عصمته ، فلا فرق بين الموضعين". [245] وقال الشيخ محمد حسـين كاشـف الغطـاء:" إن السـؤال عن الحكمـة سـاقط ، إذا قـامت البراهين على وجوب وجود الإمـام في كـل عصـر ، وان الأرض لا تخلو من حجة ، وان وجوده لطـف وتصـرفه لطـف آخـر" واعتـبر المقام أدق واغمض من ذلك ، كما اعترف بجهـل الحكمـة وعـدم الوصول إلى حاقّ المصلحة . [246]

2 - نظرية التمحيص . وهنـاك نظريـة أخـرى في تفسـير (غيبـــة الإمـــام) هي نظريـــة (التمحيص) أي تمحيص الشـــيعة وتميـــيزهم وغـــربلتهم من اجـــل التعـــرف على حقيقـــة إيمـــانهم بالمهـدي وصـبرهم على البلاء. وقــد روى الصــدوق والطوســي روايات عديدة في هذا المضمون عن الإمـامين البـاقر والصـادق، ويتحدث بعض تلك الروايات عن عدم ظهور صاحب الأمـر إلا بعـد ذهـاب ثلـثي النـاس ، وعـدم بقـاء أحـد إلا القليـل ، وعن غربلـة الشيعة كما يغربل الزوان من القمح . [247]

وتقول رواية منها:" انه لا بد لصاحب هذا الأمر من غيبة يغيبهـا، حتى يرجع عن هذا الأمر من كان يقـول بـه ، إنمـا هي محنـة من اللــه امتحن بهــا خلقــه ، وان عقــولكم تصــغر عن هــذا الأمــر، وأحلامكم تضــيق عن حملــه ، ولكن إن تعيشــوا تــدركوه ". [248] وتشبه رواية أخـرى منهـا " غيبـة المهـدي" بإبطـاء العقوبـة الـتي استنزلها نوح من السماء حـتى أخـذت طوائـف من المؤمـنين بـه

244 - المرتضى، تلخيص الشافي، للطوسي، ج 4 ، ص 211

245 - الطوسي، الغيبة، ص 57 - 58

246 - كاشف الغطاء، اصل الشيعة وأصولها، ص 71

247 - الصــدوق، إكمــال الــدين، ص 346 و348 ، والطوســي، الغيبــة، ص 203 و204 و206

248 - الصــدوق، إكمــال الــدين، ص 360 ، والطوســي، الغيبــة، ص 104 و 204

ترتـد طائفـة بعـد أخـرى .. وكـذلك القـائم فانـه تمتـد أيـام غيبتـه ليصرح الحق عن محضه ويصفو من الكدر بارتداد كـل من كـانت طينته خبيثة من الشـيعة الـذين يخشـى عليهم النفـاق إذا أحسـوا بالاستخلاف والتمكين والأمن المنتشر في عهـد القـائم .[249] ولكن لم يأخـذ بهـذه النظريـة سـوى الصـدوق ، وقـد أهملهـا المفيـد والمرتضـى والطوسـي . وان كـانوا قـد ذكـروا بعض الروايـات المتضـمنة لهـا ، وفسـر الطوسـي تلـك الروايـات الـواردة حـول امتحان الشيعة في حال الغيبة بأنها تعني اتفاق ذلك في أثنائهـا لا انه سبب لها.[250]

3- نظرية الخوف. وهذه أقوي نظريـة في تفسـير سـبب الغيبة، وقد روى الكليني والصدوق، مجموعـة روايـات عن الإمـام الصـادق ، تشـير إلى أن سـبب الغيبـة هـو الخـوف على الحيـاة والتقية .[251]

وقال الشيخ المفيد:" خلف الحسن ابنـه المنتظـر لدولـة الحـق وكان قد أخفى مولده ، وستر أمره، لصعوبة الوقت وشـدة طلب سلطان الزمان له واجتهاده في البحث عن أمره ، ولِما شـاع من مذهب الإمامية فيه وعـرف من انتظـارهم لـه ، فلم يظهـر ولـده في حياته ولا عرفه الجمهور بعد وفاته" .[252]

واعتبر المفيـد أن الظـروف المحيطـة بغيبـة (الإمـام المهـدي) اصعب بكثير من الظروف التي أحاطت بالأئمة السابقين من أهل البيت، الذين لم يختفـوا عن الأنظـار، وكـانوا يتحصـنون بالتقيـة ، وان سلاطين الزمان كانوا يعلمون قيام المهدي بالسيف ، ولـذلك كانوا احرص على ملاحقته واستيصال شأفته ، وان السـبب الـذي كان يمنعه من الخروج هو قلة الأعوان والأنصار" .[253]

وأكد السـيد المرتضـى:" إن سـبب غيبتـه إخافـة الظـالمين لـه ومنعهم يده عن التصرف فيما جعل إليه التـدبير والتصـرف فيـه ،

---

[249] - الصـدوق، إكمـال الـدين، ص 352 و357 ، والطوسـي، الغيبـة، ص 104 و108

[250] - الطوسي، الغيبة، ص 203

[251] - الكليني، الكافي، ج 1 ، ص 337 – 338 و 340 والصدوق، إكمال الدين، ص 481

[252] - المفيد، الإرشاد، ص 345

[253] - المفيد، الأمالي، والفصول المختارة، ص 395

فإذا حيل بينه وبين مراده سقط عنه فرض القيام بالإمامــة ، وإذا خاف على نفسه وجبت غيبته ولزم استتاره ".[254]

وقال الكراجكي :" إن السبب في غيبة الإمام إخافة الظـالمين له وطلبهم بسفك دمه، وإعلام اللـه انـه مـتى أبـدى شخصـه لهم قتلوه ، ومتى قدروا عليه أهلكـوه ، وإنمـا يلزمـه القيـام بواجباتـه بشرط التمكن والقدرة وعـدم المنـع والحيلولـة، وإزالـة المخافـة على النفس والمهجة ، فمتى لم يكن ذلك فالتقية واجبة، والغيبــة عند الأسباب الملجئة إليها لازمة ، لأن التحـرر من المضـار واجب عقلا وسمعا" .[255]

وحصر الطوسي أسباب الغيبة في الخوف ، وقـال:" لا علـة تمنع من ظهوره (ع) إلا خوفه على نفسه من القتل ، لأنه لو كان غير ذلك لما ساغ له الاستتار، وكان يتحمل المشاق والأذى ، فان منـازل الأئمـة وكـذلك الأنبيـاء (ع) إنمـا تعظم مـنزلتهم لتحملهم المشاق العظيمة في ذات الله ".[256]

ولكن لماذا يخاف الإمـام (محمـد بن الحسـن) على نفسـه من القتل ، وقد خرج الإمام الحسين وضحّى بنفسه في كـر بلاء؟ إن السيد المرتضى والشيخ الطوسي والكراجكي يجيبـون على ذلـك بالقول:" إن أحدا من البشر لا يقوم مقـام الإمـام المهـدي ، لأنـه آخر الأئمة ولأن مصلحة المكلفين مقصورة عليه.!".[257]

وهذا الجواب يفترض عدة أمور هي :

1 - تحديـد مهدويــة الإمــام الثـاني عشــر من قبـل الأئمــة السابقين ، والإشارة إليه من قبل .

2 - وجـود أزمـة سياسـية وعـداوة وخـوف لـدى السـلطات العباسية من المهدي ، ووجـود خـوف شـديد واعظم لـدى الإمـام من المخاوف التي كـانت في عصـور الأئمـة السـابقين، في ظـل الحكام الأمويين والعباسيين.

---

254 - المرتضى، الشافي، ج3 ، ص 149

255 - الكراجكي، كنز الفوائد، ج1 ، ص 371

256 - الطوسي، الغيبة، ص 203

257 - المرتضى، الشافي، ج1 ، ص 147 ، والطوسي، الغيبة، ص 63، والكراجكي، كنز الفوائد، ج 1 ، ص 371

3 - خاتمية الإمام الثاني عشر للأئمة وانحصار الإمامة فيه.

4 - تحريم التقية للمهدي قبل قيامه و ظهوره .

وإلا فإذا قلنا : إن الأئمة السابقين لم يحددوا هوية المهـدي من قبل ، فلا حاجة له للغيبة منذ ولادته. وإذا ثبت إن العلاقة بين أهل البيت والعباسيين في تلك الفترة كانت طبيعية وإيجابية ولا يوجــد فيها ضغط أو توتر سياسي ، فلا حاجة أيضا إلى الغيبــة. وإذا قلنــا إن الإمام الثاني عشر هــو واحــد من الأئمــة وليس آخــرهم ، كمــا كان الاماميون يعتقدون في البداية وحتى نهاية القرن الثالث ، فلا توجد ضرورة للغيبة ، لأن الأئمة السابقين كـانوا جميعـا معرضـين للقتل ولم يغيبوا. وإذا قلنا إن الإمام الثاني عشر (المهدي) يجــوز له استخدام التقية كسائر الأئمــة فرضــاً ، فانــه كـان بمقـدوره إن ينفي هويته ومهدويته إلى أن يظهــر ، ولم يكن بحاجــة إلى الغيبــة منذ ولادته.

المطلب الثاني: أين مكان الغيبة؟

إن معظم الروايــات الــتي تتحــدث عن (المهــدي محمــد بن الحسن العسكري) تشير إلى انه كان في بيت أبيــه في (ســرّ من رأى) عاصمة الخلافة العباسية يوم ذاك ، وان الذين شـاهدوه في حياة أبيه شاهدوه فيها ، وتقول بعض الروايات : انه خرج للصــلاة على جثمان أبيه الذي توفي ودفن في (سامراء) وانــه التقى بعــد ذلك بوفد قم الذي جاء يبحث عن الإمام الجديد ، وانه ظل مقيما في البيت إلى أعوام طويلة حتى دهمته قوات المعتضد العباسي، فغاب في (السرداب). وقد بـنى الخليفـة العباسـي الناصـر باللــه قبة على ذلك السرداب ، لا تزال موجودة حـتى اليـوم ، ويزورهـا الشيعة من كل مكان ، وهي القبة المعروفة بقبة سرداب الغيبة ، في جـوار قـبر الإمـامين الهـادي والعسـكري في مدينـة سـامراء شمالي بغداد .

ويورد الشيخ المفيد قصة رجل اسمه (علي بن الحسين) يقول : انه زار الإمام المهدي في بيته في سامراء ، وجلس عنده ثلاثــة أيام ، كما يذكر قصة (الحسـن بن الفضـل) الـذي يقـول انـه ورد العسـكر (أي : سـامراء) فبعث إليــه الإمـام المهـدي صـرة فيهـا دنانير. وينقل المفيد عن الحسن بن عبد الحميد انه شك في أمر

أحد وكلاء المهدي واسمه (حاجز بن يزيد) فـذهب إلى العسـكر ، فخرج إليه ما يؤكد صحة دعوى ذلك الوكيل وينهاه عن الشك.[258]

المطلب الثالث: كم هي مدة الغيبة؟

لقد كانت مدة الغيبـة في الأيـام الأولى محـددة بـزمن قصـير، وكانت تتـأرجح بين أيـام وشـهور أو سـنين لا تتجـاوز عـدد أصـابع اليدين ، كمـا تقـول روايـات كثـيرة يـذكرها الكليـني والطوسـي . بينما كانت روايات أخرى، تقـول : أنهـا سـتطول حـوالي ثلاثين أو أربعين عاما. وأشار بعض الروايات إلى تحديد مدة الغيبـة بـوقت قصير جدا، وحداثة عمر الإمام المهدي عند الظهور، وقـد فسـرها النعماني بحداثة عمره وقت إفضاء الإمامة إليه. ونقـل الطوسـي رواية أخـرى عن الإمـام البـاقر: إن صـاحب هـذا الأمـر لا يتجـاوز الأربعين . وقـالت روايـات أخـرى: إن عمـره قـد يجـاوز المائـة والعشرين . بينمـا روى الطوسـي في مكـان آخـر،عن أبى عبـد الله (ع) : انه قال: ما تنكرون إن يمد الله لصاحب هذا الأمـر في العمر كما مـد لنـوح في العمـر؟ . وردّ على من استشـكل طـول مدة الغيبة وخروجها عن العادة ، بأن الأمر ليس على مـا قـالوه ، ولـو صـح لجـاز إن ينقض اللـه العـادة لضـرب من المصـلحة. واستشـهد الصـدوق والطوسـي بغيبـات الأنبيـاء السـابقين مثـل موسـى بن عمـران ويوسـف بن يعقـوب ويـونس بن مـتى ، وأصـحاب الكهـف وصـاحب الحمـار ، ونـوح وسـلمان الفارسـي والـدجال ولقمـان بن عـاد وربيـع بن ضـبع ويعـرب بن قحطـان ، الذين قيل انهم غابوا عن أقوامهم لفترات من الزمان .[259]

المطلب الرابع: كيفية التأكد من هوية المهدي

وعلى أي حال فـان الغيبـة الطويلـة أدت و تـؤدي إلى مشـكلة موضوعية أخرى ، وهي : كيفية التعرف على المهدي عند الظهور ، والتأكد من هويته. ولم تكن هذه المشكلة مطروحة في البداية وخاصة في عصر (الغيبة الصغرى) ولكنها بدأت تفرض نفسها مع

---

258 - المفيد، الإرشاد، ص 355

259 - الكليني، الكافي، ج 1 ، ص 338 و340 والطوسي ، الغيبة، ص 76 - 78 و 104 و258 والنعماني، الغيبة، ص 323

توالي الزمان .. ومرور الأعوام. وقد كانت مدار بحث ونقاش بين الرافضين لوجود المهدي والقائلين به ، في ذلك الوقت. وقد تصدى الشيخ الصدوق لمناقشتها ، وقال ردا على المعتزلة والمعارضين الذين كانوا يغمزون من هذه القناة:" انه قد يجوز بنقل من تجب بنقله الحجة من أوليائه ، وقد يجوز إن يظهر معجزا يدل على ذلك، وهذا الجواب الثاني هو الذي نعتمد عليه ونجيب الخصوم به ، وان كان الأول صحيحا" .[260]

وقد أشار المفيد والمرتضى والطوسي إلى هذه المشكلة : (مشكلة التعرف على المهدي والتأكد من هويته عند الظهور) بذكر مجموعة كبيرة من المعاجز والآيات الكونية الغريبة التي تسبق الظهور كعلامات على قيامه . وعالج السيد المرتضى المشكلة في معرض مناقشته لإمكانية الظهور المؤقت أثناء فترة الغيبة ، فاشترط ظهور آيات تدل على صدقه. [261]

المطلب الخامس: علائم الظهور

يذكر الكليني والصدوق والمفيد والطوسي والعياشي : مجموعة كبيرة من الروايات تربط بين الظهور وبين حدوث علائم سماوية ، تتعلق بتوقف حركة الأفلاك ، وتغير في قوانينها ، وما شابه من المعاجز غير الطبيعية ، كركود الشمس وقت الزوال إلى وقت العصر ، وخروج صدر رجل ووجهه في عين الشمس ، وكذلك وقوع الكسوف والخسوف بصورة غير طبيعية ، ككسوف الشمس في النصف من شهر رمضان وخسوف القمر في آخره. أو تكلم العلم والسيف مع (الإمام المهدي) ومناداته بعدم جواز القعود بعد ذلك الوقت. فيخرج ويقتل أعداء الله حيث ثقفهم ، ويقيم حدود الله ويحكم بحكم الله . إضافة إلى طلوع الشمس من المغرب ، وطلوع نجم بالمشرق يضيء كما يضيء القمر... وخروج جراد في أوانه وغير أوانه.. وخروج العبيد عن طاعة أسيادهم وقتلهم مواليهم.. ومسخٍ لقوم من أهل البدع حتى يصيروا قردة وخنازير ، وغلبة العبيد على بلاد السادات.. ونداء من السماء يسمعه أهل الأرض كلهم ، كل أهل لغة بلغتهم ، وأموات ينشرون من القبور حتى يرجعوا إلى الدنيا فيتعارفون فيها ويتزاورون..

---

[260] - الصدوق، إكمال الدين ، ج 1 ، ص 61 - 62

[261] - المرتضى، الشافي، ج 1 ، ص 149

ويـذكر المفيـد : إن جبرائيـل يـنزل على القـائم لمبايعتـه عنـد الظهور ، ويقول الطوسي: إن أصحاب القائم سـوف ينقلـون إلى مقر المهدي من بيوتهم بصورة اعجازية كلمح البصر.!

ويتحدث المفيـد عن بعض العلائم الكونيـة الـتي سـوف تحـدث عند ظهـور (المهـدي) كامتـداد طـول اليـوم إلى عشـرة أضـعاف ليكون 240 ساعة ! وهذا ما يفسـره الطوسـي بحـديث مشـابه ، حيث يقول: "إذا قام القائم .. يأمر الله الفلك في زمانـه فيبطيء في دوره حـتى يكـون اليـوم في أيامـه كعشـرة من أيـامكم ، والشهر كعشرة اشهر ، والسنة كعشر سنين من سنيكم ".

ويروي الكليـني حـديثا عن الإمـام البـاقر، يتنبـأ فيـه باسـتعمال الشـيعة لطريقـة (التلفـون التلفـازي) في التحـدث مـع القـائم ومشاهدته عن بعد ، ومن مختلف الأقطار، وذلك عند ظهوره.

وتقول بعض الروايات: إن القـائم إذا قـام ، أشـرقت الأرض بنور ربها واستغنى العبـاد عن ضـوء الشـمس ، وذهبت الظلمـة ، ويعمر الرجل في ملكه حتى يولد له ألـف ولـد ذكـر لا يولـد فيهم أنثى.!

وأخيرا تتحدث الروايات الواردة حول ظهـور المهـدي عن مـدة ملكـه ، فتقـول إحـداها : انـه سـيحكم سـبع سـنين تكـون أشـبه بسبعين سنة من سنينا . بينما تقول رواية أخرى: إن القائم يملـك ثلاثمائة وتسع سنين ، كما لبث أهـل الكهـف في كهفهم ، وتقـول رواية ثالثة: انه يحكم تسعة عشر عاما فقط.[262]

الفصل الثاني

مناقشة النظرية (الاثني عشرية)

المطلب الأول:

غموض هوية المهدي عند أهل البيت (ع)

262 - الكليني،الكافي، ج1 ، ص 201 والصدوق ، إكمال الـدين، ص 268 وكذلك: عيون أخبار الرضـا، ج1 ، ص 63 والمفيـد ، الإرشـاد، ص 355 و 359 و362 والطوسي ، الغيبة، ص 274 و 283 –ـ 285 والعياشـي في تفسيره، ج 2 ، ص 326

تتألف النظرية (المهدوية الاثني عشرية) من قضيتين منفصلتين هما: الإيمان بوجود الإمام الثاني عشر : (محمد بن الحسن العسكري) و انه :(المهدي المنتظر) . وهي تعترف بعدم إعلان الإمام الحسن العسكري عن وجود ولدٍ له في الظاهر، وتدعي أنه أخفاه في السر خوفاً عليه من السلطات العباسية، التي يفترض أنها كانت تعلم مسبقاً بأنه المهدي المنتظر الذي سوف يزلزل عروشها ، وأنها كانت تبحث عنه لتقضي عليه وهو في المهد.

ولكن الدراسة التاريخية المتعمقة لقصة نشوء هذه النظرية تكشف عن وجود فاصل زمني طويل بين جزئي النظرية، حيث كانت في البداية تتركز أساساً حول وجود ولد للإمام العسكري ، يرثه في الإمامة ، ثم تحولت بعد ذلك إلى القول أنه المهدي المنتظر الغائب . ووجدت في (غيبة المهدي) تفسيرا لعدم إعلان أبيه عن ولادته ، وعدم ظهوره بعد ذلك .

ولكي نتأكد من حقيقة هذه النظرية التي لعبت دورا كبيرا في التاريخ الإسلامي ، وفي صياغة الفكر السياسي الشيعي الامامي الاثني عشري ، لا بد أن نفكك أجزاء هذه النظرية وندرسها على حدة ، وبدقة وموضوعية. ولا بد أن نرى أولاً : هل كانت النظرية المهدوية الشيعية قبل منتصف القرن الثالث الهجري ، واضحة ومعروفة ومحددة بشخص (الإمام الثاني عشر: محمد بن الحسن العسكري)؟ أم كانت غامضة وعامة وفكرة مجردة ؟

إن تاريخ أئمة أهل البيت (ع) و رواياتهم التي يحتفظ بها التراث الشيعي الامامي، تؤكد غموض هوية الإمام المهدي، وعدم التصريح باسمه أو زمان خروجه ، ليس بسبب الخوف عليه ، وإنما بسبب عدم تحديده من قبل، لأن فكرة (المهدوية) كانت اسماً عاماً وأملاً يحلق فوق رأس كل واحد منهم ، وقد بزغ هذا الأمل مع تولي الإمام علي للخلافة ، واشتد بعد مقتل الإمام الحسين بن علي في كربلاء ، حيث أخذ كثير من الشيعة يعد العدة للثأر والانتقام ويعمل من اجل إسقاط النظام الأموي ، والخروج المسلح ، ويلتف حول هذا الإمام أو ذاك من أئمة أهل البيت ، ويطلق عليه صفة المهدوية ، فيقوم وينجح أو يدركه الموت قبل أن يخرج ، وربما يقول البعض : انه اختفى وغاب وسوف يظهر في المستقبل .

ولو كانت هوية المهدي قد حددت من قبل منذ زمان رسول الله (ص) وأجمع الشيعة عليها ، لما ذهبوا يمينا وشمالا ، واحتاروا وتساءلوا عن هوية المهدي .

ولو كانت هوية المهدي قد حددت من قبل منذ زمان رسول الله (ص) وأجمع الشيعة عليها ، لما ذهبوا يمينا وشمالا ، واحتاروا وتساءلوا عن هوية المهدي .

يقول الإمام محمد بن علي الباقر مخاطبا الشيعة:" لا تزالون تمدون أعناقكم إلى الرجل منا تقولون: هذا هو ، فيذهب إلى ربه حتى يبعث الله لهذا الأمر من لا تدرون ولد ؟ أم لم يولد؟ خلق؟ أم لم يخلق؟" .[263]

ويقول الكليني : إن الحكم بن أبى نعيم جاء إلى الإمام الباقر في المدينة فقال له:

- عليّ نذر بين الركن والمقام إن أنا لقيتك أن لا اخرج من المدينة حتى اعلم انك قائم آل محمد أم لا ؟ فقال له الإمام الباقر:

- ياحكم ..كلنا قائم بأمر الله . ولكن الحكم لم يرتضِ هذا الجواب العام فسأله بالتحديد:

- فأنت المهدي؟ فأجابه الباقر جوابا عاما أيضا:

- كلنا نهدي إلى الله ، وعاد الحكم ليسأل بتحديد ووضوح:

- فأنت صاحب السيف ، وأجابه الإمام للمرة الثالثة بغموض:

- كلنا صاحب السيف ووارث السيف ، فسأل الحكم بوضوح تام:

- فأنت الذي تقتل أعداء الله؟ فقال الإمام الباقر:

---

[263] - الصدوق، إكمال الدين، ص 183

- يا حكم .. كيف أكون أنا وقد بلغت خمسا وأربعين سـنة؟! وان صـاحب هـذا الأمـر اقـرب عهـدا بـاللبن مـني وأخـف على ظهـر الدابة.[264]

ويقول الكليني والنعماني : إن الإمام الصادق كـان يـرفض تحديـد هوية المهدي ، وان أبـا حمـزة - أحـد أصـحابه - سـأله مـرة: أنت صاحب هذا الأمر ؟ فقال : لا ، فقال: فولـدك؟ .. قـال :لا ، قـال: فولد ولدك هو؟ فقال : لا ، فقال: فولـد ولـد ولـدك ؟ فقـال: لا ، قال: من هو؟ قال : الذي يملأها عدلا كما ملئت ظلما وجورا على فـترة من الأئمـة كمـا إن رسـول اللـه (ص) بعث على فـترة من الرسل .[265]

يؤيد ذلك إن الإمام الصادق عندما اقنع الشاعر السيد الحمـيري الذي كان يعتقد بمهدوية محمد بن الحنفية ، بوفاتـه ، لم يقـل لـه من هو الإمام المهـدي بالتحديـد ، وقـد انشـد الحمـيري أبياتـا من الشعر سجل فيها تحوله عن القول بمهدوية ابن الحنفيـة ، ولكنـه لم يشر إلى هوية المهدي ، حيث قال:

وما كان قولي في ابن خولة مطنباً معاندة مني لنسل المطيب

ولكن روينا عن وصي محمد وما كان فيما قال بالمكذب

بأن ولي الأمر يفقد لا يرى ستيرا كفعل الخائف المترقب

فتقسم أموال الفقيد كأنما تغيبه بين الصفيح المنصّب

فلما روى : إن ابن خولة غائب صرفنا إليه قولنا لم نكذب

وقلنا هو المهدي والقائم الذي يعيش به من عدله كل مجدب

فان قلت لا فالحق قولك والذي أمرت ، فحتم غير ما متعصب

واشهد ربي إن قولك حجة على الناس طرا من مطيع ومذنب

فان ولي الأمر والقائم الذي تطلع نفسي نحوه بتطرب

له غيبة لا بد من إن يغيبها فصلى عليه الله من متغيب

---

264 - الكليني، الكافي، ج 1 ص 536

265 - الكليني، الكافي، ج 1 ص 341 ، والنعماني، الغيبة، ص 187

فيمكث حينا ثم يظهر حينه فيملك من في شرقها والمغرب

بذاك أدين الله سرا وجهرة ولست وان عوتبت فيه بمعتب

ومع إن الإمام الصادق في الرواية السابقة لم يكن ينفي فكرة القيام عن نفسه ولم يؤكـدها ، فـان الصـدوق يـروي عن ابن أبى يعفور انه سمع الصادق يقول:" ويـل لطغـاة العـرب من أمـر قـد اقترب". ويروي أيضا عن سدير عن أبى عبـد اللـه انـه قـال:" يـا سدير الزم بيتك وكن حلسا من احلاسه واسـكن مـا سـكن الليـل والنهار ، فإذا بلغك إن السفياني قد خـرج فارحـل إلينـا ولـو على رجلك" .[266] ممـا يـوحي أن الإمـام الصـادق كـان يحـدث أصـحابه بقرب قيامه. ولكن محمد بن الحسن الصفار يروي عن أبى بصير انه جاء يوما إلى أبى عبد الله وقال له:

- جعلت فـداك ، إني أريـد إن المس صـدرك (وكـان أبـو بصـير أعمى) فقال له:

- افعل ، قال: فمسست صدره ومناكبه ، فقال:

- و لِمَ يا أبا محمد ؟ فقال أبو بصير:

- جعلت فداك .. إني سمعت أباك وهو يقـول: إن القـائم واسـع الصـدر مسترسـل المنكـبين عـريض مـا بينهمـا ، فقـال الإمـام الصادق:

- يـا أبـا محمـد .. إن أبى لبس درع رسـول اللـه (ص) وكـانت تسحب على الأرض ، وأنا لبستها فكانت وكانت .. وأنها تكون من القـائم كمـا كـانت من رسـول اللـه مشـمرة كأنـه ترفـع نطاقهـا بحلقتين ، وليس صاحب هذا الأمر من جاز أربعين.[267]

ويروي الطوسي حوارا جرى بين الإمام الصادق وبين أبي بصير الذي سأله: أ لهذا الأمر أمد نريح إليه أبداننا وننتهي إليـه؟ فقـال له الإمام: بلى.. ولكنكم أذعتم فزاد الله فيه. ويروي رواية أخـرى اكثر صراحة يقول فيها الإمام الصادق :كان هذا الأمـر فيّ فـأخره

---

[266] - الصدوق، إكمال الدين، ص 35

[267] - الصفار،بصائر الدرجات، ص 189

الله ، ويفعل بعد في ذريتي ما يشاء.[268] مما يكشف إن أمل المهدوية كان معلقا على الإمام الصادق في عصره ، ولذلك عندما توفي ولم تتوفر له الظروف لتحقيق الأمل المطلوب والكامن في قلوب الشيعة ، رفض بعض أصحابه ، ومنهم خاصته ، أن يصدق نبأ وفاته ، وأصرّ على أنه قد غاب وسيظهر عما قريب ، وقال : انه المهدي المنتظر . وكان على رأس هؤلاء زعيم الشيعة في البصرة : عبد الله بن ناووس .

الأمل بمهدوية الكاظم. ومع اشتداد الضغط السياسي العباسي على الإمام موسى بن جعفر الكاظم ، ازداد أمل الشيعة الذين قالوا بإمامته ، بخروجه وقيامه ، وتفجير الثورة في وجه الحكم العباسي.. واعتقد معظم الشيعة قويا بأن موسى هو القائم المهدي ، و رووا روايات كثيرة عن الباقر والصادق في تحديد شخصه ، وربما أضافوا إليها من عند أنفسهم الشيء الكثير ، انطلاقا من شوقهم وحرصهم ومعاناتهم . وعندما توفي الإمام الكاظم بعد خمس وثلاثين سنة من الانتظار والأمل ، لم يصدق عامة الشيعة الموسوية نبأ وفاته ، ورفضوا إلا الإصرار على القول بغيبته وحياته والتأكيد على انه المهدي المنتظر، وانه سوف يخرج ويملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا.

الرضا ينفي احتمال المهدوية فيه. وقد عاد ذلك الأمل إلى الشيعة بعد حوالي عشرين عاما ، وذلك عندما دعا الخليفة العباسي المأمون ، الإمام علي بن موسى الرضا إلى خراسان ، وقلده ولاية العهد عام 201 للهجرة ، وهذا ما أحيي الأمل في نفوس الشيعة ودفعهم للاعتقاد بإمكانية إن يصبح الرضا: المهدي المنتظر.

ينقل الكليني : إن أيوب بن نوح جاء إلى الإمام الرضا وقال له: إني أرجو أن تكون صاحب هذا الأمر.. وان يسوقه الله إليك بغير سيف ، فقد بويع لك وضربت الدراهم باسمك . ولكن الإمام الرضا بدد توقعه ونفى أن يكون هو المهدي .[269]

وعندما جاء الشاعر دعبل الخزاعي إلى الإمام الرضا وانشده القصيدة المعروفة : (مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات) أشار إلى المهدي بصورة غامضة وقال: (خروج

---

[268] - الطوسي ، الغيبة، ص 263
[269] - الكليني ، الكافي ، ج1 ، ص 341 ، والصدوق، إكمال الدين، ص 370

إمام لا محالة خارج يقوم على اسم الله والبركات ، يميز فينا كل حق وباطل ويجزي على النعماء والنقمات) ولم يسمه بالاسم .

إن تحديد هوية (الإمام المهدي) بالثاني عشر من أئمة أهل البيت ، كما هو معروف لدى الشيعة الاثني عشرية اليوم ، قد حدث في وقت متأخر بعد وفاة الإمام الحسن العسكري ، والقول بوجود ولد له في السر ، بفترة طويلة ، أي في بداية القرن الرابع الهجري تقريبا. وذلك في أعقاب تطور نظرية "الإمامة الإلهية" وتحولها من التسلسل اللامحدود ، إلى الاقتصار على (اثني عشر) وتكوّن الفرقة الاثني عشرية .

وقد ذكر الشيخ الصدوق في كتاب :(إكمال الدين) الذي ألفه في منتصف القرن الرابع الهجري ، مجموعة كبيرة من الروايات عن النبي الأكرم (ص) وأئمة أهل البيت (ع) ، يشير بعضها إلى القائم أو المهدي دون تحديد اسمه واسم أبيه، ويؤكد بعضها تحديد رقمه الثاني عشر وانه ابن الحسن العسكري ، كما في الرواية التي يقول فيها: إن الإمام الرضا سأل الشاعر دعبل الخزاعي ، بعد إن ألقى قصيدته وأشار فيها إلى المهدي بصورة غامضة ، فقال له: هل تدري من هذا الإمام ؟ ومتى يقوم؟ فقال: لا يا مولاي ، إلا أني سمعت بخروج إمام منكم يطهر الأرض من الفساد ويملأها عدلا كما ملئت جورا. فقال له : يا دعبل .. الإمام بعدي محمد ابني ، وبعد محمد ابنه علي ، وبعد علي ابنه الحسن ، وبعد الحسن ابنه الحجة القائم المنتظر في غيبته ، المطاع في ظهوره . [270] وهذه الروايات ضعيفة المتن والسند ، ولا تصمد أمام البحث العلمي ، وسوف نناقشها في الفصل الخاص بنقد الأدلة الروائية (النقلية) ونثبت عدم صحتها واختلاقها فيما بعد.

المطلب الثاني

ظاهرة المهدوية في التاريخ الإسلامي

ومما يؤكد غموض هوية المهدي عند أهل البيت ، ولدى جماهير الشيعة والمسلمين في القرون الثلاثة الأولى ، هو تكرر دعوات المهدوية هنا وهناك .. حتى جاوزت العشرات ، وحتى

---

[270] - الصدوق، إكمال الدين، ص 373

اصبح لكل فرقة وطائفة اكثر من مهـدي واحـد.. حيث تـدلنا هـذه الظاهرة على تماهي مصطلح (الإمام المهدي) مـع معـنى الثـورة والحرية والعدالة وانبثاقه كرد فعل على الواقع الفاسد الذي كـان يتدهور إليه المجتمع الإسلامي مرة بعد أخرى.

لقـد كـانت معظم قصـص المهدويـة في القـرون الإسـلامية الأولى، مرتبطة ومنبثقة من حركات سياسية ثورية تتصـدى لرفـع الظلم والاضـطهاد، وتلتـف حـول زعيم من الزعمـاء ، وعـادة مـا يكون إماما من أهل البيت (ع) ، وعنـدما تفشـل الحركـة ويمـوت الإمــام دون أن يظهــر ، أو يقتــل في المعركــة ، أو يختفي في ظروف غامضة.. كان أصحابه يختلفون ، فمنهم من يسـلّم بـالآمر الواقع ويـذهب للبحث عن أمـام جديـد ومناسـبة جديـدة للثـورة.. ومنهم من كان يرفض التسليم بـالأمر الواقـع فـيرفض الاعـتراف بالهزيمـة ويسـارع لتصـديق الإشـاعات الـتي تتحـدث عن هـروب الإمام الثائر واختفائه وغيبته. وعادةً مـا يكـون هـؤلاء من بسـطاء النـاس الـذين يعلقـون آمـالاً كبـيرة على شـخص أو يضـخمون مواصفات ذلك الزعيم فيصعب عليهم التراجع بعد ذلك، لأنه كان يعني لديهم الانهيار والانسحاق النفسي.

مهدوية الإمام علي

فقد كان شيعة الإمام علي بن أبى طالب (ع) الذين ثـاروا على الحكم الأموي، وقـاتلوا في معركـة الجمـل، وحـاربوا معاويـة في صفين ، واشتبكوا مع الخـوارج في النهـروان، يـأملون إن يسـتمر حكم الإمــام العـادل إلى فـترة أطـول ينعمـون خلالهـا بالعـدل والمساواة.. وكـان أملهم في الإمـام كبـيرا.. ولـذلك فـان البعض منهم صدم بخبر اغتياله ولم يكد يصدق نبأ وفاة الإمام .

يقول مؤرخـو الشـيعة الإماميـة (كـالنوبختي والاشـعري القمي والكشي) : إن جماعة من الشيعة رفضوا التصديق بوفاة الإمام ، وقالوا: إن عليا لم يقتل ولم يمت ولا يقتل ولا يموت حتى يسـوق العرب بعصاه ويملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا .

هـذا القـول بمهدويـة الإمـام علي وغيبتـه، يمكن إن نفسـره بالصدمة والمفاجأة والأمل الكبير.. حيث لم يتحمـل أولئـك النفـر الذين كانوا بعيـدين عن الكوفـة، خـبر استشـهاد الإمـام ، بعـد إن كانوا يأملون إن يحقق الإمام العدالة الكونية على الأرض ، فـأدى بهم ذلك إلى تصورات بعيدة عن الواقع.

مهدوية ابن الحنفية

وبعد مجزرة كربلاء تجمع الغضب الشيعي حول قيادة محمد بن الحنفية أخي الإمام الحسين ، من اجل الثأر والانتقام لشهداء كربلاء.. وعندما توفي محمد في ظروف غامضة عام 81 هـ ، قالت جماعة من أنصاره (الكيسانية) : انه لم يمت وانه مقيم بجبال رضوى بين مكة والمدينة ، واعتقدوا انه (الإمام المهدي المنتظر) الذي بشّر به النبي (ص) أنه يملأ الأرض قسطا وعدلا.[271]

ويفسر السيد المرتضى دعوى الكيسانية بمهدوية ابن الحنفية بالحيرة التي ألجأتهم إلى القول بها.[272] وربما كانت الحيرة قد أصابتهم نتيجة عقدهم الأمل على ابن الحنفية لكي يسترجع السلطة من أيدي الأمويين ، وقد أصيبوا بالخيبة بعد موته قبل تحقيق الهدف المنشود ، فاضطر أتباعه من الشيعة الكيسانية إلى اختراع القول بمهدويته واستمرار حياته وغيبته، في محاولة منهم للمحافظة على الأمل متقداً في صدورهم ، خاصة وان الشيعة يوم ذاك لم يكونوا يعرفون شخصية معينة محددة من قبل على أنها (المهدي المنتظر) .

مهدوية أبى هاشم

وقد تراجع هذا القول بمهدوية ابن الحنفية عندما برز أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية ، كقائد جديد للشيعة في نهاية القرن الأول الهجري ، وتعلق الأمل الكبير به لتحقيق ما عجز أبوه عن تحقيقه.. وتكررت الأزمة من جديد عندما توفي أبو هاشم دون أن يظهر.. وهذا ما أدى إلى اعتقاد قسم من شيعته باختبائه وغيبته والقول انه (المهدي المنتظر) وانه حي لم يمت .[273]

---

[271] - النوبختي، فرق الشيعة، ص 29 ، والأشعري القمي، المقالات والفرق، ص 27

[272] - المرتضى، الشافي، ص 184

[273] - النوبختي، فرق الشيعة، ص 34

أما الذين اعترفوا بوفاة أبى هاشم فقـد حـافظوا على الأمـل في نفوسهم أيضا وذلك بانتظار قيام أحد أبناء محمـد بن الحنفيـة في المستقبل ، ولم يحددوا شخصا معينا. [274]

مهدوية الطيار

وسـرعان مـا التـف الشـيعة الـذين كـانوا يشـكلون المعارضـة الرئيسية للحكم الأموي، حول قائد جديد من أبناء أهل البيت، هـو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الطيـار ، الـذي نجح في إقامة دولة شيعية في اصـفهان، في أواخـر العهـد الأمـر ، ولكنـه انهـزم بعـد ذلـك وقتـل في ظـروف غامضـة.. ولم يتحمـل بعض الشيعة نبأ انهيار الدولة الشيعية ، فقـالوا إن الطيـار حي لم يمت وانه مقيم في جبال اصفهان لا يموت أبدا حتى يقود نواصـيها إلى رجل من بني هاشم من ولد علي وفاطمة. [275]

انحصار المهدوية في البيت الفاطمي

لم تكن النظريـة المهدويـة عنـد الشـيعة قبـل هـذه الحركـة محصـورة في الـبيت الفـاطمي ، حيث كـان (الكيسـانية) الـذين يمثلون مرحلة تاريخية من تطور الشـيعة ، يحصـرونها في الـبيت العلوي، ويجيزونها في محمد بن الحنفيـة وأولاده ، أو يحصـرونها فيهم ، ثم امتـدت إلى خـارج الـبيت العلـوي ، إلى عبـد اللـه بن معاوية الطيار ، ثم تطورت لتنحصر في البيت الفاطمي من أبنـاء الحسـن والحسـين.. ولم تكن محصـورة في ذلـك الـوقت في أي واحد من البيتين. لذلك اعتقد قسم من الشـيعة بمهدويـة زيـد بن علي ، كمـا اعتقـد قسـم آخـر بمهدويـة محمـد بن عبـد اللـه بن الحسن بن الحسن (ذي النفس الزكية) ، وإذا كـان زيـد قـد قتـل بسرعة .. فان أتباعه انظموا إلى النفس الزكية . وكان عبـد اللـه بن الحسن أبوه قد سمّى ابنـه (محمـدا) وتنبـأ عنـد ولادتـه ، بـأن يكون (المهدي الموعود) الذي بشّر به النبي وقال عنه إن:(اسمه اسـمي واسـم أبيـه اسـم أبى) حسـبما كـان مشـهورا في تلـك الفترة.

مهدوية ذي النفس الزكية

---

274 - المصدر

275 - النوبخـتي، فـرق الشـيعة، ص 35، والأشـعري القمي، المقـالات والفرق، ص 35

كـان (النفس الزكيـة) يأمـل إن يثـور ضـد الحكم الأمـر ، حيث بايعه بنو هاشم ، وكان فيهم إبراهيم الإمام والسفاح والمنصـور ، ولكن سرعان ما قامت الدولة العباسية فانتفض عليـه من بايعـه، والتف حولـه قسـم من الشـيعة ، فخـرج في المدينـة سـنة 145 وسيطر على الحجاز واليمن ، وقتل بعد شهور . وهنا أصيب قسم من شيعته بالصدمة ولم يتحملوا نبأ الهزيمـة ولم يصـدقوا بمقتـل (المهدي) الذي كانوا ينتظرون خروجه منذ فترة طويلة ، فقـالوا: انه حي لم يمت ولم يقتل وانـه مقيم بجبـل العلميـة ، وهـو جبـل بين مكـة ونجـد، حـتى يخـرج . وتشـبثوا بالحـديث النبـوي الـذي يقول:(القائم اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبى).

ولما لم تكن هناك أحاديث صـريحة ومحـددة ومعروفـة توضـح هوية المهدي ، فقد طبّق أتبـاع النفس الزكيـة أحـاديث المهدويـة عليه ، وتأوّلوا الأحاديث الواردة به ، وربما اختلقوا بعض الروايات أو نسبوها إلى النبي لتعزيز نظريتهم وتأييد زعيمهم المنتظر.

مهدوية الباقر

وتقول بعض الروايـات: إن قسـما من الشـيعة اعتقـد بمهدويـة الإمام محمـد بن علي البـاقر (ع) اعتمـادا على روايـة تقـول : إن النبي (ص) قال لجابر بن عبد الله الأنصاري: (انـك تلقـاه فـاقرأه مني السلام).[276] ويقول الكليني : إن الإمام الباقر كـان يسـرّ إلى أصحابه بقرب القيام والخروج ويوصـيهم بالكتمـان ، وان بعضـهم قد ترك أعماله انتظارا لساعة الصفر .[277]

مهدوية الصادق

وبعد وفاة الإمام الباقر، وهزيمة محمد بن عبد اللـه ذي النفس الزكية، وانتصار العباسيين ، وتألق الإمام جعفر بن محمد الصادق ، شاعت روايات كثيرة حول مهدويتـه.[278] وينقـل النوبخـتي : إن بعض الشيعة روى عن الإمام الصادق انه قال :" إن رأيتم رأسـي قد أهوى عليكم من جبـل فلا تصـدقوه فـإني أنـا صـاحبكم" وانـه قال:" إن جاءكم من يخبركم عني انه مرضـني وغسـلني وكفنـني فلا تصدقوه فإني أنا صاحبكم صاحب السيف".[279]

---

276 - الاسفراييني، الفرق بين الفرق، ص 60
277 - الكليني ، الكافي، ص 245
278 - المصدر

279 - النوبختي، فرق الشيعة، ص 67

من هنا رفض قسم من شيعة الإمام الصادق، الاعتراف بموته وقالوا:" انه المهـدي المنتظـر، وانـه حي لم يمت" وعـرفت هـذه الفرقة بــ :(الناووسـية) نسـبة إلى عجلان بن نـاووس.[280] وكـان منهم: أبان بن عثمان الأحمـر، الـذي يعـده الكشـي من (أصـحاب الإجماع) ، أي من اقرب المقربين إلى الإمام الصادق . [281]

مهدوية إسماعيل

من هذا يبدو إن النظريات المهدويـة المختلفـة كـانت تولـد مـع الزمن وفي الظروف المختلفة.. وكانت اقرب إلى الأمل والرجاء منها إلى الاستناد إلى أحاديث قاطعة وصريحة ، وكان القـول بــ : (الغيبة) يبرز عند وفاة الإمام المنتظـر دون إن يظهـر .. ولم يكن الشيعة يجمعون دائما وأبدا ومنذ البداية على مهدويـة إمـام معين من قبل.. ففي الوقت الذي كـان بعضـهم يـؤمن بمهدويـة الإمـام الصادق كان البعض الآخر يذهب ليعلـق الأمـل على مهدويـة ابنـه إسماعيل ، وعندما توفي إسماعيل في حياة أبيـه الإمـام الصـادق رفض أصحابه التسليم بوفاته، واخـترعوا القـول بغيبتـه، وفسـروا تشييع الإمام له ودفنه أمام أعين الناس، بأنه مسـرحية تسـتهدف التغطية على هـروب إسـماعيل واختفائـه، والإعـداد لظهـوره في المستقبل !. [282]

ومن المعروف إن الشيعة اختلفوا بعد وفاة الإمام الصادق إلى سـت فـرق ، فـذهب الإسـماعيلية إلى القـول بحيـاة إسـماعيل وإمامته ومهدويته وغيبته ، ثم قال فريق منهم بعد إن يئسوا منـه، بمهدوية ابنه محمد .. ثم نقلوا المهدويـة في أبنـاء إسـماعيل إلى أن ظهـر واحـد منهم ، في نهايـة القـرن الثـالث، وأقـام الدولـة الفاطمية في شمال أفريقيا.

مهدوية الديباج

وادعى محمد بن جعفر الصادق (الديباج) الـذي خـرج في مكـة عام 200 انه المهـدي المنتظـر، وأعلن نفسـه خليفـة للمسـلمين واخذ البيعة وتسمى بأمير المؤمنين.[283]

---

280 - النوبختي، فرق الشيعة، ص 67 ، والأشعري، المقالات والفرق، ص 79

281 - الكشي، أخبار معرفة الرجال، ترجمة أبان

282 - النوبختي، فرق الشيعة، ص 68 ، والأشعري القمي، ص 80

283 - المصادر

إذن.. نستطيع إن نقول إن النظرية المهدوية كانت تعني الثورة والقيام والخروج ولم تكن محددة في شخص معين.. وان نظرية الغيبة كانت تبرز عندما يفشل أي أمام منتظر أو يموت دون تحقيق أهدافه.

مهدوية محمد بن عبد الله ألا فطح

الحالة الاستثنائية الوحيدة التي نجدها خلاف تلك القاعدة في ذلك الوقت، هي نظرية :(مهدوية محمد بن عبد الله بن جعفر الصادق) .. وهذا الشخص لم يولد أساسا، ولم يكن له وجود ، وقد اختلق بعض الشيعة الفطحية قصة وجوده في السر، بعد وفاة أبيه عبد الله ألا فطح ، الذي آمن أولئك الشيعة انه الإمام بعد أبيه الصادق ، وقد أصيبوا بأزمة عندما توفي الأفطح دون عقب يرثه في الإمامة ، وكانوا يعتقدون بضرورة استمرار الإمامة في الأعقاب ، وأعقاب الأعقاب ، أي بتوارثها بصورة عمودية ، ولذا لم يستطيعوا بسبب هذه الأزمة الفكرية، أن ينتقلوا إلى القول بإمامة أخي عبد الله : موسى بن جعفر ، فاخترعوا قصة وجود ولد له في السر! ، وقالوا : إن اسمه يطابق الحديث النبوي المشهور :"اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبى" . [284]

ولا يستبعد أن يكون بعض المصلحيين والمنافقين من أصحاب الأئمة، قد اخترع هذه القصة الوهمية (أسطورة المهدي المنتظر محمد بن عبد الله بن الصادق) لكي يتاجر بها ويدعي الوكالة له، ويقبض الأموال باسمه ، حيث كان يروّج الإشاعات عن وجود ذلك المهدي الموهوم في اليمن ، وانه سوف يظهر ويملأ الأرض قسطا وعدلا بعد إن تملأ ظلما وجورا.

مهدوية الكاظم

ومع انقلاب الدولة العباسية على أهدافها الإصلاحية، وانتشار الظلم والفساد، كان من الطبيعي أن يلتف المعارضون لها حول شخصية عظيمة من زعماء أهل البيت هو الإمام موسى بن جعفر الكاظم الذي كان رمز التقوى والعلم والعبادة.. وان يعظم الأمل بخروجه وقيامه.. وهكذا فقد انتشرت روايات كثيرة جدا حول مهدوية الكاظم وانه (قائم آل محمد) .. وراح البعض من الشيعة ينقل روايات عن الصادق :" أن من المحتوم أن ابني هذا قائم هذه الأمة وصاحب السيف" و" وان موسى هو القائم وهذا حتم

284 - الأشعري القمي، المقالات والفرق، ص 88

من اللـه" " وان يدهـده رأسـه عليكم من جبـل فلا تصـدقوا فانـه القـائم" " وان القـائم اسـمه حديـدة الحلاق" " وكـأني بالرايـة السوداء صاحبة الرقعة الخضراء تخفق فوق رأس هـذا الجـالس" وما إلى ذلك من الروايات التي فاقت حد "التواتر"!

وعندما اعتقل هارون الرشـيد الإمـام الكـاظم، احتسـب معظم الشيعة الموسوية ، ذلـك غيبـة أولى أو صـغرى ، ولمـا تـوفي في السجن وألقي بجثمانه على الجسر في بغداد ، رفضوا التصـديق بذلك وقالوا: أنها مسرحية عباسية، وقالوا: إن الإمام الكاظم قـد غـاب غيبتـه الثانيـة وهـرب من السـجن ، وانـه حي لم يمت ولا يموت حتى يملك شـرق الأرض وغربهـا، ويملأهـا كلهـا عـدلا كمـا ملئت جورا، وانه القائم المهدي.[285]

وقـد قـال معظم أولاد الإمـام الكـاظم بـذلك ، وكـذلك معظم أصـحابه المقـربين كالمفضـل بن عمـر، وداود الـرقي، وضـريس الكنـاني، وابوبصـير، واعين بن عبـد الـرحمن بن أعين، وحديـد الساباطي، والحسن بن قياما الصيرفي، وكتب اثنان من أصـحابه همـا علي بن أبى حمـزة و علي بن عمـر الأعـرج ، كتبـا حـول (الغيبة) .

وقـد عُـرف أولئـك الشـيعة بالواقفيـة ، أي الـذين وقفـوا على الإمام الكاظم ورفضوا الإيمان بإمامة ابنه علي بن موسى الرضا. وقد قام أحد هؤلاء الواقفـة، وهـو: داود الـرقي، بمحـاورة الإمـام الرضا، والاحتجـاج ضـده بتلـك الروايـات "المتـواترة" الـتي تحـدد المهدوية بالكـاظم وتقـول :"إن سـابعنا قائمنـا" فقـال لـه الإمـام الرضا: إن الأمل بقيام الكاظم كـان معلقـا على مشـيئة اللـه ولم يكن من المحتوم .[286]

وظل الواقفية يؤمنون بمهدوية وغيبة الإمام الكاظم، إلى وقت طويـل .. ولكنهم تقلصـوا شـيئا فشـيئا حـتى مـاتت النظريـة وانقرضـوا ، خاصـة عنـدما أكـد الإمـام الرضـا وفـاة أبيـه وقـال لهم:"إن الحجـة للـه على خلقـه لا تقـوم إلا بإمـام حي يعـرف..سـبحان اللـه!.. مـات رسـول اللـه ولم يمت موسـى بن

---

[285] - النوبختي، فرق الشـيعة، ص 80 ، والأشـعري القمي، المقـالات ، ص 89

[286] - النوري الطبرسي، خاتمة مستدرك وسائل الشيعة، ج 3 ، ص 595

جعفر؟!.. بلى والله لقد مات وقُسّمت أمواله ونكحت جواريه" واتهم من قال بعدم وفاته بالكذب وقال:" انهم كفار بما انزل الله عز وجل على محمد (ص). ولو كان الله يمدّ في اجل أحد من بني آدم لحاجة الخلق إليه لمدّ الله في اجل رسول الله (ص)" . [287]

مهدوية محمد بن القاسم

وفي مطلع القرن الثالث الهجري في سنة 219 وفي أيام خلافة المعتصم ، حدثت ثورة علوية في الطالقان بقيادة محمد بن القاسم ، فهزمه المعتصم ، واعتقله وحمله إلى بغداد فحبسه في قصره ، ولكن الثائر العلوي استطاع الهرب . فاختلف الناس في أمره ، وقال بعضهم: مات أو هرب ، وقال بعض الشيعة : انه حي، وانه سيخرج وانه مهدي هذه الأمة . [288]

مهدوية يحيى بن عمر

وبعد سنوات خرج في الكوفة إمام علوي آخر، هو يحيى بن عمر ، ضد الخليفة العباسي المستعين بالله ، فوجه إليه الحسين بن إسماعيل فقتله ، إلا إن بعض أصحاب يحيى رفض الاعتراف بالهزيمة، وقال انه لم يقتل وإنما اختفى وغاب، وانه المهدي القائم وسوف يخرج مرة أخرى. [289]

مهدوية محمد بن علي الهادي والعسكري

واختلف الشيعة الإمامة في منتصف القرن الثالث الهجري في هوية الإمام المهدي المنتظر فقال قسم منهم : بأنه محمد بن علي الهادي ، الذي توفي فجأة في الدجيل ، وقالوا بغيبته كغيبة إسماعيل بن جعفر ، ورفضوا التصديق بوفاته.. وذهب قسم آخر إلى القول بمهدوية الإمام الحسن العسكري ، بينما قال قسم ثالث بوجود ومهدوية ولد له في السر هو الإمام (محمد بن الحسن العسكري) .. وقال آخرون : انه غير محدد وانه سوف

---

[287] - الكشي، معرفة الرجال، ص 379

[288] - الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص 577 ، والاسفراييني، الفرق بين الفرق، ص 31

[289] - المسعودي، مروج الذهب، ج 4 ، ص 147 والكامل في التاريخ، ج 7 ، ص 43

يكـون واحـداً من أهـل الـبيت لا على التعـيين وانـه سـوف يولـد ويظهر في المستقبل .[290]

مهدوية القائم المجهول

وأخـيرا يـذكر المؤرخـان الشـيعيان المعاصـران لوفـاة الإمـام العسـكري (النوبخـتي، والأشـعري القمي): إن فرقــة من أتبــاع الإمـام العسـكري قـالت:" إن الحسـن بن علي قـد مـات وصـح موته ، وانقطعت الإمامـة إلى وقت يبعث اللـه فيـه قائمـا من آل محمد ممن قد مضـى ، إن شـاء بعث الحسـن بن علي وان شـاء بعث غيره من آبائه. ولا بـد من ذلـك .. لأن قيـام القـائم وخـروج المهدي حتم من الله ، وبذلك وردت الأخبار وصحت الآثار واجمـع عليه الأمة فلا يجوز بطلان ذلك ، ولأن وفاة الحسـن بن علي قـد صحت وصح أنه لا خلف له ، فقد انقطعت الإمامـة ولا عقب لـه ، وإذ لا يجوز إلا أن يكون في الأعقـاب ، ولا يجـوز إن ينصـرف إلى عم ولا ابن عم ولا أخ بعــد الحســن والحســين ، فهي (الإمامــة) منقطعـة إلى القـائم منهم، فـإذا ظهـر وقـام اتصـلت إلى قيـام الساعة".[291]

كل ذلك التعدد والتنوع في الحركات المهدوية يعبر عن غموض مفهوم (الإمام المهـدي) واحتمـال كونـه أي واحـد من أئمـة أهـل البيت ، وهو من يقوم بالسـيف ويخـرج ويقيم دولـة الحـق.. وقـد كانت كل فرقة شيعية تعتقد انه من هذا الـبيت الهاشـمي أو ذاك البيت العلوي أو الفاطمي أو الحسني أو الحسيني أو الموسـوي.. وانه هذا أو ذاك .. ولو كانت هوية المهـدي قـد حـددت من قبـل ، منذ زمان رسول الله (ص) أو الأئمـة الأحـد عشـر السـابقين لمـا اختلــف المســلمون ولا الشــيعة ولا الإماميــة ولا شــيعة الإمــام الحسن العسكري ، في تحديد هوية المهدي ، ولما اعتقد بعضـهم بكونه:(الإمام الحسن العسكري) نفسه .

نستنتج من كـل ذلـك : إن هويـة المهـدي كـانت غامضـة وغـير محــددة في حيــاة أهــل الــبيت ، وان القــول بأنــه (ابن الحســن العسـكري) نشـأ بعـد افـتراض وجـوده في السـر، وفي محاولـة

---

[290] - النوبختي، فرق الشيعة، ص 94 و96 و 105، والأشعري القمي، المقالات والفرق، ص 101 و 106 و108

[291] - النوبختي، فرق الشيعة، ص 105، والأشعري القمي، المقالات والفرق، ص 108

لتفسير (غيبته) عن الأنظار وعدم إعلان أبيه عن ولادتـه ، باعتبـار (الغيبة) صفة من صفات (المهدي).

المبحث الثاني

العوامل الفلسفية

لنشوء فرضية (الإمام الثاني عشر)

إذا قمنا بقراءة الرواية التاريخية لما حدث للشيعة الإمامية بعد وفاة الإمام الحسن العسكري سـنة 260 هجريـة ، والقينـا نظـرة على " الدليل العقلي" الذي قدمه ذلـك الفريـق الـذي قـال بــ :" وجــود ولـد مخفي للإمــام ، هــو الإمــام من بعــده وهــو المهـدي المنتظر" ، فأننا سنكتشف أزمة نظرية مـرّ بهـا ذلـك الفريـق من الإماميـة ممن يشـترط تـوارث الإمامـة بصـورة عموديـة ، وعـدم جـواز انتقالهـا إلى أخ أو ابن أخ ، أو عمّ أو ابن عمّ ، واضـطراره إما إلى التنازل عن هذا الشرط ، أو التسليم بانقطاع الإمامة بعـد وفــاة العســكري دون خلــف ، كمــا هــو الظــاهر من حياتــه ، أو افتراض وجود ولد له في السر ، بالرغم من عدم التصريح به ، أو الإعلان عنــه ، أو وجــود أي دليــل عليــه، وتفسـير هـذا الغمـوض والكتمان بالتقية والخوف من السـلطة ، بـالرغم من عـدم وجـود مؤشرات تستدعي ذلك .

تقول الروايـة التاريخيـة، الـتي يعـترف بهـا وينقلهـا المؤرخـون والمتكلمون (الاثنا عشريون): إن الإمام العسكري تــوفي دون إن يخلف ولدا ظاهرا ، وأوصى بأمواله إلى أمه المسماة بـ :"حــديث ". وهذا ما سمح لأخيه جعفر بن علي بأن يدعي الإمامة من بعده ويدعو الشيعة الإمامية إلى اتباعه كخليفة له ، كمـا اتبعـوا الإمـام موسى بن جعفر بعد وفاة أخيه الأكـبر (عبـد اللـه الأفطح) الـذي اصبح إماما لفترة وجيزة بعد وفاة أبيه الصادق ، ولم ينجب ولـدا تستمر الإمامة في عقبه .

ويقــول النوبخــتي والاشــعري القمي والمفيــد : إن كثــيرا من الشـيعة الامامـيـة لبـوا نـداء جعفـر وكـادوا يجمعـون على القـول بإمامته .[292] وذلك لأن عامة الشيعة لم يكونوا يعرفون أحـداً غـير جعفر من أبناء الإمام الهادي ، ولم يكونوا شاهدوا أي ولـد للإمـام العسكري ، وهذا ما تؤكـده روايـة (أبي الأديـان البصـري) رسـول الإمام العسكري الى أهل المدائن ، وآخـر شـخص يـودع الإمـام ، والذي يقول : إن العسكري لم يخبره باسم خليفته ، وإنما أعطاه بعض العلامات للتعرف عليه ، ويقول: انـه عـاد الى سـامراء يـوم وفاة الإمام العسـكري فـرأى جعفـر وحولـه عامـة الشـيعة وعلى رأسهم عثمان بن سـعيد العمـري ، وهم يعزونـه ويهنئونـه ، وانـه ذهب وعزاه وهنأه كواحد منهم، كما يقول: إن وفدا من شيعة قم قـدموا في ذلـك اليـوم الى سـامراء وسـألوا عن الإمـام الحسـن وعرفوا موتـه ، فقـالوا : من نعـزي؟ فأشـار النـاس الى جعفـر ، فسلموا عليه وعزوه وهنئوه.[293] وهو ما تؤكده أيضا رواية (سنان الموصلي) التي تتحدث عن قدوم وفد بقيادة أبى العبـاس محمـد بن جعفــر الحمــيري القمي ، الى ســامراء ، بعــد وفــاة الإمــام العسـكري ، وسـؤالهم عنـه وعن وارثـه ، وقـول النـاس لهم: إن وارثــه جعفــر بن علي ، وعــدم وجــود مــانع يحــول دون قــولهم بإمامته سوى عدم معرفته بعلم الغيب.[294]

وبناء على ذلـك فقـد أرسـل جعفـر الى أهـل قم ، الـتي كـانت مركزا للشيعة فأجابه ، يـدعوهم الى نفسـه، ويُعلمهم : أنـه القيّم بعد أخيه. وقد اجتمع أهـل قم عنـد شـيخهم (احمـد بن إسـحاق) وتداولوا في الموضوع ، وقرروا إرسـال وفـد اليـه لمناقشـته و " سؤاله بعض المسـائل الـتي كـانوا يسـألون آبـاءه عنهـا من قبـل والتأكد من دعواه" كمـا يقـول الخصـيبي والصـدوق والطبرسـي والصدر.[295] مما يعني أن أهل قم لم يكونوا يعرفون هويـة الإمـام الجديد من قبل، ولم يكونوا يعرفون بوجود ولد للإمام العسكري

---

[292] - النوبختي، فرق الشيعة، ص 98 ، والأشعري القمي، المقالات والفرق، ص 110، والمفيد، الفصول المختارة، ص 259

[293] - الصدوق، إكمال الدين، ص 475

[294] - الصـدوق، إكمـال الـدين، ص 476 –ـ 479 ، والراونـدي، الخـرايج والجرايح، ص 164 ، والصدر ، الغيبة الصغري، ص 323

[295] - الخصيبي، الهدايـة الكـبرى ، ص 391 والصـدوق، إكمـال الـدين، ص 475 والطبرسي، الاحتجاج، ج 2 ، ص 279 والصدر، الغيبة الصـغرى، ص 391

، ولم يكن يوجد لديهم أي مانع لقبول إمامـة جعفـر بن علي ، أي انهم لم يكونوا يلـتزمون بقـانون الوراثـة العموديـة في الإمامـة ، وإنما كانوا أقرب الى الفطحية، ويجيزون إمامة الأخوين .

وكانت العقبة الرئيسـية الـتي حـالت دون إيمـان بعض الشـيعة بإمامة جعفر، هو المبدأ القديم المشكوك فيـه، الـرافض لاجتمـاع الإمامة في أخوين بعد الحسـن والحسـين ، وقـد طرحـه وفـد قم على جعفر بن علي أثناء الحوار، فأجابهم : " إن الله قـد بـدا لـه في ذلك" ، كما يقول الخصيبي.[296]

وتقول بعض الروايات التي ينقلها الصدوق والطوسي : إن وفد قم طالب جعفـر بالكشـف عن كميـة الأمـوال الـتي كـان يحملهـا معه، وأسماء أصحابها ، غيبياً ، كما كان يفعـل أخـوه العسـكري ، وان جعفر رفض ذلك الطلب و الادعاء، واتهم الوفد بالكذب على أخيه ، أنكر نسبة علم الغيب اليه.[297] كما تحـاول بعض الروايـات أن تتهم جعفر بالفسق وشرب الخمر والجهل وإهمال الصـلاة.[298] وذلك من أجل إبطال دعواه في الإمامة ، ولكن عامة الشـيعة لم يأخذوا بتلـك الاتهامـات ، ولم يطرحـوا مسـألة علم الغيب ، وقـد عزوه وهنئوه بالإمامـة . وكـانت المشـكلة الرئيسـية لـدى البعض منهم هي مسألة :(الجمع بين الأخوين في الإمامـة). وقـد ارتكـز الطوسـي عليهـا في عمليـة الاسـتدلال على نفي إمامـة جعفـر و افـتراض وجـود ولـد للحسـن ، وادعى عـدم الخلاف حولهـا بين الامامية .[299]

وكانت هذه المشكلة قد تفجرت في صفوف الشيعة الامامية ، لأول مرة ، بعد وفاة الإمام عبـد اللـه الأفطح بن الصـادق ، الـذي أجمع فقهاء الشيعة ومشايخهم على القول بإمامته ، ولكنه تـوفي دون عقب، مما أوقع الامامية في أزمة، وفرّقهم الى ثلاث فرق ، فمنهم من تمسـك بمبـدأ:" عـدم جـواز الجمـع بين الأخـوين في الإمامة" واضطر الى افتراض وجود ولد موهوم لعبد الله، قال إن

---

[296] - الخصيبي، الهداية الكبرى، ص 383 - 391

[297] - الصدوق، إكمال الدين، ص 476 والصدر ، الغيبة الصغري، ص 316

[298] - الصـدوق، إكمـال الـدين، ص 479 والخصـيبي، الهدايـة الكـبرى، ص 391

[299] - الطوسي، الغيبة، ص 135

اسمه (محمد) وهو مخفي ، وانه سيظهر في المستقبل. ومنهم من تجاوز هذا المبدأ وأجاز لنفسه الانتقال الى الأخ ، إذا لم يكن للإمام السابق ولد ، وقال نتيجة لذلك بإمامة موسى بن جعفر بعد أخيه عبد الله الأفطح . ومنهم من تراجع عن القول بإمامة الأفطح ، واستنتج من عدم وجود عقب له : انه لم يكن إماما وشطب اسمه من قائمة الأئمة بالمرة.

وقد تكررت هذه المشكلة مرة أخرى عند وفاة الإمام الحسن العسكري دون ولد ، مما أدى الى اختلاف الشيعة الامامية حول مسألة الخلف الى عدة فرق : فمنهم من جمع بين الأخوين وقال بإمامة جعفر بن علي بعد أخيه الحسن ، ومنهم من تراجع عن القول بإمامة العسكري وقال:" إن القول بإمامة الحسن كان غلطاً وخطأ ، وجب علينا الرجوع عنه الى إمامة جعفر ، وان الحسن قد توفي ولا عقب له فقد صح عندنا انه ادعى باطلا ، لأن الإمام بإجماعنا جميعا لا يموت إلا عن خلف ظاهر معروف يوصي اليه ويقيمه مقامه بالإمامة ، والإمامة لا ترجع في أخوين بعد الحسن والحسين .. فالإمام لا محالة جعفر بوصية أبيه إليه" كما يقول النوبختي والاشعري القمي .[300]

ومنهم من أصرّ على إمامة الحسن والتمسك الشديد بذلك المبدأ أو الشعار الرافض للجمع بين الأخوين في الإمامة . وانقسم هؤلاء إلى عدة أقسام : فمنهم من قال بمهدوية العسكري وغيبته ، ومنهم من قال برجوعه إلى الحياة بعد الموت ، ومنهم من قال بالفترة ، ومنهم من احتار وتوقف ، وقال:" لم يصح عندنا إن للحسن خلفا ، وخفي علينا أمره ، ونحن نتوقف ونتمسك بالأول حتى يتبين لنا الآخر ، كما أمرنا، انه إذا هلك الإمام ولم يعرف الذي بعده فتمسكوا بالأول حتى يتبين لكم الآخر، فنحن نأخذ بهذا ونلزمه ، ولا ننكر إمامة أبى محمد ولا موته ، ولا نقول انه رجع بعد الموت ، ولا نقطع على إمامة أحد من ولد غيره ، فانه لا خلاف بين الشيعة :" انه لا تثبت إمامة أمام إلا بوصية أبيه إليه وصية ظاهرة " .[301]

---

300 - النوبختي، فرق الشيعة، ص 98 والاشعري القمي، المقالات والفرق، ص 107 - 110

301 - النوبختي، فرق الشيعة، ص 105 – 108 ، والأشعري القمي، المقالات والفرق، ص 115 ، والمفيد، الفصول المختارة، ص 260 ، والكليني، الكافي، ج 1 ، ص 343 ، والطوسي، الغيبة، ص 2444 ،

ومنهم من وجـد نفسـه مضـطرا لافـتراض وجـود ولـد مخفي للإمـام العسـكري ، وقـال انـه الإمـام من بعـده ، وانـه المهـدي المنتظر ، وفسر عدم إشارة أبيه إليه في حياته وعدم وصيته إليه ، وعدم ظهـوره من بعـده ، وغيبتـه .. فسـر كـل ذلـك ، تعسـفاً ، بالتقية والخوف من الأعداء .

وكان الدافع الرئيسي لهذا القول ، هو التمسك الشديد بقـانون الوراثة العموديـة ، وعـدم جـواز انتقـال الإمامـة إلى أخـوين بعـد الحسن والحسـين . وبـالرغم من أن هـذا كـان قـولا ضـعيفا، ولم يجمع الشيعة الإماميـة عليـه في ذلـك الـوقت ، خلافـا لمـا ادعى الطوسي بعد ذلك بمائتي عام ، فان المتكلمين الذين التزموا به ، جعلوا منه حجر الزاوية في عملية الاسـتدلال على وجـود (ولـد) للإمام الحسن العسكري. وقـد نسـجوا منـه ، ومن بقيـة القضـايا الكلامية التي توجب العصمة في الإمام، أو توجب النص في أهـل البيت ، دليلاً أسموه بـ : "الدليل العقلي" ، أو "الفلسفي" .

وقـد استعرضـنا في الفصـل الأول، من هـذا الجـزء، أقـوال المتكلمين والمؤرخين الذين استدلوا بالعقـل على وجـود وولادة : (محمد بن الحسـن العسـكري) وكـان دليلهم يعتمـد على نظريـة العصـمة والنص والوراثـة العموديـة في الإمامـة . ولكنـه في الحقيقة كان يعتمد فقط على المبدأ الأخير :(الوراثة العموديـة) ، وذلـك لأن كثـيرا من الشـيعة الإماميـة (الفطحيـة) الـذين كـانوا يتفقـون معهم في الإيمـان بالعصـمة والنص ويؤمنـون بإمامـة الحسن العسـكري أيضـا ، لم يجـدوا أنفسـهم مضـطرين للإيمـان بوجود ولد لـه في السـر ، خلافـا للظـاهر ، وآمنـوا بـدلا من ذلـك بإمامة أخيه جعفر بن علي الهادي ، لأنهم لم يكونوا يؤمنون بقـوة بضرورة الوراثة العمودية وعدم جواز إمامة الأخوين .

إذن .. فان " الدليل العقلي" كان أشـبه بـالافتراض الفلسـفي العاري عن الإثبات التاريخي . وكان ذلـك يتجلى في اسـتناد بعض المتكلمين على الحديث الرضوي القائل :(إن صـاحب هـذا الأمـر لا يموت حتى يـرى ولـده من بعـده) لإثبـات وجـود الولـد للإمـام العسكري ، كما يقول الشيخ الطوسي. [302]

والصدوق، إكمال الدين، ص 230 ، والحر العاملي، إثبات الهداة، ج 3 ، ص 477

302 - الطوسي، الغيبة، ص 133 و135

وذلـك بـالرغم من إمكانيــة الاســتدلال بنفس الحــديث لنقض إمامة العسكري ، كما فعل قسم من الشيعة الـذين تراجعـوا عن القول بإمامة العسكري ، واتخـذوا من عـدم إنجابـه ولـدا تسـتمر الإمامـة فيـه دليلا على عـدم صـحة إمامتـه ، كمـا تراجـع الشـيعة الموسوية ، في منتصف القـرن الثـاني ، عن القـول بإمامـة عبـد الله الأفطح ، لأنه لم ينجب ، وشـطبوا اسـمه من قائمـة الأئمـة . واعتبر ذلـك الفريـق من الشـيعة، الـتراجع عن إمامـة العسـكري والقول بإمامة جعفر بعد أبيه الهادي مباشرة ، أهون من افتراض ولد موهوم للعسكري .

والغـريب إن السـيد المرتضـى علم الهـدى ، يتهم الـذين قـالوا بوجود ولد للإمام عبد الله الأفطح ، باللجوء إلى اخـتراع شخصـية وهميـــة اضـــطراراً، من اجـــل الخـــروج من الحـــيرة والطريـــق المسـدود.[303] ولكنـه يمـارس نفس الشـيء في عمليـة افـتراض وجود ولد للحسن العسكري ، وذلك اضطرارا من اجـل الخـروج من الحيرة الـتي عصـفت بالشـيعة الإماميـة في منتصـف القـرن الثالث الهجري.

ولا بد بعد ذلـك من الإشـارة إلى أن تسـمية عمليـة الاسـتدلال النظري على وجود ولد للحسـن العسـكري ، بالـدليل "العقلي" ، هو من باب التسـامح والاسـتعارة ، وإلا فانـه ابعـد مـا يكـون عن الاســتدلال العقلي ، إذ يعتمــد على مجموعــة مقــولات نقليــة ، وبعضـها أخبـار آحـاد بحاجـة إلى إثبـات الدلالـة والسـند، كمقولـة (الوراثـة العموديـة وعـدم جـواز انتقـال الإمامـة إلى أخـوين بعـد الحسن والحسـين) .. ومن هنـا فقـد قـال الشـيخ الصـدوق :" إن القول بغيبة صاحب الزمان مبني على القول بإمامة آبائـه ... وإن هــذا بــاب شــرعي وليس بعقلي محض" .[304] وهــذا يعــني أن المناقشة في أية مقدمة من مقدمات الدليل "العقلي" الطويلة ، كضـرورة العصـمة في الإمـام ، وضـرورة النص عليـه من اللـه ، وثبوت الإمامة في أهل البيت ، وانحصارها في الـبيت الحسـيني ، وكيفية انتقالها من إمـام إلى إمـام ، ودعـاوى بقيـة الأئمـة الـذين ادعوا الإمامة والمهدويـة كمحمـد بن الحنفيـة وابنـه أبى هاشـم ، وزيد بن علي، ومحمد بن عبد الله ذي النفس الزكية ، وإسماعيل بن جعفر وأبنائـه ، وعبـد اللـه الأفطح ومحمـد بن علي الهـادي .. وما إلى ذلك من التفاصيل الجزئيـة في نظريـة الإمامـة الإلهيـة ،

[303] - المرتضى، الشافي، ص 184

[304] - الصدوق، إكمال الدين، ص 63

من البداية إلى النهاية ، حتى وفاة الإمام الحسن العسكري .. ان المناقشة في أية مقدمة من تلك المقـدمات تسـد الطريـق على الوصول إلى فرضية: (وجود ولد للحسن العسكري)..

ومن هنا كان إثبات وجـود (الإمـام المهـدي محمـد بن الحسـن العسكري) بصورة عقلية لسـائر النـاس أو سـائر المسـلمين ، أو سائر الفرق الشـيعية ، أو حـتى لسـائر الفـرق الإماميـة الـتي لم توافـق على مبـدأ: " الوراثـة العموديـة" ، صـعبا أو مسـتحيلا .. ولذلك كـان علمـاء الكلام (الاثنـا عشـريون) يمتنعـون عن خـوض النقاش مع سائر الناس حول إثبات شخصية (ابن الحسن) إلا بعد التسـليم بالمقـدمات النقليـة الطويلـة السـابقة ، والإيمـان بكـل واحدة.. واحدة منها .

وقد قال عبد الرحمن بن قبـة الـرازي ، في الـرد على علي بن احمد بن بشار:" لا نتكلم في فـرع لم يثبت اصـله ، وهـذا الرجـل (ابن الحسن) الذي تجحدون وجـوده ، فإنمـا يثبت لـه الحـق بعـد أبيه .. فلا معنى لترك النظر في حق أبيه والاشتغال بالنظر معكم في وجوده ، فإذا ثبت الحق لأبيه ، فهذا ثـابت ضـرورة عنـد ذلـك بإقراركم ، وان بطل أن يكون الحق لأبيه، فقـد آل الأمـر إلى مـا تقولون ، وقـد أبطلنـا". [305] وقـال السـيد المرتضـى :" إن الغيبـة فــرعٌ لأصــولٍ ، إن صــحت فــالكلام في الغيبــة اســهل شــيء وأوضحه ، إذ هي متوقفة عليها ، وان كانت غير صـحيحة فـالكلام في الغيبة صعب غير ممكن". [306]

وهذا اعتراف صريح بعـد وجـود أيـة أدلـة تاريخيـة مسـتقلة، أو علمية وشرعية، تثبت وجود ولد للإمـام العسـكري، الـذي تـوفي دون أن يشير الى ذلك، بل أوصى بأمواله الى أمـه ، ولم يتحـدث عن أي وريث آخر. وان افتراض وجود ولد لـه، كـان مبنيـاً على " ضرورة استمرار الإمامة الإلهية إلى يوم القيامة ووجـوب توارثهـا بصـورة عموديـة". بـالرغم من أن الإيمـان بنظريـة الإمامـة، أو التسليم بإمامة الحسن العسكري ، لم يكن يـؤدي بالضـرورة إلى وجوب الإيمـان بوجـود ولـد لـه. وهـذه حقيقـة يعـترف بهـا زعيم الحوزة العلمية في قم ، المعاصر، الشيخ ناصر مكارم الشـيرازي في كتابه :(المهدي : الثورة الكبرى) حيث يقـول:" إن الاسـتدلال

---

305 - الصدوق، إكمال الدين، ص 54
306 - المرتضى، رسالة في الغيبة، ص 2

الفلسفي يمكن إن يثبت قضايا كلية عامـة، ولكنـه لا يسـتطيع إن يضع إصبعه على إنسان في الخارج ، ويثبت وجوده".[307]

وهو في النهاية، ليس إلا افتراضاً وهمياً ، وظناً بغير علم . وقد نهانا الله عزّ وجلّ عن اتبـاع الظن، وخاصـة في الأمـور العقديـة، حيث قـال تعـالى:" ولا تقـفُ مـا ليس لـكَ بـه علم ، إن السـمع والبصر والفؤاد، كل أولئك كان عنه مسئولاً" (الإسراء 36)

وقال منتقداً أصحاب الـديانات الأخـرى الـذين يبنـون عقائـدهم على الظن والتخمين والافـتراض :" قــل هــل عنــدكم من علم، فتخرجـوه لنـا ؟ .. إن تتبعـون إلا الظن ، وان انتم إلا تخرصـون!" (يونس 36)

وقال:" إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ، ما أنزل اللــه بهـا من سـلطان، إن يتبعـون إلا الظن ومـا تهـوى الأنفس ، ولقـد جاءهم من ربهم الهدى".(النجم 23)

وقال:" وما لهم به من علم ، إن يتبعون إلا الظن ، وإن الظن لا يغني من الحق شيئا ". (النجم 28)

المبحث الثالث

نقد الدليل الروائي (النقلي)

لسنا بحاجة لمناقشة الاسـتدلال بـالقرآن الكـريم، أو الأحـاديث العامـة الـتي تتحـدث عن (المهـدي) أو (القـائم) من دون تحديـد هوية ذلك الشخص.. فـان هـدف دراسـتنا ليس نفي مبـدأ خـروج المهدي في المستقبل من الأساس .. وإنما نهدف إلى القــول إن شخصاً باسم (محمـد بن الحسـن العسـكري) لم يولـد ولم يوجـد

307 - الشيرازي ، مهدي انقلاب بزرك، ص 213

بعد ، وبالتالي فان تلك الآيـات أو الأحـاديث العامـة، لا تثبت ولادة ذلك الإنسان أو وجوده ، بالرغم من إمكانيـة المناقشـة في دلالـة الآيات الكريمة على الموضوع.

أمـا الروايـات الـواردة حـول (الغيبـة) و(الغـائب) فهي أيضـا لا تتحدث عن "غائبٍ" بالتحديد.. ولا تذكر اسـم (محمـد بن الحسـن العسـكري) ولا تشـير إلى غيبتـه بالخصـوص.. وبالتـالي فإنهـا لا يمكن إن تشكل دليلا على (غيبة الحجة بن الحسن) لأنـه لم يولـد بعد .. ولم يغب .. وهي لا تتحدث عن أمر قبل وقوعه حتى يكون ذلك إعجازاً ودليلا على صحة الغيبة ، كما قال الشيخ الصدوق.

ولا توجـد في تلـك الروايـات أيـة دلالـة على مـا ذهب إليـه المتكلمـون الإمـاميون ، لأنهـا لم تتضـمن الإخبـار بالشـيء قبـل كونه ، كما قال الشـيخ الطوسـي ، ولم يحصـل أي إخبـار مسـبق من جهة علام الغيوب.. وذلك لأن تلك الروايات كانت تتحدث عن أشـخاص آخـرين كـانوا موجـودين فعلا ، وادعيت لهم المهدويـة ، وغـابوا في الشـعاب والجبـال والسـجون، كمحمـد بن الحنفيـة، ومحمـد بن عبـد اللـه بن الحسـن (ذي النفس الزكيـة)، والإمـام موسى الكاظم .. وقد حـدث في ظـل غيبتهم أن تفـرق شـيعتهم واختلفوا واحتاروا.. وقـد صـنع أصـحابهم تلـك الروايـات من وحي الواقع ولأهداف خاصـة ، وبالـذات الشـيعة الواقفيـة الـذين كـانوا يؤمنون ، بقوة ، بمهدويـة الإمـام الكـاظم ، ولمـا اعتقلـه الرشـيد قالوا بغيبته ، ولما توفي الإمام رفضوا الاعـتراف بوفاتـه، وادعـوا هروبه من السجن وغيبته غيبة كبرى لا يُرى فيها، واعتبروا مرحلة السجن غيبة صغرى. وقد كانت الغيبـة الكـبرى أطـول من الغيبـة الصغرى ، لأنها امتدت وامتدت بلا حدود.

وكان الواقفية قـد اسـتعاروا أحـاديث الغيبـة، ممن سـبقهم من الحركات المهدوية ، وطبقوها على الإمام الكاظم .

وإذا توقفنا عنـد الروايـة الـتي يـذكرها النعمـاني حـول الغيبـة ، والتي يقول عنها :" لو لم يكن يروى في الغيبـة إلا هـذا الحـديث، لكـان فيهـا كفايـة لمن تأملهـا" لوجـدنا أنهـا تتحـدث عن الوفـاة والقتل والذهاب، لإمام موجود ومعروف سابقا.. بينمـا يحتـاج هـو (أي النعمـــاني) أن يثبت وجـــود (الإمـــام محمـــد بن الحســـن العسكري) أولاً، حتى يستطيع أن ينسب إليه تلك الأفعال لاحقاً.

لقد كان المتكلمون الإماميون في البداية (في القرن الثالث الهجري) يحاولون إثبات صحة فرضية (وجود الإمام الثاني عشـر ابن الحسن) ولم يكونـوا يتحـدثون عن (المهـدي والمهدويـة). إذ انهم كانوا بحاجـة إلى إثبـات وجـود العـرش قبـل إثبـات النقش.. ولكن الأزمة التي وقعوا فيها ، بعد القول بوجـود (ابن الحسـن) ، وهي :(عدم ظهور الإمـام للقيـام بمهمـات الإمامـة) دفعتهم إلى البحث والتنقيب في تـراث الفـرق الشـيعية القديمـة كالكيسـانية والواقفيـة، والتفـتيش عن مخـرج للأزمـة والحـيرة، ووجـدوا في أحـاديث المهدويـة القديمـة أفضـل حـل للخـروج من أزمـة عـدم الظهور ، ودليلاً جديداً على إثبات فرضية (وجود ابن الحسـن) في نفس الوقت.

ومن هنا فقد تطورت الفرضية التي كانت مهتمة بإثبات (وجـود الإمام الثاني عشر) إلى الحديث عن (مهدويتـه) واصـبح الحـديث يدور حول (وجود الإمام المهدي الحجـة ابن الحسـن العسـكري). وذلــك انطلاقــا من حالــة الفــراغ والغيبــة وعــدم المشــاهدة ، والاسـتنتاج منهـا:" إن الشـخص المفـترض انـه الإمـام والـذي لا يُشاهد : هو المهدي صـاحب الغيبـة ، وان سـبب عـدم مشـاهدته هو : الغيبة"!

وإذا كان يصـح الاسـتدلال بتلـك الروايـات على مهدويـة الأئمـة السابقين المعروفين، الذين غابوا في السجون أو الشعاب أو في سـائر أنحـاء الأرض ، فانـه لا يمكن الاسـتدلال بهـا على صـحة فرضية (وجود ابن الحسن) .. وذلك لأن وجوده كان موضـع شـك واختلاف بين أصحاب الإمام العسكري، وان عملية الاسـتدلال بهـا على (مهدوية ابن الحسن) بحاجة أولاً إلى الاستدلال على وجوده واثبات ذلك، قبل الحديث عن إمامتـه ومهدويتـه وغيبتـه ومـا إلى ذلك.

إن الاستدلال بالغيبة على الوجود ، بدون إثبات ذلك من قبــل ، يشبه عمليـة الاسـتدلال على وجـود مـاء في إنـاء ، بـالقول :" إن الماء لا رائحة له ولا لون.. ونحن لا نشم رائحة ولا نـرى لونـا في هذا الإناء.. إذن فان فيه ماء !".

وإذا كان ذلـك لا يجـوز، إلا بعـد إثبـات وجـود شـيء سـائل في الإناء ، ثم القول :" إن هذا السائل ليس له لون ولا رائحة.. فإذن هو ماء " ، فان عملية إثبات وجـود (ابن الحسـن) ، كـذلك تحتـاج أولاً إلى إثبات وجوده وإمامته ومهدويتـه.. ثم إثبـات غيبتـه ، لا إن

يتم عكس الاستدلال ، فيُتخذ من المجهول والعدم و (الغيبة) دليلا على إثبات الوجـود والإمامـة والمهدويـة لشـخص لا يـزال موضـع بحث ونقاش!.

إذن فلا يمكن ، في الحقيقـة ، الاسـتدلال بأحـاديث (الغيبـة) العامة والغامضة والضعيفة، على إثبـات وجـود (الإمـام محمـد بن الحسن العسكري) .

وقـد حـاول بعض المنظّـرين لموضـوع (الغيبـة) إن يستشـهدوا بحديث الغيبتين الصغرى والكبرى، ليثبتوا صحة (فرضية وجود ابن الحسن). ولكن حكاية (الغيبتين) نفسها لم تثبت في التـاريخ ، ولا يوجد عليها دليل سوى موضوع (النيابة الخاصة) التي ادعاها بعض الأشـخاص ، وهي لم تثبت لهم في ذلـك الزمـان ، وكـان الشـيعة القائلون بوجـود (ابن الحسـن) يختلفـون فيمـا بينهم حـول صـحة ادعاء هذا الشخص أو ذاك بالنيابة الخاصة، الـتي كـان قـد ادعاهـا حوالي عشرين شخصـا أكـثرهم من الغلاة . ومن هنـا فـإن الحـد الفاصل بين الغيبتين : الصغرى والكبرى، كان حداً وهمياً لم يثبت في التـاريخ . ويلاحـظ أن الاستشـهاد بــ :(الغيبـتين) قـد ابتـدأه النعمـاني في منتصـف القـرن الرابـع الهجـري ، بعـد انتهـاء عهـد (النواب الخاصين) ولم يشـر اليـه من سـبقه من المـؤلفين حـول (الغيبة) الذين اكتفوا بالإشـارة الى الغيبـة الواحـدة . وذلـك لأنهم لم يعرفوا من قبل بحدوث غيبتين.

وقد اعترف السيد المرتضـى علم الهـدى والشـيخ الطوسـي، لـدى الحـديث عن أسـباب الغيبـة، أن من الضـروري أولاً: بحث موضـوع الوجـود والإمامـة لــ : (ابن الحسـن العسـكري) ، قبـل الحديث عن الغيبة وأسبابها. وقـالا:" إن من شـك في إمامـة ابن الحسـن يجب أن يكـون الكلام معـه في نص إمامتـه ، والتشـاغل بالدلالـة عليهـا ، ولا يجـوز مـع الشـك فيهـا أن نتكلم في سـبب الغيبة ، لأن الكلام في الفرع لا يسـوغ إلا بعـد إحكـام الأصـول" .[308]

دليل "الإثني عشرية"

وهذا دليل متأخر .. بدأ المتكلمون الإماميون يسـتخدمونه بعـد اكثر من نصف قرن من الحيرة ، أي في القرن الرابـع الهجـري ، ولم يكن له أثر في القرن الثالث، عند الشيعة الامامية ، حيث لم

[308] - الطوسي، تلخيص الشافي ، للمرتضى، ج 4 ، 213

يشر اليه الشيخ علي بن بابويه الصدوق في كتابه:(الإمامة والتبصرة من الحيرة) كما لم يشر اليه النوبختي في كتابه:(فرق الشيعة) ولا سعد بن عبد الله الاشعري القمي في:(المقالات والفرق).. وذلك لأن النظرية (الاثني عشرية) طرأت على الامامية في القرن الرابع ، بعد ان كانت النظرية الامامية ممتدة الى آخر الزمان، بلا حدود ولا حصر في عدد معين ، كما هو الحال عند الشيعة الإمامية الإسماعيلية والزيدية.. لأنها كانت موازية لنظرية الشورى وبديلا عنها.. فمادام في الأرض مسلمون ويحتاجون الى دولة وإمام ، وكان محرماً عليهم اللجوء الى الشورى والانتخاب ، كما تقول النظرية الامامية، كان لا بد ان يعين الله لهم إماما معصوما منصوصا عليه .. فلماذا إذن يحصر عدد الأئمة في اثني عشر واحدا فقط؟

من هنا لم يكن الاماميون يقولون بالعدد المحدود في الأئمة ، ولم يكن حتى الذين قالوا بوجود (الإمام محمد بن الحسن العسكري) في البداية ، يعتقدون أنه خاتم الأئمة ، وهذا هو النوبختي يقول في كتابه (فرق الشيعة):" إن الإمامة ستستمر في أعقاب الإمام الثاني عشر الى يوم القيامة".[309]

وتشير روايات كثيرة يذكرها الصفار، والكليني ، والحميري ، والعياشي ، والمفيد ، والحر العاملي، وغيرهم.. وغيرهم .. الى ان الأئمة أنفسهم لم يكونوا يعرفون بحكاية القائمة المسبقة المعدة منذ زمان رسول الله (ص) ولم يكونوا يعرفون بإمامتهم ، أو بإمامة الإمام اللاحق من بعدهم ، إلا قرب وفاتهم ، فضلا عن الشيعة أو الإمامية أنفسهم ، الذين كانوا يقعون في حيرة واختلاف بعد وفاة كل إمام ، وكانوا يتوسلون لكل إمام ان يعين اللاحق بعده ويسميه بوضوح لكي لا يموتوا وهم لا يعرفون الإمام الجديد.[310] حيث يروي الصفار في (بصائر الدرجات) باب: ان الأئمة يعلمون الى من يوصون قبل وفاتهم مما يعلمهم الله ، حديثا عن الإمام الصادق يقول فيه:" ما مات عالم حتى يعلمه الله الى من يوصي" .[311] ، كما يرويه الكليني في (الكافي)

[309] - النوبختي، فرق الشيعة، الفرقة التي قالت بوجود ولد للعسكري.
[310] - راجع: بصائر الدرجات، لصفار، والكافي للكليني، وقرب الإسناد للحميري ، وتفسير العياشي، والإرشاد للمفيد، وإثبات الهداة للحر العاملي.
[311] - الصفار ، بصائر الدرجات ، ص 374

عنه أيضا :" لا يموت الإمام حتى يعلم مَن بعده فيوصي اليـه".[312] وهو ما يدل على عدم معرفة الأئمة، من قبلُ، بأسماء خلفـائهم ، أو بوجـود قائمـة مسـبقة بهم . وقـد ذهب الصـفار والصـدوق والكليني ابعـد من ذلـك، فـرووا عن أبى عبـد اللـه الصـادق ، انـه قال:" ان الإمام اللاحق يعرف إمامته وينتهي اليه الأمـر، في آخـر دقيقة من حياة الأول".[313]

ونتيجة لذلك فقد طُرحت عدة أسئلة في حياة أهـل الـبيت ، وهي : كيـف يعـرف الإمـام إمامتـه إذا مـات أبـوه بعيـدا عنـه في مدينـة أخـرى؟ وكيـف يعـرف انـه إمـام، إذا كـان قـد أوصـى الى جماعة؟ أو لم يوصِ أبدا؟.. وكيف يعرف الناس أنه اصبح إماما؟.. خاصة إذا تنازع الاخـوة الإمامـة وادعى كـل واحـد منهم الوصـية؟ كما حدث لعدد من الأئمة في التاريخ؟

روى الكليـني حـديثا عن أحـد العلـويين الملـتزمين بنظريـة الإمامة، هو عيسـى بن عبـد اللـه بن محمـد بن عمـر بن علي بن أبى طالب ، قال:" قلت لأبي عبد الله: إن كـان كـونٌ ، ولا أراني الله ذلك ، فبمن أأتم؟ ..قال فأومأ الى ابنه موسى ، قلت: فــان حدث بموسى حدث فبمن أأتم؟ قال : بولده ، قلت: فان حـدث بولده حدث وترك أخا كبيرا وابنا صغيرا فبمن أأتم؟ قال: بولـده، ثم قال: هكـذا أبـدا . قلت: فـان لم اعرفـه ولا اعـرف موضـعه؟ قال: تقول: اللهم إني أتولى من بقي من حججك من ولد الإمـام الماضي ، فان ذلك يجزيك ان شاء الله ".[314] وهذا الحديث يدل على عدم وجـود قائمـة مسـبقة بأسـماء الأئمـة من قبـل، وعـدم معرفـة علـوي إمـامي مثـل عيسـى بن عبـد اللـه بهـا ، وإمكانيـة وقوعه في الحيرة والجهل. ولو كانت القائمـة موجـودة من قبـل لأشار الإمام الصادق اليها.

وبسبب غموض هوية الأئمة اللاحقين لجماهير الشيعة والامامية ، فقد كانوا يسألون الأئمة دائما عن الموقف الواجب اتخاذه عنــد وفـاة أحـد الأئمـة. وفي هـذا المجـال ينقـل الكليـني وابن بابويـه والعياشي حديثا عن يعقوب بن شعيب عن أبى عبد اللـه ، قـال:" قلت له: إذا حدث للإمام حدث كيف يصـنع النـاس؟ قـال: يكونـوا كمـا قـال اللـه تعـالى (فلـولا نفـر من كـل فرقـة منهم طائفـة،

312 - الكليني، الكافي، ج 1 ، ص 277
313 - الصفار، بصائر الدرجات، ص 478، والصدوق، الإمامة والتبصرة من الحيرة، باب 19، ص 84 ، والكليني، الكافي، ج 1 ، ص 275
314 - الكليني، الكافي، ج1 ، ص 309

ليتفقهـوا في الـدين، ولينـذروا قـومهم إذا رجعـوا اليهم ، لعلهم يحذرون) التوبة 112 ، قلت : فما حالهم ؟ .. قال: هم في عذر مـا دامـوا في الطلب ، وهـؤلاء الـذين ينتظـرونهم في عـذر حـتى يرجع اليهم أصحابهم" . [315]

وهناك رواية أخرى مشابهة عن زرارة بن أعين، الـذي ابتلي بهذه المشكلة ومات بُعَيد وفاة الإمـام الصـادق ، ولم يكن يعـرف الإمام الجديد، فوضع القرآن على صدره وقال:" اللهم اشـهد إني اثبت من يقـول بإمامتـه هـذا الكتـاب" .[316] وقـد كـان زرارة من اعظم تلاميذ الإمامين الباقر والصـادق ، ولكنـه لم يعـرف خليفـة الإمام الصادق، فأرسل ابنه عبيد الله الى المدينـة، لكي يسـتطلع له الإمام الجديـد ، فمـات قبـل ان يعـود اليـه ابنـه، ومن دون ان يعرف من هو الإمام ؟ [317]

وتقول روايات عديدة يذكرها الكليني والمفيـد والطوسـي : ان الإمام الهادي أوصـى في البدايـة الى ابنـه السـيد محمـد ، ولكنـه توفي في حياة أبيه ، فأوصى للإمام الحسن وقـال لـه:" لقـد بـدا لله في محمد كما بدا في إسماعيل.. يا بني أحدث لله شكراً فقد احدث فيك أمراً ، أو نعمة" .[318]

وإذا كانت روايات القائمة المسبقة بأسماء الأئمة الاثني عشـر، صحيحة وموجودة من قبـل ، فلمـاذا لم يعرفهـا الشـيعة الاماميـة الذين اختلفوا واحتاروا بعد وفاة الإمـام الحسـن العسـكري ، ولم يشـر اليهـا المحـدثون أو المؤرخـون الاماميـة في القـرن الثـالث الهجري؟

ان نظرية (الاثنا عشرية) لم تكن مسـتقرة في العقـل الامـامي حتى منتصف القرن الرابع الهجـري .. حـتى أن الشـيخ محمـد بن علي الصدوق أبدى شكه بتحديد الأئمة في اثني عشر إماما فقط

---

315 - الصدوق، الإمامة والتبصرة من الحيرة، ص 77 ، والكليـني، الكـافي، ج 1 ، ص 378، وتفسير العياشي، ج 2 ، ص 117

316 - الصدوق، إكمال الدين، ص 74

317 - المصدر، ص 76

318 - الكليني،الكافي، ج 1 ، ص 326 و328 والمفيد، الإرشاد، ص 336 و 337 والطوسي ،الغيبة، ص 120، 122

، وقال:"لسنا مستعبدين في ذلك إلا بالإقرار باثني عشر إماما ، واعتقاد كون ما يذكره الثاني عشر بعده" . [319]

ونقل الكفعمي في (المصباح) عن الإمام الرضا ، الدعاء التالي حول (صاحب الزمان) :" ... اللهم صل على ولاة عهده والأئمة من بعده" .[320]

وروى الصدوق عدة روايات حول احتمال امتداد الإمامة بعد الثاني عشر، وعدم الاقتصار عليه ، وكان منها رواية عن الإمام أمير المؤمنين (ع) حول غموض الأمر بعد القائم ، وان رسول الله (ص) قد عهد اليه :" إن لا يخبر أحدا بذلك إلا الحسن والحسين" ، وانه قال:" لا تسألوني عما يكون بعد هذا ، فقد عهد اليّ حبيبي ان لا اخبر به غير عترتي" . [321]

وروى الطوسي : ان رسول الله (ص) قال لعلي:" يا علي انه سيكون بعدي اثنا عشر إماما، ومن بعدهم اثنا عشر مهديا ، فأنت يا علي أول الاثني عشر الإمام ... م يكون من بعده اثنا عشر مهديا". [322]

وعندما نشأت فكرة تحديد عدد الأئمة ، بعد القول بوجود وغيبة (محمد بن الحسن العسكري) ، كاد الشيعة الامامية يختلفون فيما بينهم حول تحديد عددهم باثني عشر أو ثلاثة عشر ، إذ برزت في ذلك الوقت روايات تقول : بأن عدد الأئمة ثلاثة عشر ، وقد نقلها الكليني في (الكافي). [323] و وُجدت في الكتاب الذي ظهر في تلك الفترة ونُسِبَ الى (سليم بن قيس الهلالي) ، حيث تقول إحدى الروايات: ان النبي قال لأمير المؤمنين :" أنت واثنا عشر من ولدك أئمة الحق" . وهذا ما دفع هبة الله بن احمد بن محمد الكاتب ، حفيد أبى جعفر محمد بن عثمان العمري ، الذي كان يتعاطى (الكلام) لأن يؤلف كتابا في الإمامة ، يقول فيه : ان الأئمة ثلاثة عشر ، ويضيف الى القائمة المعروفة (زيد بن علي) كما يقول النجاشي في (رجاله) .

---

319 - الصدوق، إكمال الدين، ص 77
320 - القمي، مفاتيح الجنان، ص 542
321 - الصدوق، إكمال الدين، ص 78
322 - الطوسي، الغيبة ، ص 97
323 - الكليني، الكافي، ج 1 ، ص 534

وقد ذكر المؤرخ الشيعي المسعودي (توفي سنة 345 هـ) في (التنبيه والاشراف):" ان أصل القول في حصر عدد الأئمة بـاثني عشر ما ذكره سليم بن قيس الهلالي في كتابه" .[324]

وكـان (كتـاب سـليم) هـذا ، قـد ظهـر في بدايـة القـرن الرابـع الهجري ، وتضمن قائمة بأسماء الأئمة الاثني عشـر ، الـتي يقـول عنها : إنها كانت معروفة منذ عهد رسول الله ، وانه هو الـذي قـد أعلنهـا من قبـل . وأدى ظهـور هـذا الكتـاب الى تكـوّن الفرقـة (الاثـني عشـرية) في القـرن الرابـع الهجـري.. ثم بـدأ الـرواة يختلقون الروايات شيئا.. فشيئا . ولم يذكر الكليني في (الكـافي) سوى سبع عشرة رواية ، ثم جـاء الصـدوق بعـده بخمسـين عامـا ليزيدها الى بضع وثلاثين رواية.. ثم يـأتي تلميـذه الخـزاز ليجعلهـا مائتي رواية![325]

المفيد يضعف كتاب سليم

وكان اعتماد الكليني والنعماني والصدوق في قـولهم بالنظريـة (الاثني عشرية) على كتاب سـليم الـذي وصـفه النعمـاني :" بأنـه من الأصول التي يرجع اليها الشيعة ويعولون عليها" ، ولكن عامة الشيعة في ذلك الزمـان كـانوا يشـكون في وضـع واختلاق كتـاب سليم ، وذلك لروايتـه عن طريـق (محمـد بن علي الصـيرفي أبـو سمينة) الكذاب المشهور ، و (احمد بن هلال العبرتـائي) الغـالي الملعون ، وقد قال ابن الغضـائري :" كـان أصـحابنا يقولـون : ان سليماً لا يُعرف ولا ذكر له... والكتاب موضوع لا مرية فيـه، وعلى ذلك علامات تدل على ما ذكرنا " .[326] وقد ضعّف الشيخ المفيـد (كتاب سليم) وقال:" انـه غـير موثـوق بـه ولا يجـوز العمـل على أكـثره ، وقـد حصـل فيـه تخليـط وتـدليس ، فينبغي للمتـدين ان يتجنب العمل بكل ما فيه، ولا يعوّل على جملته والتقليد لروايته ، وليفـزع الى العلمـاء فيمـا تضـمنه من الأحـاديث ليوقفـوه على الصحيح منهـا والفاسـد".[327] وانتقـد الشـيخ المفيـدُ : الصـدوقَ ، على نقله الكتاب واعتماده عليه، وعزى ذلـك الى منهج الصـدوق

[324] - المسعودي، التنبيه والاشراف، ص 198 ، والأميني، الغـدير، ج 1، ص 195

[325] - لمزيد من التفاصيل ، راجع كتاب (نقد الأحاديث الشيعية والسنية الواردة حول الإثني عشرية) للمؤلف ، والموجود على شبكة المعلوماتية (الانترنت) في موقع الكاتب. www.alkatib.co.uk

[326] - الحلي، الخلاصة، ص 83

الأخباري ، وقال عنه:" انه على مذهب أصحاب الحديث، في العمل على ظواهر الألفاظ والعدول عن طرق الاعتبار، وهذا رأي يضرّ صاحبه في دينه، ويمنعه المقام عليه عن الاستبصار" .[328]

ومن هنا فقد اعترض الزيدية على الامامية وقالوا:" ان الرواية التي دلّت على ان الأئمة إثنا عشر، قولٌ أحدثه الامامية قريباً، وولّدوا فيه أحاديث كاذبة" . واستشهدوا على ذلك بتفرق الشيعة بعد وفاة كل إمام الى عدة فرق وعدم معرفتهم للإمام بعد الإمام ، وحدوث البداء في إسماعيل ومحمد بن علي، وجلوس عبد الله الأفطح للإمامة، وإقبال الشيعة اليه، وحيرتهم بعد امتحانه، وعدم معرفتهم الكاظم حتى دعاهم الى نفسه ، وموت الفقيه زرارة بن أعين دون معرفته بالإمام .[329]

وقد نقل الصدوق اتهاماتهم للامامية بإحداث النظرية (الاثني عشرية) في وقت متأخر ، ولم ينفِ التهمة ولم يردّ عليها ، وإنما برر ذلك بالقول: " ان الامامية لم يقولوا : ان جميع الشيعة بما فيهم زرارة كانوا يعرفون الأئمة الاثني عشر" ثم انتبه الصدوق الى منزلة زرارة وعدم إمكانية جهله بأي حديث من هذا القبيل ، وهو اعظم تلامذة الإمامين الباقر والصادق ، فتراجع عن كلامه وقال باحتمال علم زرارة بالحديث وإخفاءه للتقية ، ثم عاد فتراجع عن هذا الاحتمال وقال:" ان الكاظم قد استوهبه من ربه لجهله بالإمام ، لأن الشاك فيه على غير دين الله ".[330]

وهذا ما يناقض دعوى الخزاز في (كفاية الأثر) والطوسي في (الغيبة) **بتواتر** أحاديث (الاثني عشرية) عن طريق الشيعة، ويثبت أن لا أساس لها من الصحة ، في الأجيال الأولى، وخاصة في عهود الأئمة من آل البيت (ع) ، حيث لم يكن يوجد لها أي أثر ، خاصة وان الطوسي لم يذكر الكتب الشيعية القديمة التي زعم أنها تتحدث عن (الاثني عشرية). وقد تهرب الخزاز من مناقشة تهمة الوضع المتأخر ، وحاول ان ينفي تهمة الوضع من قبل

---

327 - المفيد، أوائل المقالات وشرح اعتقادات الصدوق، ص 247

328 - المصدر نفسه، ص 242

329 - الصدوق، إكمال الدين، ص 75 – 76

330 - المصدر نفسه، ص 76

الصحابة والتـابعين وأهـل الـبيت.[331] في حين ان التهمـة لم تكن موجهـة الى الصـحابة أو أهـل الـبيت ، وإنمـا الى بعض الـرواة المتأخرين الذين اختلقـوا (كتـاب سـليم) في عصـر الحـيرة ، من أمثال: أبو سمينة و العبرتائي وعلي بن إبراهيم القمي.

أين الدلالة؟

هـذا وان معظم الأحـاديث الـتي تتحـدث عن حصـر الأئمـة في اثني عشر، وكذلك جميع الأحاديث الـواردة عن طريـق السـنة، لا تذكر أسماء الأئمة أو الخلفاء أو الأمراء بالتفصيل.. وان الأحـاديث السنية بالذات لا تحصرهم في اثني عشر ، وإنما تشير الى وقـوع الهرج بعد الثاني عشر من الخلفاء، كما في روايـة الطوسـي عن جابر بن سمرة. أو تتحدث عن النصر للدين أو لأهـل الـدين حـتى مضي اثني عشر خليفة .[332]

ولو أخذنا بنظرية الشيعة الامامية الفطحية، الذين لا يشترطون الوراثة العمودية في الإمامة ، لأصبح الإمام الحسن العسكري هو الإمـام الثـاني عشـر، بعـد الإقـرار بإمامـة عبـد اللـه الأفطح بن الصادق ، أو الاعتراف بإمامة زيد بن علي ، الذي اعترف به قسم من الامامية .

إذن .. فــان الاســتدلال بأحــاديث (الاثــني عشــرية) العامــة والغامضـة والضـعيفة ، دون وجـود دليـل علمي أو شـرعي، على ولادة (محمد بن الحسن العسكري) هو نوع من الافتراض والظن والتخمين .. وليس استدلالا علميا قاطعا..

(لا بد من إمام حي ظاهر يُعرف!)

أما الدليل النقلي الأخير، القائل بضرورة وجود الإمـام في كـل عصر، وعدم جواز خلو الأرض من حجة.. فهو دليـل ينقض نفسـه بنفسه ، إذ ما معنى الإمام والحجة ؟ وما الفائـدة منهمـا ؟ أ ليس لهداية الناس وإدارة المجتمـع وتنفيـذ الأحكـام الشـرعية؟ فكيـف يمكن للإمام الغائب ، على فرض وجوده ، ان يقوم بكل ذلـك؟ .. وإذا كان الإمـام الغـائب يقـوم بمهمـة الإمامـة والحجيـة ، فلمـاذا شعر الفقهاء بالحاجة الى الإمام والحجة في عصر الغيبة ؟

---

331 - الخزاز ، كفاية الأثر، ص293

332 - الطوسي، الغيبة، ص 88 و 89 ، والصدوق، إكمال الدين، ص 274

وإذا كان الهدف من وجوده هو إدارة الكون كما يقول بعض الغلاة ، فان الله سبحانه وتعالى لديه ملائكة كثيرون يقومون بذلك..

وقد رد الإمام علي بن موسى الرضا ، على الواقفية الذين قالوا بغيبة أبيه (الإمام الكاظم) : بأنه لا بد من أمام حي ظاهر يعرفه الناس ويرجعون اليه ! وقال:" ان الحجة لا تقوم لله على خلقه إلا بإمام حيّ يُعرف" و" من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية.. إمام حيّ يعرفه.. وقد قال رسول الله (ص): من مات وليس له إمام يسمع له ويطيع مات ميتة جاهلية" .[333] وقال الإمام الرضا لأحد الواقفية:" مَن مات وليس عليه أمام حي ظاهر، مات ميتة جاهلية ، فسأله مستوضحا ومركزا على كلمة "إمام حي" فأكد له مرة أخرى :"إمام حيّ".[334]

إن منشأ هذه الفكرة ، هي المقدمة الأولى العقلية لنظرية الإمامة ، والمقصود منها : ضرورة وجود عموم الإمام (أي الرئيس) في الأرض ، وعدم جواز بقاء المجتمع بلا حكومة ، أية حكومة وأي أمام .. وإذا كانت قد تطورت الى ضرورة وجود (الإمام المعصوم المعين من قبل الله) فان الإصرار عليها والاستنتاج منها : وجود (الإمام محمد بن الحسن العسكري) واستمرار حياته الى اليوم ، هو أيضا نوع من الافتراض والظن والتخمين . فأين هو اليوم ذلك الإمام المعلم الهادي والمطبق لأحكام الله الذي يحافظ على الشريعة من الزيادة والنقصان؟

وحتى لو صحت تلك الأحاديث فقد يكون الإمام شخصا آخر .. إذا لم يكن المقصود به مطلق الإمام أو مطلق الحجة والعالم بأحكام الدين .

المبحث الرابع

نقد الدليل التاريخي

المطلب الأول: تناقض الروايات

---

[333] - الكليني، الكافي، ج1 ، ص 177 ، والحميري، قرب الإسناد، ص 203

[334] - المصدر نفسه

اعتقد ان القـارئ العـادي لا يحتـاج الى ان يتجشـم عنـاء درس علم الرواية والدراية حتى يقيّم تلك الروايات "التاريخية" الـواردة حول مولد (الإمام محمد بن الحسن العسـكري) أو ان يكـون من العلماء المختصين في التاريخ.. فان المـؤلفين الـذين أوردوا تلـك الروايات في كتبهم، أراحوا أنفسهم من تهمة الاعتماد على هكـذا روايات ضعيفة، وقالوا في البداية:" إننا نثبت وجود (الإمام الثاني عشر) بالطرق العقلية (أو الفلسفية أو الاعتباريـة أو النظريـة) ، ولسنا بحاجـة الى الروايـات التاريخيـة ، وإنمـا نـأتي بهـا من بـاب الإسناد والتعضـيد والتأييـد" . وألقـوا عن أنفسـهم عبـأ المناقشـة العلمية لتلك الروايات والتأكد من سندها والنظر الى متنها.

واعتقد انهم كانوا يوردونها من باب (الغريق يتشبث بكل قشة) وإلا فانهم اعرف الناس بضعفها وهزالها.. ولو كانت فرقـة أخـرى تستشـهد بهكـذا روايـات على وجـود أئمـة لهـا ، أو أشـخاص من البشر .. لسخروا منها ، واسـتهزءوا بعقولهـا ، واتهموهـا بمخالفـة المنطـق والعقـل والظـاهر.. كمـا فعـل متكلمـو الفرقـة الاثـني عشرية ، في مناقشتهم لفريـق من الشـيعة الامامـية الفطحيـة ، الذين ادعوا وجود ولد مكتوم للإمـام عبـد اللـه الأفطح بن جعفـر الصادق ، وقالوا : ان اسمه محمد وانه المهدي المنتظر ، وزعموا ولادتـه في السـر واختبـاءه في اليمن.. وذلـك اعتمـادا على مبـدأ ضرورة استمرار الإمامة في الأعقـاب وأعقـاب الأعقـاب، وعـدم جواز انتقالها الى أخوين بعـد الحسـن والحسـين.. وقـال الشـيعة الاثنا عشرية عن ذلك الفريق من الشيعة الفطحية: انهم اخترعوا وجود شخص وهمي لا وجود له هو :(الإمام المهدي محمد بن عبد الله الأفطح) نتيجة لوصولهم الى طريق مسدود .

ان من يطلع على الـتراث الشـيعي العلمي الضـخم في مجـال الروايـة والدرايـة ، ويـرى اعتنـاء العلمـاء، منـذ القـرون الأولى ، بتقـييم الـرواة ودراسـة الأحـاديث وغربلتهـا وتميـيز القـوي من الضعيف.. يدرك مدى الأهمية الـتي يوليهـا العلمـاء الشـيعة لبنـاء الأحكام الشرعية على أسس علمية متينـة ، وعـدم قبـولهم ببنـاء مسائل الدين على الأوهـام والفرضـيات والإشـاعات والأسـاطير. ولكن المراقب المحايـد يصـاب بالدهشـة لإهمـال العلمـاء طـوال التـاريخ لدراسـة الروايـات التاريخيـة الـواردة حـول إثبـات ولادة ووجــود (الإمــام الثــاني عشــر محمــد بن الحســن العســكري) واعتمادهم في ذلك على قاعدة ما أنـزل اللـه بهـا من سـلطان ، تقـول:" الضـعيف يقـوي بعضـه بعضـا" ، واعتبـار مسـألة الـولادة

والوجود أمراً مفروغاً منه مسَلّماً لا يحتاج الى مراجعة أو نقاش.. وهذا مـا أدى بهم الى ترديـد تلـك الروايـات بلا تمعن ولا تفكـير.. تماما كما كان يفعل غلاة الاخباريين.

ومن المعروف أن الأخباريين الأوائل كانوا يتلقفـون كـل روايـة بلا دراسة ولا تمحيص .. ثم تطوروا فأخذوا يميزون بين الروايات. ثم ولدت الحركة الأصولية التي راحت تقسم الأحاديث الى صحيح وحسن وقوي وضـعيف.. إلا ان هـذا التطـور لم يشـمل الروايـات التاريخية الواردة حول موضوع (ولادة الإمـام الثـاني عشـر) حيث نرى الشـيخ الطوسـي الـذي ألـف (الفهرسـت) و (الرجـال) في علم الرجال ، ينقل تلك الروايات عن رجـال يضـعفهم في كتبـه ، وذلـك بسـبب الحاجـة الى تلـك الروايـات لبنـاء نظريـات كلاميـة معينة.

لقد انفق محقق كبير معاصر مثل السـيد مرتضـى العسـكري ، سـنوات طويلـة من عمـره ، لكي يثبت في مجلـدين أو ثلاثـة: ان عبد الله بن سبأ أسـطورة وهميـة، اختلقهـا بعض المـؤرخين لكي يتهم الشيعة بأخـذ نظريـة الوصـية في الإمامـة من الإسـرائيليين. وبـذل السـيد العسـكري جهـودا مضـنية ودرس عشـرات الكتب التاريخيـة ، لكي ينفي قصـة وجـود عبـد اللـه بن سـبأ ودوره في الفكر الشيعي ، ولكنه لم يبذل واحدا بالمائـة أو بـالألف من تلـك الجهود ليبحث حقيقة (وجود الإمام الثـاني عشـر) أو يـدرس تلـك الروايات التي تتحدث عن ولادتـه.. ولم يتوقـف عنـدها في كتـاب من كتبـه ، وهـو الـذي اكتشـف وجـود (مائـة وخمسـين صـحابي مختلق)!

بعد كل ذلك.. يمكنني القـول بعـدم وجـود قضـية مهملـة أو معرَض عنها في التراث الشيعي ، كقضية (وجـود الإمـام المهـدي وولادته) ولا توجد قضية خارج البحث والاجتهاد مثل تلك القضية.. وعنـدما قمت بدراسـتها بالصـدفة ، أو بـالأحرى بتوفيـق من اللـه تعــالى ، وعرضــت نتيجــة دراســتي على العلمــاء والمجتهــدين والمفكرين لأكثر من خمسة أعوام ، وجـدت الكثـير منهم يتهـرب من قراءة الدراسة ويمتعض نفسيا من مجرد البحث فيهـا ، كأنهـا تحاول ان توقضه من الاستغراق في حلم جميل.. وقد تأكدت من وجود حالة نفسية عقائدية تحول دون ممارســة البحث العلمي أو نقد تلك الروايات التاريخية ..

ان بعض المثقفين من عامـة النـاس يتلـذذ بنقـد عقائـد الفـرق الأخرى ، والاستهزاء برجالها الضـعاف الوضـاعين، ورواياتهـا غـير المعقولة ، ولكنه عندما يواجه قضية مشابهة تخص طائفتـه، فانـه يغمض عينيـه، ويتـذرع بالجهـل وعـدم الاختصـاص، ويـرفض ان يشغل عقلـه قليلا ، ويفضـل ان ينـام على مـا ورثـه من خرافـات وأساطير.

وقبل ان نناقش تلك الروايات "التاريخيـة" متنـا وسـنداً.. ينبغي ان نشـير الى ان هـذه الروايـات لم تكن معروفـة في فـترة مـا يسـمى بــ :(الغيبـة الصـغرى) حيث لم ينقلهـا المؤلفـون الـذين اعتقدوا بوجود الإمام الثاني عشر، وكتبوا حـول ذلـك في النصـف الثاني من القرن الثالث الهجري، كـالنوبختي في (فـرق الشـيعة) وسعد بن عبد الله الاشعري القمي في (المقالات والفرق) وعلي بن بابويه الصدوق في (الإمامة والتبصرة من الحيرة) ومحمد بن أبى زينب النعماني في :(الغيبة) وحتى الشيخ الكليني الذي حاول ان يجمع أية قصة أو رواية حـول الموضـوع ، وذكـر قصـة الرجـل الهندي (سـعيد بن أبى غـانم) الـذي سـافر من كشـمير بحثـا عن الإمـام المهـدي ، ولكنـه لم يـذكر كثـيرا من تلـك القصـص الـتي سجلها من بعده بعشرات السنين، الشيخ محمد بن علي الصدوق في :(إكمال الدين) أو الشيخ المفيـد في :(الإرشـاد) و(الفصـول المختارة) أو الشيخ الطوسي في (الغيبة).

ومن المعروف ان الشيخ الصدوق (الابن) جاء بعد حوالي مائـة سنة من وفاة الإمام العسكري .. وان الشيخ الطوسي توفي بعـد قرنين من ذلك التاريخ.. ولكنهما راحـا يسـجلان كـل مـا يسـمعان من حكايات وإشاعات وأساطير تتعلق بولادة (محمـد بن الحسـن العسـكري) ، ويرسـلان أو ينقلان عن عـدد من الغلاة والضـعاف والمجاهيل والمختلقين .

وكما رأينا فقد كانت تلك "الأدلة التاريخيـة" تختلـف فيمـا بينهـا اختلافا فاحشا وكبيرا بدءا من تحديد هوية أم (محمد بن الحسـن) المفترضة ، ومروراً بتاريخ ولادته ، وانتهاء بـأدق التفاصـيل.. حيث اختلفت في اسـم والدتـه بين الجاريـة نـرجس ، أو سوسـن ، أو صقيل ، أو خمط ، أو ريحانة ، أو مليكة، أو الحرة: مريم بنت زيـد العلوية ، وأنها جارية ولدت في بيت بعض أخوات الإمام الهادي .. أو اشتريت من سوق الرقيق في بغداد..

واختلفت تلـك الروايـات في تحديـد تـاريخ الـولادة في اليـوم والشهر والسنة.. واختلفت تبعا لذلك في تحديد عمره عنـد وفـاة أبيه بين سنتين أو ثماني سنوات.

واختلفت في طريقــة الحمــل في الــرحم أم في الجنب ، وفي الولادة من الفرج أم من الفخذ!

واختلفت الروايات في تحديد لونه بين البياض أو السمرة .

واختلفت في طريقــة نمــوه بين الطريقــة العاديــة المتعارفــة، والقول بأنه كان يبدو عند وفاة أبيـه بهيئـة صـبي ، وبين الطريقـة اللاطبيعيـة .. واختلفت في هـذه الطريقـة بين النمـو السـريع في اليوم مثـل النمـو خلال سـنة اعتياديـة ، أو النمـو في اليـوم مثـل النمو في أسبوع .. والنمـو في الأسـبوع مثـل النمـو خلال شـهر.. والنمو في شهر مثل النمو خلال سنة. وبناء على ذلك فانـه كـان يبدو قبل وفاة أبيه بهيئة رجل كبير قد يبلـغ سـبعين عامـا.. بحيث لم تتعرف عليه عمته حكيمة واستغربت من أمـر الإمـام الحسـن لها بالجلوس بين يديه.

واختلفت تلك الروايات، في أمر التكتم عليه.. فقـالت روايـة: ان حكيمة ودعت الإمام الحسن في أعقاب ولادة ابنه، وانصرفت الى منزلها ، وعندما اشتاقت لـه بعـد ثلاثـة أيـام رجعت ففتشـت عنه في غرفته فلم تجد له أثرا ولا سمعت له ذكـرا ، فكـرهت ان تسأل ودخلت على أبى محمـد فبـدأها بـالقول: "هـو يـا عمـة في كنف اللـه ، أحـرزه وسـتره حـتى يـأذن اللـه لـه، فـإذا غيَّب اللـه شخصي وتوفاني ورأيتِ شيعتي قد اختلفوا فأخبري الثقــاة منهم، وليكن عندك مستوراً وعندهم مكتوماً ، فان ولي اللـه يغيبـه اللـه عن خلقه ويحجبه عن عباده فلا يراه أحد حتى يقـدم لـه جبرائيـل فرسه" .

وقالت رواية أخرى: ان حكيمة كـانت تشـاهد ابن الحسـن كـل أربعين يوما ، وإنها لم تزل تراه الى ان اصبح رجلا .

وقالت روايات أخرى : ان الإمـام الحسـن العسـكري أعلن عن ولادة ابنـه، وأرسـل الى بعض أصـحابه بكبش ليعقـوا عنـه ، وانـه عرضــه على مجموعــة من أصــحابه ، وانــه كتب الى احمــد بن إسحاق القمي بذلك.. وانه أخرج ابنه وأراه إياه عند زيارته له في (سر من رأى) وان عددا من الخدم والأصحاب شاهدوا ، بالصدفة

أو بالعمد، ابن الإمام الحسن ، وهـو جـالس في غرفـة أو يمشـي في الدار .

واختلفت الروايات بين ذكر الخوف من السـلطة للقبض عليـه، وبين الاطمئنان التـام الى حـد الخـروج للصـلاة على جثمـان أبيـه أمام الناس، واستقبال الوفود في دار أبيه.

واختلفت الروايـات حـول علم الأصـحاب والخـدم بوجـود ابن للإمام العسكري ، فقال بعضها: بأن الخدم والأصـحاب المقـربين كـانوا يعلمـون بوجـوده وانهم قـد شـاهدوه .. وقـال بعضـها: انهم فوجئوا به عند ظهوره للصلاة على جثمان أبيه وعـدم معرفتـه إلا بالعلامات العديدة.

واختلفت الروايات حول نضجه العقلي ، فقال بعضها: انه سجد لحظة ولادته وتشهد بالشـهادتين وصـلى وسـلم على آبائـه وحـداً واحداً وقرأ آيات من القرآن المجيد.. وقال بعضها: انـه كـان وهـو غلام يلعب برمانة ذهبية ويصد أباه عن كتابة ما يريد!..

رواية حكيمة

تقول رواية الصدوق عن حكيمة: ان نرجس لم يكن بها أي أثـر للحمل، وإنها لم تكن تعرف ذلك. وقد استغربت عندما قـالت لهـا حكيمة : أنها ستلد تلك الليلة ، وقالت يا مولاتي ما أرى شـيئا من هذا !.. وان حكيمة نفسها استغربت عندما أخبرها الإمام الحسـن بولادة ابن له في ليلة النصـف من شـعبان وتسـاءلت : من أمـه؟ وعدما قال لها :(نرجس) قـالت: جعلـني اللـه فـداك مـا بهـا أثـر. وعنـدما اقـترب الفجـر ولم يظهـر أي أثـر دخـل الشـك الى قلب حكيمة .

وتقـول الروايـة: ان حكيمـة أقبلت تقـرأ القـرآن على نـرجس، فأجابها الجنين من بطن أمه ، يقرأ مثلما تقرأ ، وسلم عليها ، مما أثار فزعها. ومع ذلك تقول الرواية: ان حكيمـة أخـذتها فـترة ولم تشهد عمليـة الـولادة ، وفي روايـة أخـرى: ان نـرجس غُيّبت عن حكيمة ، فلم ترهـا ، كأنـه ضُـرب بينهـا وبينهـا حجـاب ، ممـا أثـار استغرابها ودفعها الى الصراخ واللجوء الى أبى محمد.

ولا تذكر رواية الصدوق ما ذكـره الطوسـي في إحـدى رواياتـه من: ان حكيمـة وجـدت على ذراع الوليـد مكتوبـا :" جـاء الحـق وزهق الباطل ان الباطل كـان زهوقـا" الإسـراء 81 ، بـالرغم من تقدم الصدوق على الطوسي بحوالي مائـة عـام ، ولكن الصـدوق ينفرد بذكر الطيور التي حلقت فوق رأس الوليد ، وقـول الحسـن لطير منها : احمله واحفظه ورده الينا في كل أربعين يوما.

ويتفق الاثنان (الصدوق والطوسي) على تكلم الوليـد والتشـهد بالشهادتين والصلاة على النـبي والأئمـة السـابقين والسـلام على أمه وأبيه ، كما يتفق الاثنان أيضا: على ان الوليد غـاب بعـد ذلـك واختفى ، وان عمته لم تجد له أثرا ولا سمعت له ذكرا.

وكل هذه الأمور غريبة لم تعرف عن رسول اللــه (ص) ولا عن أحـــد من الأئمـــة الســـابقين (ع) .. وهي من مقـــولات الغلاة وأساطيرهم ، ولا علاقة لها بالشيعة الجعفريـة أو الاماميـة الـذين جعلوا النص طريقا للتعرف على الإمام الجديد ، ولم يذكروا شيئا من تلك الأمور الخارقة اللاطبيعية.

وقد ذكر الله عز وجل قصة تكلم النـبي عيسـى (ع) في المهـد أمـام النـاس بصـورة إعجازيـة لكي ينفي عن أمـه تهمـة الزنـا ، ويثبت ولادته بصورة غير طبيعية ، وليسـت هنـاك حاجـة لإحـداث المعجزة والأمور الخارقة للعادة مع ولادة (الإمام الثـاني عشـر) . وإذا كان لا بد للمعجزة ان تحدث .. فلا بد ان تحدث أمـام النـاس لكي يطلعوا عليها ويؤمنوا برسالتها.. ولا يمكن ان تحدث بصـورة سرية لا يطلع عليها أحد .. فما الفائدة منها؟

لقد كان هناك شك في أسـاس ولادة ابن للحسـن العسـكري ، وإذا كانت هناك إمكانيـة لحـدوث أمـر خـارق للعـادة ، فانـه كـان يمكن ان يحدث لإثبات أمـر الـولادة .. وحفـظ الوليـد من السـوء مثلا.. وهذا ما لم يحدث.

ويلاحظ ان جميع الروايات التي تتحدث عن ولادته سراً وغيبته بين أجنحة الطيور التي هي الملائكـة ، لم تشـر الى وجـود خـوف من السلطة ، والى انه المهدي المنتظر.. ولو كـان قـد ولـد حقـاً لكان من الأفضل ان يعلن الإمام العسكري عن ولادته بحيث يراه جميـع النـاس ويتأكـدوا من وجـوده وخلافتـه لأبيـه.. وإذا حـاولت السـلطة العباسـية ان تلقي القبض عليـه أو تقتلـه فانـه يختفي بقدرة الله وبصورة إعجازية..

وتقول الرواية المنسوبة الى حكيمة: ان الإمام الحسن العسكري كان يعلم بصورة غيبية بجنس الجنين وانه ذكر .. كما تقول : انه كان يعلم غيبيا بما تفكر به أخته حكيمة التي شكت في قوله ، وقال لها : لا تعجلي يا عمة. كما تشير الى علم الإمام الحسن باقتراب اجله وقوله لأخته :"عن قريب تفقدوني" وكذلك علم الإمام المهدي بالغيب وإجابته على أسئلة حكيمة قبل ان تبدأ بها .. وكل هذه أمور تخالف عقيدة الشيعة الجعفرية والامامية وتتفق مع نظريات الغلاة والمنحرفين عن أهل البيت، إذ ان هناك حديث مشهور لدى الشيعة عن أئمتهم : يأمر بضرب أي حديث يتعارض مع القرآن عرض الجدار .

إذن فان كل هذه التساؤلات والإشكاليات والمآخذ تضعف الرواية المنسوبة الى حكيمة ، وتسقطها عن الحجية والوثوق وتقرب من كونها أسطورة حاكها الغلاة والمتطرفون.

رواية أبى الأديان البصري

وهي رواية انفرد بها الصدوق في :(إكمال الدين) عن رجل مختلق أو موهوم لم يذكر اسمه ولا اسم أبيه ولا عشيرته :(أبو الأديان البصري) وقال انه أحد خدام الإمام وحامل كتبه ورسوله الى الأمصار وجامع أمواله.. ومع ذلك فلم يعرفه أحد ولم يشر الى وجوده أي مؤرخ آخر. وبالرغم من المكانة العالية التي يعطيها إياه الصدوق، لكي يسوّق كلامه، فان الراوي (أبا الأديان) يعترف في نفس الرواية: بأن الإمام العسكري لم يخبره بهوية الإمام من بعده ، وجهله بوجود ابن للإمام ، ويقول أيضا: بأن عامة الشيعة بما فيهم عقيد والسمان (عثمان بن سعيد) والبصري نفسه عزوا جعفر بن علي وهنئوه ، ولم يكونوا يعرفون من هو الإمام بعد العسكري ، وأرادوا ان يصلوا خلف جعفر.

وتعتمد الرواية من بدايتها الى نهايتها على عنصر (علم الإمام بالغيب) حيث يقول الراوي في البداية: ان الإمام الحسن قال له:" امضِ الى المدائن ، فانك ستغيب خمسة عشر يوما ، وتدخل الى (سر من رأى) يوم الخامس عشر، وتسمع الواعية في داري ، وتجدني على المغتسل". وكل ذلك من علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله ، حيث يقول القرآن الكريم:" وما تدري

نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي ارض تمـوت" (لقمـان 34).

وتقـول الروايـة: ان الإمـام القـادم المجهـول سـوف يطـالب البصري ، دون ان يعرفه من قبل، بجواب كتب الإمام العسكري ، كما تقول : بأنه سوف يخبر بما في الهميان . وان صبياً خرج بعـد تكفين العسكري ودفع جعفر وصلى على أبيه ، ثم قال للبصــري: هات جوابات الكتب التي معـك ، فـدفعها اليـه . وفي تلـك الأثنـاء جـاء وفـد من شـيعة قم والجبـال فسـألوا عن الإمـام العسـكري فأخبروهم بوفاته ، فقالوا: من نعزي؟ فأشار الناس الى جعفر بن علي ، فسلموا عليه وعزوه وهنئوه..

ولم يوضـح البصـري لمـاذا لم يـدلهم هـو الى الإمـام الجديـد؟ ولماذا لم يشر قادة الشيعة الذين صلوا ، لتوهم ، خلف الصــبي ، اليه ، إذا كان قد حدث ذلك حقاً و فعلاً ؟.

وعلى أي حال فان الراوي (أبا الأديان البصري) يقول: ان وفد قم لم يعترضوا على تعيين جعفر كإمـام بعـد أخيـه ، ولم يحتجـوا بضرورة الوراثة العموديـة ، وإنمـا قـالوا بـأن معهم كتبـاً وأمـوالا، وطلبـــوا من جعفـــر ان يخـــبر بصـــورة غيبيـــة ممن هي الكتب والأموال.. فقام جعفر ينفض أثوابه ويقـول: تريـدون منـا ان نعلم الغيب؟!.. فخـــرج الخـــادم (؟) وقـــال: معكم كتب فلان وفلان وهميان فيه ألف دينار وعشرة دنانير مطلية ، فدفعوا اليــه الكتب والمال وقالوا: الذي وجه بك لأخذ ذلك هو الإمام .

ولم يقل الصـدوق في هـذه الروايـة: ان وفـد قم عرفـوا هويـة الإمـام أو رأوه أو التقـوا بـه . ولكنـه يقـول في روايـة أخـرى: ان الوفد سار مع الخادم ودخـل على الإمـام القـائم وهـو قاعـد على سرير، كأنه فلقة قمر عليه ثياب خضر ، فسلم الوفـد عليـه ، ورد عليهم السلام ، ثم قال: جملة المال كـذا وكـذا.. حمـل فلان كـذا وحمل فلان كذا.. ولم يزل يصف حتى وصف الجميـع ، ثم وصـف رحال الوفد وثيابه وما كان معه من الدواب.

وبالرغم من أن المسألة ليست عسيرة جـدا .. حيث يمكن لأي شخص ان يندس بين الوفد ويطلع على حاله، أو يتفـق مـع رئيس الوفد ويخبر البقية بالتفاصـيل.. فـان روايـة أبى الأديـان البصـري تعتبر ذلك من علم الغيب ، وانه يشكل دلالـة على إمامـة الرجـل (أو الصبي) القاعد على السرير ، وإمامتـه ، دون ان تقـول كيـف

تعرف الوفد على هوية الرجل ، وهل قال لهم انه ابن الإمام العسكري ؟ أم لا ؟.

وكما هو واضح.. فان هذه الرواية لا تذكر شيئا عن الخوف والإرهاب المحيط بالشيعة والإمام الجديد ، بل تقول ان الخليفة العباسي المعتمد، وقف الى جانب الوفد في خلافهم مع جعفر، وانه أرسل لهم حرسا يحمونهم في الطريق. وتنسى الرواية التي تقول : ان السلطات العباسية كبست دار الإمام العسكري وفتشته بحثا عن وجود ولد له.

وإذا كان الإمام فعلا خائفا ومتكتما ومستورا فلماذا يخرج للصلاة على أبيه؟ ولماذا يجلس في بيته في سامراء ، ويستقبل الوفود على مقربة من عيون السلطة؟

هذا وان المعروف والثابت تاريخيا ان أبا عيسى المتوكل هو الذي صلى على جثمان الإمام العسكري وشيعته عاصمة الخلافة (سّر من رأى) التي أغلقت أبوابها عن بكرة أبيها وضجت بالبكاء والعويل .

ويبدو ان هذه الحكاية قد نشأت في قم في مرحلة متقدمة ، لإثبات وجود خلف للإمام العسكري .. قبل ان تتطور وتنشأ نظرية مهدوية ذلك الخلف.. وذلك لأن مسألة إثبات الخلف تختلف وتسبق زمنيا مسألة إثبات صفة المهدوية له ، وقد كان الناس مشغولين في البداية بإثبات المسألة الأولى ، ولم تنشأ المسألة الثانية (المهدوية) إلا في وقت متأخر بعد سنين طويلة ، انطلاقا من حالة الغيبة وعدم الوجدان للإمام ، فاعتبر البعض ذلك علامة من علامات المهدي وقال : إذن فانه المهدي المنتظر.

ومن هنا فان واضعي الحكاية لم يأخذوا في حسبانهم الخوف من السلطات وتفتيش الشرطة عنه ، فتحدثوا عن خروج الصبي للصلاة على أبيه ، واستقبال الوفود في داره.

وقد ذكرنا الى جانب تلك الرواية، روايتين أخريين، هما رواية إسماعيل بن علي النوبختي، الذي يقول: انه زار الإمام العسكري قبيل ساعة من وفاته ، فطلب الإمام من خادمه (عقيد) ان يأتيه بابنه ، وانه جاء به اليه، فقال له:" أبشر يا بني فأنت صاحب الزمان"... ورواية: المجموعة من الأصحاب الذين قالوا: ان

الإمام العسكري عرض عليهم ابنه وقـال لهم:" هـذا إمـامكم من بعدي وخليفتي عليكم.. أما إنكم لا ترونه بعد يومكم هذا ".

والرواية الأولى تتناقض مـع روايـة أبى الأديـان البصـري، الـذي يقول فيها: ان (عقيد) كان يجهـل وجـود ولـد للإمـام العسـكري ، ولذلك طلب من أخيه جعفر ان يصلي عليه ، بينما تقـول الروايـة الأولى: ان (عقيـد) جـاء بالصـبي لأبيـه أمـام إسـماعيل بن علي النوبختي.

ومن الجـدير بالـذكر ان النوبخـتي لا يشـير بنفسـه الى هـذه القصة ويقول: انه عرف بوجود ابن للحسن عن طريق الاستدلال النظري.[335]

أما الرواية الثانية فتتناقض أيضا مع رواية أبى الأديـان البصـري التي تنفي معرفة كبار الأصحاب بوجـود ابن للحسـن العسـكري ، بما فيهم السـمان (عثمـان بن سـعيد العمـري) و(حـاجز الوشـاء) الذي تساءل من جعفر : من الصـبي لنقيم عليـه الحجـة؟ فقـال: والله ما رأيته قط ولا اعرفه!

ومن المعـروف .. ان السـمان العمـري وحـاجز الوشـاء ادعيـا (النيابة الخاصة والوكالة عن الحجة ابن الحسن) بعد ذلك ، فمتى رأوه؟ ومتى اخذوا الوكالة منه؟

وهناك نقطـة أخـرى: هي ان الروايـة الثانيـة تقـول: ان الإمـام العسكري قال لأصـحابه بعـد ان عـرض عليهم ابنـه:" أمـا إنكم لا ترونه بعد يومكم هذا" .. فكيف ظهر بعد ذلك وصلى على جثمان أبيه واستقبل الوفود؟

وكـل هـذه الروايـات تتنـاقض مـع الروايـة الأولى المرويـة عن حكيمة، والتي يقول فيها الإمام العسكري: إنها لن تـراه بعـد يـوم ولادته ، حيث تعود كل رواية فتنقض الرواية السابقة.

وهذا ما يدل على ان الفريـق الـذي اخـترع وجـود ولـد للإمـام العسكري ، خلافا للظاهر والحقيقة.. وبناء على مقولات فلسـفية واهيـة، كعـدم جـواز انتقـال الإمامـة الى أخـوين بعـد الحسـن والحسـين وضـرورة اسـتمرار الإمامـة في الأعقـاب وأعقـاب

335 - كمـا ينقـل عنـه الصـدوق في ، إكمـال الـدين، ص 92 عن كتـاب النوبختي:(التنبيه).

الأعقــاب.. ان هــذا الفريــق راح يختلــق القصــص والحكايــات والأسـاطير عن مولـد ابن الحسـن ، واللقـاء بـه في حيـاة أبيـه ومشاهدته عند وفاته.

ولما كانت الروايات مختلقة ، ولا تعبر عن الحقيقـة ، ومصـنوعة من قبل رجال مختلفين، فقد جـاءت متناقضـة ومختلفـة في أدق التفاصـيل ، وتعـبر كـل واحـدة منهـا عن أفكـار واضـعها النفسـية الخاصة ، كما جاءت محفوفة بالمعاجز والأمـور الخارقـة للعـادة ، ومنطوية على دعـوى علم الأئمـة بـالغيب ، وهـذه دعـوى تنـاقض القـرآن الكـريم الـذي يصـرح:" قـل لا يعلم مَن في السـماوات والأرض الغيب إلا اللــه" النمــل 65 ، ويقــول:" عــالم الغيب فلا يظهـر على غيبـه أحـدا إلا من ارتضـى من رسـول" الجن 27 .. وتحاول تفسير ظاهرة الغيبة المحيرة والمناقضة لنظرية الإمامــة الإلهية واللطف الإلهي .

ان الروايــة التاريخيــة الظاهريــة تقــول: ان الإمــام الحســن العسـكري لم يشـر الى وجـود ولـد لـه ، وعنـدما أحسّ بالوفـاة اسـتدعى القاضـي ابن أبى الشـوارب ، وأوصـى أمامـه بأموالـه وممتلكاته الى أمه (حديث) ، وقد ادعت ، بعـد وفاتـه، جاريـة لـه اسمها (نـرجس) بأنهـا حامـل منـه ، أملا في عتقهـا ، لأنهـا كـانت ستصبح (أم ولد) وتعتق من نصـيب ابنهـا .. وربمـا كـانت الـدورة الشهرية قد تأخرت عليهـا فظنت نفسـها أنهـا حامـل.. وقـد أرجـأ القاضي قسمة التركة واهتم بالجارية ، ونقلها الى نسـاء الخليفـة المعتمد ، وأمر باستبرائها ، أي التحقق من ادعائها الحمل.. ثم لم يتبين عليها أي شيء .

وكان بعض الشيعة الامامية الذين لم يقولـوا بإمامـة جعفـر بن علي ، قد أصـيبوا بأزمـة فكريـة وحـيرة، فتشـبث بعضـهم بــ : " قشة نرجس" ، وقال: إنها ولدت بعد ذلك.. وقال بعضهم: إنها لم تلـد ولم نـرَ ذلـك .. ولكنهـا سـوف تلـد عنـدما يـأذن اللــه في المسـتقبل ، وان الجـنين بقى في بطنهــا مــدة طويلــة بصــورة إعجازية.. وقال بعض آخر: إنها ادعت الحمل للتغطية على ولـدها الذي ولدته من قبل.. وقال آخرون أقوالاً أخرى مشابهة .

وراح الذين ادعوا وجـود الولـد من قبـل ، ينسـجون الإشـاعات والأساطير، بصورة سرية خافتة، ليضلوا بها البسـطاء ويسـتفيدوا من ورائها الأموال.. ولم يصدق العلماء والمحققون الأوائـل بتلـك الإشـاعات.. ثم جـاء الشـيخ الصـدوق بعـد مائـة عـام ، والشـيخ

الطوسي بعد مائتي عام ، ليسجلوا تلك القصص والأساطير، دون ان يحققوا بمصادرها وإسنادها ، ودون ان يعتمـدوا عليهـا كثـيرا.. وكانوا يشعرون بضعفها وهزالها، فقـالوا في البدايـة : إننـا نعتمـد على الدليل العقلي (الفلسفي) لإثبات وجود (ابن الحسن) ونـأتي بتلك القصص من باب المعاضدة والتأييد..

ثم جـاء من بعـدهم من المـؤرخين (الاخبـاريين) فنقلـوا تلـك القصـص الأسـطورية كأنهـا حقـائق تاريخيـة لا تقبـل المناقشـة والحوار.

ومع ان الله سبحانه وتعالى يطالبنـا بالأخـذ بالروايـة الظاهريـة النافيـة لوجـود ولـد للإمـام الحسـن العسـكري ، ولا يحاسـبنا ولا يسـألنا بالأخـذ بالروايـة السـرية الباطنيـة المتناقضـة والمحفوفـة بالخرافات والأساطير ..

وإننا لسنا بعد ذلك ، وبعد مـا تـبين مـا فيهـا من ضـعف كبـير، بحاجـة الى دراسـة سـندها ومعرفـة الـرواة النـاقلين لهـا.. فإننـا بالرغم من ذلك سـوف نلقي نظـرة على سـندها، لننظـر من أين جاء بها الأموي المؤرخـون ، ولـنزداد معرفـة ويقينـا بضـعف هـذه الروايات الـتي لعبت دورا كبـيرا في التـاريخ الإسـلامي وفي بنـاء الفكر السياسي الشيعي عبر التاريخ.

المطلب الثاني: **تقييم سند الروايات التاريخية**

قبل ان ندخل في دراسة سند تلك الروايـات التاريخيـة ، لا بـد ان نشير الى ان بعض العلماء الذين كتبوا حول (الإمـام المهـدي) أهملوا تلك الروايات ولم يعتمدوا عليها ، كما فعل الشهيد السـيد محمد باقر الصدر في كتابـه (بحث حـول المهـدي) ولكنـه اعتمـد على دعوى (النواب الأربعة) الذين ادعوا النيابة الخاصـة والوكالـة عن (الإمام المهدي) واستبعد ان يكذب هؤلاء في دعـواهم اللقـاء بالإمام ، وبنى، بنـاء على ذلـك ، على صـحة وجـود وولادة الإمـام المهدي ، وراح يفسـر بعـد ذلـك ، فلسـفة الغيبـة، ويثبت إمكانيـة العمر الطويل.

وهناك من يعتمد على المشايخ الكبار الذين رووا تلك الروايات ، كالشيخ الكليني والصدوق والطوسي والمفيد، ويسـتبعد كـذبهم أو اعتمادهم على رواة ضعاف وروايات ضعيفة.

وبالرغم من وجود عمليات تزوير وتلاعب في الكتب القديمة والحديثة ، فلم أرَ من يتوقف لكي يدرس تلك الكتب ويتأكد من صحتها..

وعموما اعتقد : ان من الضروري في البحث العلمي التأكد :

أولا: من صحة نسبة الكتب التاريخية المعروفة كـ: (الغيبة) و(إكمال الدين) و(الإرشاد) و(الفصول المختارة) الى أصحابها، والتأكد من عدم إضافة أو نقصان أو تحوير أي شيء منها .. وهذا أمر عسير غير ممكن.. حيث لا توجد في التراث الشيعي من الكتب (الصحيحة) ، أي ما صح نسبتها الى مؤلفيها ، سوى كتب الحديث الأربعة: (الكافي، ومن لا يحضره الفقيه، والتهذيب، والاستبصار) التي رواها العلماء واحدا عن واحد.

ثم لا بد ثانيا: من دراسة مؤلفيها ومدى دقتهم وضبطهم . وهذا أمر ممكن وليس بعسير.

ثم لا بد من دراسة سلسلة الرواة الذين ينقلون عنهم ، والتأكد من وجودهم وصدقهم وضبطهم.. فان بعض الرواة لا وجود لهم ، أي انهم أشخاص وهميون مختلقون ، وبعضهم غلاة كذابون وضاعون ، وذلك حسبما يقول علماء الرجال الشيعة الامامية الاثنا عشرية ، كالطوسي والنجاشي والكشي وابن الغضائري وغيرهم.

وهناك بعض الرواة الذين اجمع علماء الرجال (الاماميون الاثنا عشريون) على وثاقتهم وصدقهم والأخذ عنهم.. ولكن بقية الفرق الامامية والشيعية والإسلامية لا تعترف بذلك، وتشك بصدقهم ، وذلك كالنواب الأربعة، وغيرهم ممن ادعى رؤية (الإمام المهدي) واللقاء به واخذ الوكالة عنه.

وان أية دراسة لسند الروايات التاريخية، التي تثبت ولادة ووجود (الإمام المهدي) ، ينبغي ان تدرس الظروف الموضوعية المحيطة بهؤلاء (النواب) ، وتعيد النظر في وثاقتهم وصدقهم.. كما أعاد الشيعة النظر في كثير من أصحاب الإمام الكاظم ، الذين وقفوا عليه وقالوا بغيبته ومهدويته ، رغم وثاقتهم وصدقهم.. وتوقفوا على الأقل في رواياتهم التي يتحدثون فيها عن استمرار حياة الإمام الكاظم.. بعد ان اتهموهم بجر النار الى

قرصـهم ، والاسـتفادة ماديـا من دعـوى مهدويـة الإمـام الكـاظم وغيبته واللقاء به.

وقـد اعتـاد المؤرخـون والمؤلفـون عن (الإمـام المهـدي) ان يسلّموا بوثاقة (النواب الأربعة) ويصدقوا بروايـاتهم عن مشـاهدة (الإمام المهدي) واستلام (التواقيع) منه .. وهذا نـوع من الانحيـاز المسـبق والتسـليم الأعمى والتصـديق السـاذج ، لرجـال متهمين باختلاق القصة من أساسها ، واسـتغلالها لتحقيـق مكاسـب ماديـة شخصية.

ولقـد كـان الشـك موجـودا في حيـاتهم.. حيث كـان الشـيعة يشـكون بصـدق دعـواهم في (النيابـة) ويتسـاءلون عن مصـير الأموال التي يجبونها باسم (الإمام المهـدي) ، وكـان بعض أدعيـاء النيابة يكذّب بعضا ، ويتهم كل فريق منهم الفريقَ الآخـر بالـدجل والشعوذة.

ولا يوجد ما يثبت صـحة دعـوى (النـواب الأربعـة) من بين اكـثر من عشرين شخصا كان يدعي (النيابة الخاصـة) في تلـك الأيـام ، سـوى مجموعـة إشـاعات عن قيـام النـواب بالمعـاجز وعلمهم بـالغيب ، وهـذه أمـور ذكرهـا المؤرخـون (الكليـني والصـدوق والطوسـي والمفيـد) في كتبهم وصـدقوا حـدوثها بالنسـبة لبعض (النواب) ورفضوا تصديقها بالنسبة الى البعض الآخر.

وإذا رفضنا قبول حكايات المعاجز والعلم بالغيب ، التي ادعاهـا (النـواب الأربعـة) أو روّجهـا عنهم أنصـارهم.. فلا يبقى لـدينا مـا نستدل به على صدقهم وتمييزهم عن سائر المـدعين الكـذابين ، لأن الجميع متهم بجر النار الى قرصه .

ومن هنا سوف نـدرس سلسـلة رواة القصـص التاريخيـة الـتي تتحـدث عن ولادة ووجـود ومشـاهدة (الإمـام المهـدي محمـد بن الحسن العسكري) دراسة محايدة ، ونعتمد أساسـاً على تضـعيف علماء الرجال الشيعة الاماميـة الاثـني عشـرية .. وإذا كـان لـدينا رأي خاص حول رجل معين فسوف نقدم أدلتنا الخاصة حوله.

رواية حكيمة

ينقل الصدوق قصـة ولادة (صـاحب الزمـان) عن محمـد بن الحسن بن الوليـد، قـال: حـدثنا محمـد بن يحـيى العطـار ، قـال:

حدثنا أبو عبد الله الحسين بن رزق الله ، قال: حدثني موسى بن محمد القاسم ، قال : حدثتني حكيمة...[336]

والحسين بن رزق الله ، شخص مجهول ، أو مختلق لا وجود له في تراجم الرجال ، أما موسى بن محمد فهو مهمل .

وفي بعض النسخ يوجد (الحسين بن عبيد الله) بدلا من (أبو عبد الله الحسين) ، وهو من يطعن فيه النجاشي ويتهمه بالغلو.

وفي رواية أخرى ، ينقل الصدوق القصة عن الحسين بن احمد بن إدريس ، قال: حدثنا أبى ، قال: حدثنا محمد بن إسماعيل ، قال: حدثني محمد بن إبراهيم الكوفي ، قال: حدثنا محمد بن عبد الله الطهوي ، عن حكيمة...

وتختلف النسخ الموجودة من (إكمال الدين) في اسم الطهوي ، ففي بعضها: الظهري ، وفي بعضها الزهري ، وفي بعضها: المطهري ، وفي بعضها: الطهري.. ولا يوجد أي ذكر لهذا الرجل في تراجم الرجال ، مما يحتمل اختلاقه من قبل بعض الرواة ، وعلى أي حال .. فهو مجهول.

أما الشيخ الطوسي فينقل القصة في (الغيبة) عن عمة الإمام العسكري ، ويسميها (خديجة) بدلا من (حكيمة) .[337]

وينقل القصة مرة أخرى ، عن ابن أبى جيد ، عن محمد بن الحسن بن الوليد ، عن الصفار محمد بن الحسن القمي، عن أبى عبد الله المطهري عن حكيمة،التي تذكر ان اسم والدة ابن الحسن (سوسن) وليس (نرجس) كما في رواية الصدوق.

وينقل القصة أيضا برواية ثالثة، عن ابن جيد ، عن محمد بن الحسن بن الوليد، عن محمد بن يحيى العطار، عن محمد بن حمويه الرازي ، عن الحسين بن رزق الله ، عن موسى بن محمد..

وفي رواية رابعة ، ينقلها الطوسي عن احمد بن علي الرازي ، عن محمد بن علي ، عن علي بن سميع بن بنان ، عن محمد بن علي بن أبى الداري ، عن احمد بن محمد، عن احمد بن عبد الله ، عن احمد روح الاهوازي ، عن محمد بن إبراهيم ، عن

---

336 - الصدوق ، إكمال الدين، ص 424

337 - الطوسي ، الغيبة ، ص 138 - 146

حكيمة ، بمثل معنى الحديث الأول ، إلا انه قـال: قـالت بعث اليّ أبو محمد ، ليلة النصف من رمضان ، وليس من شعبان.

وفي روايــة خامســة ، ينقلهــا الطوســي عن احمــد بن علي الــرازي ، عن محمــد بن علي ، عن حنظلــة بن زكريــا ، قــال : حدثني الثقة عن محمد بن بلال عن حكيمة..

وفي رواية سادسة ، ينقلها الطوسي عن جماعة من الشـيوخ ، عن حكيمة.

وفي هـذه الروايـة الأخـيرة ، لا يـذكر الطوسـي اسـم أحـد من الشـيوخ الـذين يرسـلون الروايـة الى حكيمـة من دون ذكـر أي سند . وهذا ما يسقطها عن الحجية والاعتبار.

وفي الرواية التي قبلها لا يقول حمزة بن زكريا (الـذي يضـعفه النجاشي) من هو (الثقـة) الـذي حدثـه؟.. أمـا محمـد بن علي بن بلال ، فهو أحد أدعياء الوكالة عن المهدي ، وقد اختلف مع محمد بن عثمان العمري . وأما احمد بن علي الـرازي ، فـان الطوسـي نفسه يضعفه في كتب الرجـال ، وكـذلك يضـعفه النجاشـي وابن الغضائري ، ويتهموه بالغلو.

ومن هنا يتبين حال الرواية الرابعة ، التي ينقلهـا الطوسـي عن احمد بن علي الرازي (الضعيف الغالي) الذي ينقلهـا عن مجهـول هو (احمد الاهوازي) .

أمـا الروايـة الثالثـة .. ففيهـا (محمـد بن حمويـه الـرازي) وهـو مجهول أيضا ، بالإضـافة الى (الحسـين بن رزق اللـه) المجهـول كذلك .

وفي الرواية الثانية يتبدل اسم (محمـد بن عبـد اللـه الطهـوي) الذي ذكره الصدوق الى (أبى عبد الله المطهري) .. وهو مجهـول في كلا الحالين .

أما الرواية الأولى فتقول عمة الإمام فيها : أنها لم تعاين مولـد ابن الحسن ، وإنما سمعت بذلك خبرا كتب به أبو محمد الى أمـه في المدينة.

إذاً فان رواية حكيمة عن مولـد (ابن الحسـن) يرويهـا المتـأخرون عن غلاة عن ضــــعاف عن مجاهيـــــل عن مختلقين.. ولا يمكن الاعتماد عليها مطلقا.

رجل من أهل فارس

ينقل الكليني والصدوق والطوسـي والصـدر ، قصـة (رجـل من أهـل فـارس) ذهب الى (سّـر من رأى) ولـزم بـاب أبى محمـد الحسن العسكري يعمل مـع الخـدم.. وشـاهد يومـا غلامـا ابيض ، فقال له الإمام الحسن :" هذا صاحبكم ".[338]

وهذه رواية ضعيفة جدا ، لا حاجة للتوقف عندها ، حيث لا تذكر اسم الـراوي وتكتفي بـالقول : انـه (رجـل من أهـل فـارس) ! .. وهذا أسلوب غير مقبول في الحديث مطلقا.

يعقوب بن منقوش

وأما روايـة يعقـوب بن منقـوش ، الـتي يقـول فيهـا: انـه سـأل الإمام العسكري يوما : من صـاحب هـذا إعلان؟ فقـال لـه: ارفـع سترا مسبلا على باب بيت ، فخرج منه غلام خماسي فقال:" هذا صاحبكم". والتي ينقلها الصدوق عن أبى طالب المظفر بن جعفر بن المظفر العلوي السمرقندي ، عن جعفر بن محمد بن مسعود ، عن أبيه محمد بن مسعود العياشي ، عن آدم البلخي ، عن علي بن الحسن بن هارون الدقاق ، عن جعفر بن محمـد بن عبـد اللـه بن القاسم ، عن يعقوب بن منقوش .. فهذه رواية ضعيفة جدا ..

أولا: لعدم وجود شخص باسم المظفر السـمرقندي في تـراجم الرجال.

وثانيـا: لأن العياشــي يــروي عن الضـعفاء كثـيرا ، كمـا يقــول النجاشي ، وهو يقول بتحريف القرآن في تفسيره بصراحة.

وثالثا: لقول آدم البلخي بالتفويض ، وهو من الغلاة الذين كـانوا يقولون بأن الله خلق محمدا وفوّض اليه خلق الدنيا ، وهو الخلاق لما فيها ، ثم فوّض إعلان الى علي (راجع رجال النجاشي)

---

[338] - الكليني ،الكافي، ج1 ، ص 329 ، والصدوق ، إكمال الدين، ص 435 ، والطوسي ، الغيبة، ص 140 ، والصدر، الغيبة، ص 285

ورابعا: لإهمال الدقاق واختلاف اسم والده بين الحسن والحسين.

وخامسا: لمجهولية جعفر بن محمد بن عبد الله.

وسادسا لإهمال يعقوب بن منقوش ، واضطراب اسم والده بين منقوش ومنفوش ومنفوس .

عثمان بن سعيد العمري

أما الرواية التي ينقلها الصدوق في :(إكمال الدين) (6) والطوسي في (الغيبة) (7) عن جماعة فيهم عثمان بن سعيد العمري ومعاوية بن حكيم ومحمد بن أولئك ، وقول الإمام لهم :" هذا إمامكم من بعدي".[339].. فان الصدوق والطوسي يرويانها عن جعفر بن محمد بن مالك الفزاري ، وهو كذاب شهير وضّاع للأحاديث ، يقول عنه ابن الغضائري:" كذاب متروك الحديث جملة ، وكان في مذهبه ارتفاع (غلو) ويروي عن الضعفاء والمجاهيل ، وكل عيوب الضعفاء مجتمعة فيه.. روى في مولد القائم أعاجيب". ويقول عنه النجاشي:" كان ضعيفا في الحديث ، وقال احمد بن الحسين : كان يضع الحديث وضعاً، ويروي عن المجاهيل ، وسمعت من قال: كان أيضا فاسد المذهب والرواية ، ولا ادري كيف روى عنه شيخنا النبيل الثقة أبو علي بن همام وشيخنا الجليل الثقة أبو غالب الرازي".

أما رواية (نسيم) و(طريف أبو نصر) الخادمين عند الإمام العسكري ، فينقلهما الصدوق عن المظفر السمرقندي (المهمل) عن العياشي (الضعيف) عن آدم البلخي (الغالي المفوض) .

وأما رواية إسماعيل النوبختي ، التي يرويها الطوسي عن احمد بن علي الرازي ، فهي ضعيفة جدا ، لأن الطوسي نفسه لا يوثّق الرازي ويتهمه بالضعف والغلو ، إضافة الى اتهام ابن الغضائري والنجاشي له بذلك .

ويروي الطوسي رواية أخرى عن جعفر بن محمد بن مالك الفزاري ، وعن احمد بن علي الرازي عن كامل بن إبراهيم المدني، الذي يقول : انه دخل على الإمام العسكري فجاءت

---

[339] - الصدوق ، إكمال الدين، ص 435 ، والطوسي ، الغيبة، ص 217

الـريح وكشـفت سـترا مـرخى على بـاب ، فشـاهد فـتى وراءه ، فعرفه الفتى وناداه باسمه ، ثم رجع الستر الى حاله فلم يستطع كشفه ، فإنها واضحة الضعف بعـد روايتهـا عن الفـزاري والـرازي الغاليين الضعيفين.

أبو الأديان البصري

وأما رواية (أبي الأديان البصري) التي ينفـرد بنقلهـا الصـدوق ، ويرسـلها دون أي سـند ، حيث يقـول (وحـدث أبـو الأديـان ...) بالرغم من ان بينهما حوالي مائـة عـام .. ولا يعـرف أحـد شخصـا بهذا الاسم مما يؤكد اختلاقه من قبل بعض الغلاة .

وأما تكملة القصة ، وهي مجيء وفد قم والجبال الى (سـر من رأى) ، الـتي ينقلهـا الصـدوق.. ففي سـندها (احمـد بن الحسـين الآبي العروضــي) و (أبى) الحســين (ابن) زيــد بن عبــد اللــه البغدادي، عن سنان الموصلي عن أبيه.. فكلهم مجاهيل لا وجــود لــذكرهم في تــراجم الرجــال ، بالإضــافة الى اضــطراب اســم البغدادي.

سعد بن عبد الله القمي

وأما رواية سعد بن عبد الله القمي ، التي يقول فيها انه دخـل مع احمد بن إسحاق ، على الإمام العسـكري ، فـرأى على فخـذه غلاما وهو يلعب برمانة ذهبية ، والتي ينقلها الصدوق عن النوفلي الكرماني ، عن احمد بن عيسى الوشاء البغـدادي ، عن احمـد بن طـــاهر القمي .. فيوجـــد في ســـندها أربعـــة من المهملين أو المجهولين ، وأما الراوي الخامس (الشـيباني) فهـو من الضـعاف والغلاة المفوضة ، كما يقول الكشـي وابن الغضـائري والطوسـي والنجاشي .

وقد سلب العلامة الحلي في (الخلاصة) الثقة من سعد بن عبد اللـه القمي ، على أثرهـا . وقـال الشـهيد الثـاني : "ان إمـارات الوضع عليها لائحة" ، وذلك لما تتضمن من لعب الغلام (المهـدي) بالرمانة الذهبية!

إذن فان الضعف الكبير في سند كل رواية يسقطها جميعـا عن الحجية والوثوق .. وإذا ما جمعنا الضعف في السـند الى الضـعف في المتن .. والى تنـاقض الروايـات مـع نفسـها ، وتناقضـها مـع الرواية الظاهرية .. فإنها تصبح مجرد إشاعات وهمية أسـطورية ،

لا تثبت مولـد إنسـان عـادي .. فكيـف يمكن ان نعتمـد عليهـا في إثبات مولد أمام من الأئمة وبناء عقيدة دينية على أساس ذلك؟.

وأمـا خـبر محاولـة القبض على المهـدي الـذي رواه الطوسـي والمجلسي والصـدر ، فانـه خـبر مرسـل الى (رشـيق) الشـرطي المجهول ، والمشكوك بعدالته ، وهو ضعيف لعدم التصريح بهويـة ذلك الرجل الذي كان يصلي على الحصير ، واحتواء الرواية أمورا غريبة منها: بقاء المهدي في بيت أبيه وفي سـامراء طـوال فـترة الغيبة ، وهذا أمر بعيد جدا ، وقد كان بإمكانه ان يسيح في الأرض ويختبئ في أمـاكن أخـرى . ومنهـا : احتـواء الروايـة على معـاجز غيبيـــة لا ضـــرورة لهـــا ، وهي تنســـجم مـــع روايـــات الغلاة وأساطيرهم .

هذا وقد كان المعتضد العباسي يميـل الى التشـيع ، وقـد عـزم على لعن معاويـة على المنـابر ، وأمـر بإنشـاء كتـاب يقـرأ على الناس حول ذلك ، كما يقول ابن الأثير.[340] مما يبعد صحة الرواية المرسلة التي تتحدث عن محاولته اعتقـال (الإمـام المهـدي) ، أو يرجح اختلاقه لقصة اختفاء المهدي في السرداب .

المطلب الثالث: **التحقيق في شهادة (النواب الأربعة)**

ان الرواية التاريخية الظاهرية للأحداث بعد وفاة الإمام الحسن العسكري تقول : ان الإمام لم يخلف ولدا لا ذكرا ولا أنثى ، وانـه أوصى بأمواله لأمـه : (حـديث) ، ولـذلك فقـد ادعى أخـوه جعفـر الإمامة وتبعه قوم من الشيعة ، أما رواية (النـواب) فتقـول : انـه كان ثمة ولد مخفي مستور للإمام العسكري ، وقـد ادعـوا النيابـة عنه والوكالة له . وان تصديقهم يجرّ الى التصديق بوجود (الحجـة بن الحسـن) ولكن التشـكيك بقـولهم لا يثبت شـيئا من الروايـة السرية بوجود ولد للإمام العسكري ، فهل كـانوا صـادقين حقـا ؟ وهـل اجمـع الشـيعة على وثـاقتهم؟ وكيـف صـدقوهم ؟ ومـا هـو الدليل على صحة كلامهم ؟ .. وهل هناك مـا يـدعو الى التشـكيك بهم ، والريب في دعواهم النيابة عن (الإمام المهدي) والشك في وجوده؟

قبل ان نقيّم تلك الروايات الـتي وردت بمـدحهم وتـوثيقهم ، لا بد ان نشير الى ان ظاهرة ادعاء النيابة عن (الإمام المهدي) هذه لم تكن أول ظـاهرة في تـاريخ الشـيعة ، حيث سـبقتها وسـبقت

[340] - ابن الأثير ، الكامل في التاريخ، ج 6 ، ص 85

هـؤلاء (النـواب الأربعـة) ظـواهر أخـرى ادعى فيهـا كثـير من الأشخاص النيابة والوكالة عن الأئمة السـابقين الـذين ادعيت لهم المهدوية ، كالإمام موسى الكاظم ، الذي ادعى كثير من أصـحابه استمرار حياتـه وغيبتـه ومهدويتـه ، وكـان منهم محمـد بن بشـير، الذي ادعى النيابة عنه ، ثم ورّث النيابة الى أبنائه وأحفاده .

وقد ادعى النيابـة عن (الإمـام محمـد بن الحسـن العسـكري) بضـعة وعشـرون شخصـا ، كـان منهم الشـريعي والنمـيري والعبرتائي والحلاج وغيرهم ، و ذلك لأن دعوى النيابة كـانت تجـر مصـالح ماديـة ومكانـة اجتماعيـة سياسـية للمـدعي ، خاصـة وان المـدعي كـان يهمس بهـا في السـر وينهى عن التحقيـق في دعواه ، ويستغل علاقاته السابقة بالإمام فيـدعي اسـتمرار حياتـه أو وجـوده ، والنيابـة عنـه . وكـانت دعـواه تنطلي على البسـطاء ويرفضها الأذكياء المحققون الواعون . وقد رفض الشيعة الامامية دعـوى اكـثر من عشـرين مـدعٍ للنيابـة عن (الإمـام المهـدي ابن الحسـن العسـكري) واتهمـوهمً بالكـذب والـتزوير ، كمـا شـككوا بصحة دعوى الأموي (النواب الأربعة) واختلفوا حولهم ، و لم يكن في الروايـات الـتي أوردهـا المؤرخـون ، دليلا علميـا قويـا على صدقهم وصحة دعاواهم، وهذا ما يجعل هؤلاء قسما من المدعين الكاذبين المتاجرين بقضية (الإمام المهدي) .

لقد اعتمد الشيخ الطوسي في توثيق عثمان بن سعيد العمـري على عدة روايات ، وكان بعضها ، كرواية احمد بن إسحاق القمي ، ينص على توثيقه من قبل الإمام الهادي والإمام العسكري ، في المحيا والممات ، وانه الوكيـل والثقـة المـأمون على مـال اللـه . وليس فيهـا مـا ينص على نيابـة العمـري عن الإمـام (المهـدي). ولكن بعض الروايـات كـان ينص بصـراحة على أصـيب الإمـام العسكري خلافة العمري للإمام المهدي ، إلا ان سند هذه الروايـة ضـعيف جـدا وذلـك لاشـتماله على (جعفـر بن محمـد بن مالـك الفزاري) الذي يقول عنه النجاشي وابن الغضائري : " انـه كـذاب مـتروك الحـديث وكـان في مذهبـه ارتفـاع (غلـو) ويـروي عن الضعفاء والمجاهيل وكل عيوب الضعفاء مجتمعة فيه ، وقـد روى في مولد القائم أعاجيب ، وكان يضع الحـديث وضـعا ، وانـه كـان فاسد المذهب والرواية" .

أما الرواية السـابقة الـتي تتحـدث عن وثاقـة العمـري وأمانتـه ووكالته فإنها مجهولة ، ويوجد في سندها الغالي (الخصيبي) وهي تنطوي على دعوى علم الإمام العسكري بالغيب ، ومعرفته بوفـد

اليمن قبل ان يراهم.[341] وهـذه الـدعوى من مفـاهيم الغلاة . وان الرواية الأولى تقول: ان العسـكري أخـبر باسـتقامة العمـري في المستقبل بعد وفاتـه ، وهـذا مـا لا يعلمـه إلا اللـه ، وهـو من علم الغيب أيضا.

ومن هنا ، وبعد سقوط هذه الروايات لضعفها متنا وسندا ، فانا نكاد نحصل على نتيجة واحدة ، هي: ان العمري الـذي كـان وكيلا للإمامين الهـادي والعسـكري في قبض الأمـوال ، قـد استصـحب الوكالة وادعى وجود (ولد) للإمام العسكري ، ليدعي الوكالة لـه ، دون ان يقدم دليلا واضحا وأكيدا على مـا يقـول . ولـذلك لا يؤكـد المؤرخون بصراحة على توكيـل (المهـدي) لـه ، وهـذا الطبرسـي الذي كان حريصا على تدوين كل ما وصل اليه لا يقـول في كتابـه (الاحتجاج) اكـثر من : (ان العمـري قـام بـأمر صـاحب الزمـان ، وكانت توقيعاته وجوابات المسائل تخرج على يديه) .[342]

ولم يذكر المؤرخون الشيعة أية (معجزة) لـه تثبت دعـواه في النيابة ، بالرغم من قول السيد عبد الله شبر في :(حق اليقين):" ان الشيعة لم تقبل قول النواب إلا بعد ظهـور آيـة معجـزة تظهـر على يد كل واحد منهم ، من قبل صاحب الأمر ، تدل على صــدق مقالتهم وصحة نيابتهم" . [343]

أما (النائب الثـاني : محمـد بن عثمـان بن سـعيد العمـري) فلم يذكر المؤرخون الشيعة أي نص مباشر عليه من (المهدي) بتعيينه نائبا عنه ، وقال الطوسي: "انـه قـام مقـام أبيـه بنص أبى محمـد (الحسن العسكري) عليه ونص أبيه عثمان بأمر القائم" .[344]

وذكر الطوسي رواية عن عبد الله بن جعفر الحمـيري القمي ، انه قال:" ان المهدي قد أرسل الى العمري (توقيعـا) يعزيـه فيـه بوفاة والده عثمـان بن سـعيد ، ويحمـد اللـه على قيامـه مقامـه، ويدعو له بالتوفيق . وان الكتب أتتنا بالخـط الـذي كنـا نكـاتب بـه بإقامة أبى جعفر مقام أبيه" ، كما نقل الطوسي رواية أخرى عن محمـد بن إبـراهيم بن مهزيـارالاهوازي ، وأخـرى عن إسـحاق بن يعقوب ، عن الإمام المهدي ، يشهد بوثاقته ويترضـى عليـه. وكـل

---

341 - الطوسي، الغيبة، ص 215 - 216
342 - عن المجلسي، بحار الأنوار، ج 51 ، 362
343 - شبر ، حق اليقين، ص 224
344 - الطوسي، الغيبة، ص 218

هـذه روايـات تنقـل بواسـطة العمـري نفسـه ، وهـو مـا يضـعف الرواية.

ولا يوجد أي طريق لإثبات دعوى ان العمري عثمان بن سعيد ، قد نص على ابنه محمد بأمر القـائم ، ويبـدو انـه تخمين من قبـل الطوسي ، كمـا لا يوجـد في الحقيقـة أي دليـل لإثبـات النص من الأب على الابن سوى الوراثة والادعاء.

ان المشــكلة الكــبرى تكمن في صــعوبة التأكــد من صــحة (التواقيع) التي كان يخرجها العمري وينسبها الى (الإمام المهدي) وخاصــة التوقيــع الــذي رواه الحمــيري القمي ، حيث لم يــذكر طريقه الى (الإمام الغائب) مما يحتمل قويا ان يكون العمري قد كتبه بيده ، ونسبه الى (المهدي) خاصة وانه يكيـل المـدح والثنـاء لنفسه فيه ، مما يلقي بظلال الشبهة عليه لو كان الإمام ظاهرا ، فكيف وهو غائب؟ ولا يوجد أي راوٍ للتوقيع سوى العمري نفسه ، ولم يقـل الحمـيري كيـف سـارع الى تصـديق التوقيـع مـع وجـود الجـدل في ذلـك الزمـان بين الشـيعة حـول صـدق العمـري في دعوى النيابة ؟ مع احتمال اختلاق الحميري القمي نفسه للتوقيــع ونسبته الى (المهدي).

وأما رواية محمد بن إبراهيم بن مهزيار الاهوازي ، فهي ضعيفة لأنه يعترف بأنه كان يشـك في وجـود المهـدي في البدايـة ، وقـد ادعى الوكالـة بعـد ذلـك في أعقـاب لقائـه بـالعمري في بغـداد ، وبالتالي فانه مشكوك في أمره ، ولا يقول هنا كيف خرج التوقيـع اليه مباشرة أو عبر العمري ؟ فان كان يدعي انه وصله مباشرة ، فكيف؟ وهل رأى المهدي بنفسـه ؟ وهـو لا يـدعي ذلـك ؟ أم عن طريق العمري ؟ وهذا ما يثير الشك أيضا .

وأما الرواية الثالثة (رواية اسحق بن يعقوب) التي تصرح بأنهـا واردة عن طريق العمري ، فإنهـا ضـعيفة لوجـود الشـك بـاختلاق العمـري لهـا ، ولمجهوليـة وضـعف إسـحاق بن يعقـوب ، وعـدم تصريحه بكيفية التعرف على خط المهـدي ، علمـا بـأن الطوسـي يقول: ان الخطـوط الـتي كـانت تخـرج بهـا التوقيعـات هي نفس الخطوط التي كانت تخرج في زمان العسكري . [345]

---

[345] - الطوسي، الغيبة، ص 217

وأخيرا فان حكاية رؤية محمد بن عثمـان العمـري للمهـدي في الحج ، هي دعوى مجردة عن الـدليل، وهـو لم يقـل كيـف تعـرف على المهدي الذي لم يره من قبل ؟ وربما كان قد اشتبه بـه مـع رجل آخر .

ومن هنا فقد توقف احمد بن هلال العبرتائي (شيخ الشـيعة في بغداد) ، الذي نقل الفزاري عنه انه شهد مجلس عرض العسكري للمهـدي وتعـيين العمـري خليفـة لـه ، وشـكك في صـحة دعـوى العمري الابن في النيابـة الخاصـة عن المهـدي ، وأنكـر ان يكـون سمع الإمام العسكري ينص عليه بالوكالـة ، ورفض الاعـتراف بـه بوكالته عن (صاحب الزمان) .[346]

وكان العبرتائي قد لعب دورا كبـيرا في دعم دعـوى عثمـان بن سعيد العمري بالنيابة ، وكان يأمل ان يوصي اليه من بعده ، فلما أوصى الى ابنه محمد ، رفض ذلك وادعى هو النيابة لنفسه ، مما يكشف عن التواطؤ والمصلحية في دعاوى (النيابة الخاصة) .

ونتيجة لغياب النصوص الصحيحة والمؤكدة على نيابة محمد بن عثمان العمري ، فقد شك الشـيعة في دعـواه ، وروى المجلسـي في (بحار الأنوار) : ان الشيعة كانوا في حيرة، ولم يكونوا يثقـون بـدعاوى النيابـة الكثـيرة ، وقـال ان أبـا العبـاس احمـد السـراج الدينوري سأل العمري عن الدليل الذي يؤكد صحة ادعاءه ، وانـه لم يؤمن به إلا بعد ان اخبره شخص بالغيب وقدم له (معجزة) .

وقـد اشـتهر عنـد الشـيعة تلـك الأيـام حـديث عن أهـل الـبيت يقول:" خدامنا وقوّامنا شـرار خلـق اللـه". ممـا دفعهم للتشـكيك بصحة دعاوى النيابة الخاصـة ، وقـد أكـد الشـيخ الطوسـي صـحة ذلك الحديث، ولكنه قال:" انـه ليس على عمومـه ، وإنمـا قـالوا، لأن فيهم من غيّر وبدّل وخان ".[347]

وقد ندم بعض الشيعة على إعطاء الأمـوال الى العمـري ، كمـا شكوا بوجود المهدي والتواقيع التي كان يخرجها العمري وينسـبها اليه ، وكان منهم قسم من أهل البيت . وهذا ما دفع العمري الى ان يصـدر كتابـا على لسـان المهـدي ينـدد بالشـاكين والمنكـرين

---

[346] - الخوئي ، معجم الرجال، ج2 ، ص251 ، والطبرسي، خاتمة المستدرك، ص 556 ، والنجاشي، الرجال

[347] - الطوسي، الغيبة، ص 244

لوجود المهـدي . كمـا شـك قسـم آخـر بصـحة وكالـة النوبخـتي ، وتسـاءل عن مصـرف الأمـوال الـتي كـان يقبضـها باسـم الإمـام المهدي ، وقال : ان هذه الأموال تخرج في غير حقوقها. ويقــول الصدوق والطوسي : ان النوبختي استطاع ان يقنعهم عن طريـق المعاجز والإخبار بالغيب ، كتحديد وفاة بعض الأشـخاص مسـبقا ، والتقاطه لدراهم من صرة شخص على مسافة بعيدة.[348]

وفي الحقيقة ان المؤرخين الشيعة يـذكرون قصصـاً كثـيرة عن شك الناس بالمـدعين للنيابـة وتكـذيب بعضـهم للبعض الآخـر ، و لكن عامة الاثني عشـرية يمـيزون الأمـوي (النـواب الأربعـة) عن بقية المدعين المذمومين ، بقـدرة الأمـوي على اجـتراح المعـاجز وعلمهم بالغيب . وقد ذكر الكليـني والمفيـد والطوسـي عشـرات القصـص الـتي تتحـدث عن قيـام النـواب الأربعـة بفعـل المعـاجز الخارقة للعادة ، وإخبارهم بالمغيبات . ونقل الطوسـي عن (هبـة الله) حفيد العمري:"ان معجزات الإمام ظهـرت على يديـه وانـه كـان يخـبر عن الغيب" . [349] وذكـر الطوسـي خـبرا عن علي بن احمد الدلال : ان العمري اخبره بساعة وفاته من يوم كذا وشـهر كذا وسنة كـذا ، فمـات في اليـوم الـذي ذكـره من الشـهر الـذي ذكره من السنة التي ذكرها ، وكان ذلـك في آخـر جمـادى الأولى من سنة 305 هـ. [350]

ولكن هذا القول كان يخالف مبادئ التشيع وأحاديث أهل البيت (ع) الــذين كــانوا ينفــون علمهم بــالغيب أو اسـتخدام الطريقــة الإعجازية الغيبية لإثبات إمامتهم. يقول الشيخ الصـدوق :" الإمـام لا يعلم الغيب ، وإنما هو عبـد صـالح يعلم الكتـاب والسـنة ، ومن ينحـل للأئمـة علم الغيب فهـذا كفـر باللـه وخـروج عن الإسـلام عندنا ، وان الغيب لا يعلمـه إلا اللـه ومـا ادعـاه لبشـر إلا مشـرك كافر" . [351]

---

348 - الصدوق، إكمال الدين، ص 516 – 519 والطوسي، الغيبة، ص 192

349 - الطوسي، الغيبة، ص 236

350 - المصدر نفسه ، ص 221

351 - الصدوق، إكمال الدين، ص 106 و109 و116

وقد قال الإمام الصادق :" يا عجبا لأقوام يزعمون أنا نعلم الغيب!.. والله لقد هممت بضرب جاريتي فلانة فهربت مني فما علمت في أي بيوت الدار هي" .[352]

وجاء أبو بصير ذات مرة الى الإمام الصادق وقال له :" انهم يقولون... انك تعلم قطر المطر وعدد النجوم وورق الشجر ووزن ما في البحر وعدد التراب ، فقال : سبحان الله!.. سبحان الله ! لا والله ما يعلم هذا إلا الله ".[353]

وسأل يحيى بن عبد الله الإمام موسى الكاظم فقال:" جعلت فداك انهم يزعمون انك تعلم الغيب؟ فقال: سبحان الله! ضع يدك على رأسي ، فوالله ما بقيت شعرة فيه وفي جسدي إلا قامت . لا والله ما هي إلا وراثة من رسول الله" .[354]

وفي رواية أخرى ينقلها الحر العاملي ، يقول فيها الإمام :" قد آذانا جهلاء الشيعة وحمقاؤهم ومن دينه جناح البعوضة ارجح منه... إني بريء الى الله والى رسوله ممن يقول انا نعلم الغيب" .[355]

إذن فلا يمكننا ان نصدق بدعوى الأموي النواب بالنيابة عن الإمام المهدي ، ونعتبر قولهم دليلا على وجود الإمام ، استنادا الى دعاوى المعاجز أو العلم بالغيب ، ولا يمكننا ان نميز دعواهم عن دعوى أدعياء النيابة الكاذبين الذين كانوا يتجاوزون الأربعة والعشرين .

وإذا كنا نتهم أدعياء النيابة الكاذبين بجر النار الى قرصهم ، وبالحرص على الأموال والارتباط بالسلطة العباسية القائمة فأجابه ، فان التهمة تتوجه أيضا الى الأموي (النواب الأربعة) الذين لم يكونوا بعيدين عنها .

يقول محمد بن علي الشلمغاني الذي كان وكيلا عن الحسين بن روح النوبختي في بني بسطام ، ثم انشق عنه وادعى النيابة لنفسه :" ما دخلنا مع أبى القاسم الحسين بن روح في هذا

---

352 - الحر العاملي، إثبات الهداة، ج 3 ، ص 748
353 - المصدر نفسه، ص 772
354 - المصدر نفسه، ص 767 والمفيد، الآمال، ص 23
355 - الحر العاملي، إثبات الهداة، ص 764

الأمر، إلا ونحن نعلم فيما دخلنا فيه ، لقد كنا نتهارش على هذا الأمر كما تتهارش الكلاب على الجيف ".[356]

وإذا لم نستطع إثبات دعاوى (النواب الأربعة) وشككنا في صحة أقوالهم ، فكيف نستطيع إثبات "وجود" (الإمام محمد بن الحسن العسكري) ، بناء على شهادتهم باللقاء به و الوكالة عنه ؟

وإضافة الى هذا الشك ، هناك دليل آخر على كذب أدعياء النيابة ، وهو عدم قيامهم بأي دور ثقافي أو فكري أو سياسي لخدمة الشيعة والمسلمين ، ما عدا جباية الأموال والادعاء بتسليمها الى (الإمام المهدي) .

وكان المفترض بالنواب الذين يدعون وجود صلة خاصة بينهم وبين (الإمام المهدي) ان يحلوا مشاكل الطائفة ، وينقلوا توجيهات الإمام الى الأمة ، ولكنا نرى (النائب الثالث) : الحسين بن روح النوبختي ، مثلا ، يلجأ الى علماء قم ليحلوا له مشكلة الشلمغاني الذي انشق عنه ، ويرسل كتابه (التأديب) الى قم ، ليبين علماؤها له الصحيح والسقيم ، كما يقول الشيخ الطوسي في (الغيبة).[357]

ان في ذلك دلالة على عدم وجود أي اتصال بينه وبين (المهدي) وإلا لكان عرض الكتاب عليه وسأله عن صحته .

ومما يعزز الشك في عدم وجود (المهدي محمد بن الحسن العسكري) هو عدم قيام أدعياء النيابة بملأ الفراغ الفقهي وتوضيح كثير من الأمور الغامضة التي كان يجب عليهم تبيانها في تلك المرحلة، ومن المعروف ان الكليني قد ألف كتابه (الكافي) في أيام النوبختي ، وقد ملأه بالأحاديث الضعيفة والموضوعة التي تتحدث عن تحريف القرآن وأمور أخرى باطلة ، ولكن النوبختي أو السمري لم يعلقا على الموضوع ولم يصححا أي شيء من الكتاب ، مما تسبب في أذية الشيعة عبر التاريخ و أوقعهم في مشكلة التعرف على الأحاديث الصحيحة من الكاذبة .

ولقد أبدع السيد المرتضى نظرية (اللطف) التي يقول فيها : ان الإمام المهدي يجب ان يتدخل ليصحح اجتهادات الفقهاء في

---

356 - الطوسي، الغيبة، ص 241

357 - المصدر نفسه، ص 240

عصر الغيبة ويخرب إجماعهم على الباطل ، وبناء على ذلك كان الأجدر والأولى والأيسر ان يصحح (الإمام المهدي) ، لو كان موجودا ، كتاب الكليني ، أو يترك وراءه في (عصر الغيبة الكبرى) كتابا جامعا يرجع اليه الشيعة . وهذا ما لم يحصل ، ولم يقدم أدعياء النيابة أي شيء يذكر في هذا المجال ، وهذا ما يدفعنا للشك في صدقهم ، وفي دعواهم بوجود (أمام غائب) من ورائهم.

ولذا تعجب الشيخ حسن الفريد (زميل الإمام الخميني) في كتابه :(رسالة في الخمس) واستغرب بحيرة، وتساءل عن السر وراء عدم سؤال الكليني من (صاحب الزمان) عبر وكيله النوبختي عن حكم مسألة الخمس في (عصر الغيبة) . [358]

المطلب الرابع: **التحقيق في رسائل (المهدي)**

اتخذ المؤيدون لنظرية وجود (الإمام المهدي) الرسائل ، التي قالوا انه قد بعث بها الى عدد من الناس ، دليلا إضافياً على صحة نظريتهم بوجود (الإمام محمد بن الحسن العسكري). ولكننا بعد دراسة هذه الروايات والتحقيق في سندها نكتشف ضعفها بدرجة كبيرة ، وإنها ليست إلا إشاعات روّجها أدعياء الوكالة. فان رواية الطوسي الأولى يرويها عن جماعة لم يسمهم ، عن أبى محمد التلعكبري ، عن احمد بن علي الرازي ، الذي يقول عنه علماء الرجال الشيعة : انه ضعيف غالي ، بالإضافة الى ان احمد بن إسحاق القمي لم يذكر كيفية مراسلة (صاحب الزمان) ومن هو الذي أوصل اليه الجواب ، مما يحتمل اختلاقه للرسالة بنفسه .

أما الرسالة الثانية فان الطوسي ينقلها أيضا عن احمد بن علي الرازي (الضعيف الغالي) عن عدد من المجهولين ، بالإضافة الى أنها تتضمن أمرا غير معقول هو الاحتكام الى شخص غير معروف متنازع في وجوده ليثبت هو وجوده ! مع احتمال صدور الجواب من أحد أدعياء النيابة. علما بأن الشك بوجود (ابن الحسن) يقتضي الشك بصدق النواب ، فكيف يمكن العودة الى واحد منهم والوثوق به قبل التأكد من صدقه ، والتصديق بما يقدمه من أوراق يدعي أنها صادرة عن المهدي؟

---

[358] - الفريد، رسالة في الخمس، ص 87

أمـا روايـة الصـدوق المعروفـة بــ: (التوقيـع) فهي ضـعيفة لمجهوليـة وضـعف إسـحاق بن يعقـوب ، وعـدم ذكـر السـابقين كالكليني لها ، ولتضمن الرواية عدة أمور غير صحيحة هي :

أولاً: مدح الناقل للرسالة وهو (النائب الثاني محمد بن عثمـان العمري) لنفسه وأبيه ، وهو ما يقـوي احتمـال ان تكـون الرسـالة من وضعه.

ثانيا: إباحة الخمس في عصر الغيبة إلى وقت الظهـور ، وهـذا ما يخـالف اسـتمرارية أحكـام الإسـلام في كـل حين ، وقـد عـدل علماء الشيعة مؤخرا عن الأخذ بهذه الإباحة لمنافاتهـا مـع مبـادئ الإسلام.

ثالثا: المطالبـة بـالكف عن السـؤال عن علـة الغيبـة ، مـع ان فلسفة الغيبة من الأمور الدينية الضرورية التي لا بد من معرفتهـا على طريــق الإيمــان بالمهــدي. ومن هنــا تصــبح تلــك الروايــة (الرسالة) ضعيفة جدا وغير قابلة للاعتماد.

وكذلك حال رواية الصدوق الثانية عن العمري ، التي ينقلها عن أبي عبد الله جعفر، الذي يقول انه وجدها مثبتة عن سعد بن عبـد الله ، أي انه لم يروهـا مباشـرة ، وإنمـا وجـدها في كتـاب ، ومن المعـروف في علم الروايـة : ان الوجـدان في الكتب من اضـعف أنواع الرواية ، وإضافة الى ذلك لا يذكر سعد كيف انه حصل على الرسالة؟ ومن اخبره بها؟ وهو لا يرويهـا عن العمـرين اللـذين لا يصرحان بها ، وإنمـا يـذكرها عن شـخص لم يحـدد اسـمه ، ولكن يفترض انه (المهدي) . وإذا صحت الرواية عن العمرين فإنهـا قـد تكـون من تأليفهمـا، دعمـا لنظريتهمـا القائلـة بوجـود المهـدي ، وتعزيز ادعائهما بالنيابة عنه ، ومن هنا فلا حجة فيها.

أما رسائل الشيخ المفيد ، الـتي يـذكرها الطبرسـي وابن شـهر آشوب في كتبهما ، فان المفيد نفسه لم يذكرها في أحد من كتبه ، ولو صحت نسبتها اليه فهي لا تحمل في طياتها أي دليل ، وذلك لأن المفيــد يقــول: انــه اســتلمها من رجــل أعــرابي لا يعرفــه ، والرسالة بخط رجـل غـير المهـدي يقـول إنهـا من إملاء المهـدي عليـه ، وقـد رفض المفيـد ان يعـرض الرسـائل ، الـتي أوصـلها الأعــرابي اليــه ، على أحــد من أصــحابه، وقــال ان ذلــك بــأمر المهدي ، ولم يبرز الى النـاس سـوى رسـائل بخـط يـده قـال ان المهدي قد طلب منه ان يفعل ذلك .

فإذا صح ذلك.. فنحن في الحقيقة أمام رسائل بخط الشيخ المفيد نفسه، يقول إنها نسخ عن رسائل سلمها اليه أعرابي مجهول لا يعرفه المفيد ، يقول ذلك الأعرابي إنها من رجل لا يعرفه كتب تلك الرسائل ، يقول ذلك الرجل المجهول: ان الإمام المهدي قد أملاها عليه .

أي اننا أمام خبر آحاد يرويه المفيد عن رجل مجهول عن رجل مجهول عن المهدي .

وهذا ما يثير عددا من الاحتمالات ، منها: الجعل من قبل المفيد ، خاصة وإنها تحمل تزكية ومدحا فائقا له ، ويقدم المهدي اسم المفيد في بعضها على اسمه . ومنها : الجعل من قبل ذلك الأعرابي ، أو الجعل من قبل ذلك الرجل المجهول ، أو الجعل من قبل رجل ثالث كذب على الكاتب وقال انه المهدي. وهكذا رواية في منطق علم الدراية غير قابلة للالتفات أو التوقف عندها قليلا أو كثيرا .

مشكلة التعرف على الخط

وأود هنا، ان الفت نظر القارئ الكريم الى نقطة مهمة ، وهي موضوع : خط الإمام المهدي ، في رسائله تلك ، وتواقيعه الكثيرة المنسوبة اليه. فان الإنسان المؤمن بالمهدي ، وخاصة اليوم ، يتوق الى رؤية خط الإمام ، إذ لم يحظَ برؤية شخصه ، ويتمنى ان يكون التاريخ قد احتفظ ولو بنسخة واحدة من تلك الرسائل والتواقيع ، ويرجو ان يكون الشيعة في تلك الأيام قد أدركوا هذه الأهمية ، وحافظوا على رسائل الإمام في خزاناتهم التاريخية ، فإنها تشكل أهم مادة لدراسة تلك المرحلة والتأكد من حقيقة (الإمام المهدي) والظروف التي أدت به الى الغيبة .

ومن هذا المنطلق حاولت ان استقصي آثار خطوط (الإمام المهدي) في رسائله ، وابحث عن أية نسخة من رسائله ، وأتابع (تواقيعه) . وكنت احسب في البداية ، أو افترض ان يكون الشيعة في تلك الأيام أو بالأخص (النواب الأربعة) أو الفقهاء أو المحدثون ، قد اهتموا بالمحافظة عليها والعناية بها، فلم أجد لذلك أثرا ، ووجدت غموضاً مريباً يلف هذا الموضوع ، ووجدت في (التوقيع) الذي يرويه الطبرسي في (الاحتجاج) عن اسحق

بن يعقـوب عن العمـري ، نصـا يقـول :" .. ولا تظهـر على خطنـا الذي سطرناه أحدا". وهو يكشف عن خلاف مـا كـان متوقعـا من الاهتمام بالتعرف على الخط والمحافظـة على رسـائل المهـدي ، وعـدم وجـود خـط معين ومعـروف للمهـدي، يمكن الرجـوع اليـه ومقارنة بقية الرسائل به للتأكد من صحتها . كمـا وجـدت الشـيخ الطوسي يتحدث عن (خط المهدي) بصورة مريبة ، حيث يقول: (قـال أبـو نصـر هبـة اللـه:" وجـدت بخـط أبي غـالب الـرازي: ان العمري كان يتولى هذا الأمـر (النيابـة) نحـوا من خمسـين سـنة ، يحمل الناس اليه أموالهم ويخـرج اليهم التوقيعـات بالخـط الـذي كان يخرج في حياة الحسن (ع) بالمهمات في أمر الدين والدنيا ، وفيما يسألونه من المسائل بالأجوبة العجيبة" .[359]

ولم يقل لماذا كان العمري يفعل ذلـك ؟ ولمـاذا لم يكن يخـرج التواقيـع بخـط المهـدي؟ ومن المعـروف ان التعـرف على خـط الإمام الحسن بذاته كـان مشـكلة في حياتـه ، إذ كـان يلجـأ بعض أدعياء النيابة عنه، من الغلاة ، الى تزوير خطه ، وقد وقع الشيعة بسـبب ذلـك في مشـكلة التعـرف على خـط الإمـام العسـكري والتأكد من خطـه ، في حياتـه ، فكيـف يمكن التعـرف على خـط (الإمام المهدي) الـذي لم يـره أحـد ولم يُـرَ خطـه ولم يُتأكـد من وجوده؟ ولا يملك عامة الناس وسيلة للتحقق منه ؟

ومع وجود هذه الاشكالية الكبيرة ، فان العمري لم يكن يسلم الخطـوط والتواقيـع الى أحـد ، بـل كـان يبرزهـا لهم فقـط أو يستنسـخها بخطـه. وقـد لجـا الشـيخ المفيـد - حسـب الروايـة المزعومة - الى هذه الطريقة أيضا ، فقدم نسخا بخـط يـده قـال إنهـا منقولـة عن رسـائل من المهـدي لم تكن مكتوبـة أساسـا بخطه ، وإنما كانت إملاء منه على كاتب مجهول .

ولو كنا قد حصلنا على نسـخ من خـط (الإمـام المهـدي) لكـان باستطاعتنا المقارنة بينها والتأكد من حقيقة نسبتها اليه أو التمييز بين الصحيح والمزور منها ، ولكن شيئا من ذلك لم يحدث.

و لذلك يمكننا اتخاذ (سـرية الخـط ، أو الحـرص على إخفائـه) دليلا إضافيا على عدم وجود (محمد بن الحسن العسـكري) الـذي ان كان موجودا فعلاً وكان مختفيا وغائبا لأسباب أمنية ، لكان لجـأ بصورة قاطعة الى إثبات شخصيته عنـد الشـيعة ، وقيـادتهم عـبر الرسائل الموقعة التي لا تقبل الشك والنقـاش ، ويمكن معرفتهـا

[359] - الطوسي، الغيبة، ص 223

وتمييزها بواسطة التعرف على الخط ، والمقارنة بينهـا ، كواحـدة من الوسائل العديدة التي يثبت بها نفسه .

ويمكن أن نضيف الى هذه الأسئلة، سؤالاً جديدا، وهو لمـاذا لا يسـتخدم الإمـام المهـدي الغـائب وسـائل الاتصـال الحديثـة والمضـمونة ، أو وسـائل الإعلام الفضـائية ، لإيصـال رسـائله الى الشيعة، مع المحافظة على أمنـه وسـلامته؟ كمـا اسـتخدم بعض السياسيين المطلوبين أجهزة الإنترنت والقنوات الفضائية لإيصال صوتهم وتوجيهاتهم الى أتباعهم والعالم.

المبحث الخامس

ما هي حقيقة حكايات المعاجز ؟

من الملاحظ ان معظم تلك (المعاجز) التي يدعيها القـائلون بوجود (المهدي محمد بن الحسن العسكري) و التي ينقل أكثرها الطوسي ، يدور حول محور (علم النـواب الأربعـة بـالغيب) وهي تحاول إثبات صـحة دعـاوى النـواب بالوكالـة والنيابـة عن (الإمـام المهدي) وبالتالي (صحة وجوده).

وقد لجأ (النواب الأربعـة) وغـيرهم من أدعيـاء النيابـة ، الـذين تجـاوز عـددهم العشـرين ، الى سـلاح (المعـاجز) بعـد ان أعيتهم الحيلة لإثبات دعـاواهم في النيابـة ، في غيـاب النصـوص والأدلـة العلمية على ولادة (الإمام) أو صـحة نيـابتهم عنـه ، كمـا لجـأ الى ذلك ، من قبل ، محمد بن بشـير الـذي ادعى الوكالـة عن الإمـام موسى الكاظم ، بعدما ادعى الواقفية هروبه من السـجن وغيبتـه ومهدويته ، لإثبات دعاواهم الواهية في النيابة عنه .

وإذا القينـا ، كمثـال ، نظـرة على قصـة (الوكيـل) : محمـد بن إبراهيم الاهوازي ، الذي يعترف بأنه كان يشك بوجـود (محمـد بن الحسن العسكري) في البداية ، وانـه حمـل الأمـوال الـتي كـانت لدى أبيـه، الى بغـداد ، واسـتأجر داراً على شـاطئ دجلـة، وفكـر بصـرف الأمـوال على ملذاتـه وشـهواته. ثم تحوّلـه الى ادعـاء

(الوكالة) التي تدر عليه ربحا مستمرا حتى آخـر يـوم من حياتـه ، وذلك بتأليف قصة الاتصال الغيبي مع العمـري .. إذا القينـا نظـرة على هذه القصة ، فاننا سنكتشـف العلاقـة بين ادعـاء (المعـاجز) للإمام المهدي وادعاء (النيابة عنه).

ولسنا بحاجة ماسّة لمناقشة " دليل المعجـزة أو العلم بـالغيب " . فان هذا الأمر لم يثبت لأحد من الأئمة الأحد عشـر السـابقين من آل البيت (ع) ولم يكن رسول الله (ص) الذي كانت له قابلية الاطلاع من اللــه على علم الغيب ، لم يكن ليدعيــه أو يمارســه بمثل ما كان يدعيه (النواب) ويشيعون عن أنفسهم معرفته. وقـد اعتمد الرسول الأكـرم على العقـل و(معجـزة القـرآن) الخالـدة ، وقال للمشركين الذين طالبوه بإتيان المعاجز والآيـات الخارقـة ، كتفجير الينابيع من الأرض ، وإسقاط السماء كسفاً ، والـرقي في السماء، وإنزال الكتب منها ، قال لهم:" سبحان الله !.. هل كنت إلا بشرا رسولا؟" (الإسراء 93) وقـال :" إنمـا الآيـات عنـد اللـه وإنما أنا نذير مبين" (العنكبوت 50) وقال اللـه عـز وجـل: " ومـا منعنا ان نرسل بالآيات إلا ان كـذب بهـا الأولـون" (الإسـراء 59). فـإذا لم يكن الرسـول الأعظم (ص) يسـتخدم المعـاجز والآيـات لإثبـات رسـالته ، فكيـف اسـتطاع (النـواب الأربعـة) اسـتخدامها لإثبات نيابتهم؟ ومن الذي يؤكد حصول ذلك ؟ علماً بأن الطوسي الـذي يـذكر معظم تلـك (المعـاجز) الوهميـة قـد جـاء بعـد عصـر النواب بمائة عام أو اكثر . وقـد اعتمـد على تلـك الروايـات وهي أخبـار آحـاد متهافتـة جـدا، صـادرة عن الغلاة والمشـبوهين وذوي المصالح المادية في وضعها ، ولا توجـد روايـة واحـدة منهـا يمكن الاعتمـاد عليهـا بعـد تنقيح السـند، وهي تشـتمل على عـدة نقـاط غامضـة ، فـتروى عن المجاهيـل أو عن أشـخاص بـدون أسـماء ، وتعتمد على الادعاء الفارغ بلا دليل.

وان من السـهل جـدا وصـف تلـك (المعـاجز) المـدعاة ، بــ :" الكـذب والاختلاق ، أو السـحر والشـعوذة والمخـاريق". وهـو مـا يسـقطها عن الحجيـة ، وعن ان تكـون (معـاجز) خارقـة للعـادة وحاسمة للجدال . وكان الشيخ الصدوق قد برر عدم لجوء الإمـام أمير المؤمنين (ع) الى سـلاح (المعـاجز) لإثبـات حقـه بالخلافـة ، بسبب احتمال تفسير الآخرين لها بالسحر والشعوذة والمخـاريق.[360] كمــا رفض والــده علي بن بابويــه الصــدوق ، ادعــاء الحلاج

---

[360] - الصدوق، إكمال الدين، ص 109

بالنيابة عن الإمام المهدي ، ومعرفته للغيب ، وأمــر بإخراجــه من دكانه ركلاً بالأرجل !.[361]

ان (المعاجز الغيبية) متعارضة مـع القـرآن الكـريم الـذي ينفي علم الغيب عن أي بشــر، ويقــول:" عــالم الغيب فلا يظهــر على غيبه أحداً، إلا من ارتضى من رسول" الجن 26 ـ 27 ، ويقول:" قــل لا يعلم من في الســماوات والأرض الغيب إلا اللــه" النمــل 65 ، ويقول:" وما تدري نفس ماذا تكسب غدا ، وما تــدري نفس بأي ارض تموت" لقمان 43 . ومن هنـا فلم يشـر السـيد محمـد باقر الصدر (رحمه الله) في (بحث حـول المهـدي ، ص 36) الى مســألة معــاجز النــواب الأربعــة ، كـدليل على صــحة نيــابتهم ، وادعائهم في وجود (الإمام محمد بن الحسن العسكري).

المبحث السادس

تهافت دعوى الإجماع

وقبل ان ندرس دعوى وجود الإجماع على وجود (الإمام محمــد بن الحســن العســكري) يجــدر بنــا ان نتحــدث قليلا عن حجيــة الإجماع عند الشيعة الامامية الاثني عشرية ، إذ من المعـروف ان الإجماع لا يعتبر لديهم دليلا مسـتقلا ، إلا إذا كـان كاشـفا عن رأي المعصوم ، ولم يكن يستند الى دليـل قـرآني أو روائي أو عقلي ، فإذا كـان يسـتند الى آيـة من القـرآن الكـريم ، فيمكن ان نراجـع الآية وننظر في الأمـر، وقـد يختلـف اجتهادنـا عن اجتهـاد العلمـاء السابقين ، الذين اجمعوا على ضوء فهمهم الخاص لها ، فلا يصبح اجتهادهم ، أو الإجماع الذي بنوه على أساس ذلك الاجتهاد ، حجة علينــا ، لأن الحجــة في القــرآن ، وهــو ، مثلا ، لا يــدل عنـدنا على المطلوب.

وكذلك الأمر بالنسبة الى الأحاديث ، وحكم العقل .

---

[361] - المصدر نفسه

الحالة الوحيدة التي قد يصبح الإجماع فيها دليلا شرعيا وحجـة عنـد الشـيعة ، هي فيمـا إذا كـان الإجمـاع موجـودا في مسـألة معينة ، ولم نكن نعرف مستند الإجماع ، فنحتمـل انـه مبـني على حـــديث لم يصـــلنا ، وبالتـــالي نقطـــع على انـــه معبِّر عن رأي المعصوم. وهذا النوع من الإجماع لا يمكن ان يحصل، ولم يحصل لدى الشيعة، إلا في الأجيال الأولى القريبة من عهد الأئمـة ، وهـو ما يعبر عنه بإجماع المتقـدمين ، فـإذا لم يكن في مسـألة إجمـاع عند المتقـدمين ، وحصـل فيهـا بعـد ذلـك إجمـاع بين المتـأخرين، فانه ليس بحجة ، لأنه لا يعبر عن رأي المعصـوم .. ولأن الإجمـاع بذاته غير حجة.

هذا هو حكم الإجماع ، وطبيعته.

والإجماع حـول مسـألة " وجـود ابن الحسـن" ليسـت من نـوع الإجمـاع الـوارد في بعض المسـائل الفقهيـة الجزئيـة ، بـل هـو ، حسب الفرض ، مبـني على الأدلـة العقليـة والنقليـة والتاريخيـة ، وليس معبرا عن رأي أو قول غير واصل الينا من الأئمة.

ثم ان الإجمـاع الـذي يدعيـه الاشـعري القمي أو النوبخـتي أو الصدوق، غير حاصل أساسا في موضوع وجود (الإمام محمـد بن الحسن العسـكري) .. إذ لم يختلـف الشـيعة الاماميـة سـابقاً في مسألة كما اختلفوا في موضوع (الخلف) حيث انقسموا بعد وفـاة الإمام الحسن العسكري ، الى أربع عشرة فرقة ، فقال بعضـهم بمهدوية الحسن بن علي ، وقال بعضـهم بمهدويـة أخيـه محمـد ، وقال بعضهم بإمامة ومهدوية أخيـه الآخـر جعفـر ، وقـال بعضـهم بانقطاع الإمامة ، ولم يقل بوجود وولادة وإمامة ومهدوية (محمـد بن الحسن) إلا فرقة واحدة من تلك الفرق الأربعة عشر.

وقد اختلفت هذه الفرقة أيضا فيما بينها على أقسام ، وذلك حول اسم وهوية المهدي !

وقد فصل النوبختي في كتابه (فرق الشيعة) والاشعري القمي في كتابه (المقالات والفـرق) والمفيـد في :(الفصـول المختـارة من العيون والمحاسن) والطوسي في (الغيبة) أخبار تلـك الفـرق الـتي أوصلها بعضـهم الى عشـرين فرقـة. وقـد استعرضـنا خلال صـفحات هـذا الكتـاب كثـيرا من تفاصـيل تلـك الفـرق وآرائهـا المختلفة ، وقد نقـل الصـدوق والطوسـي أخبـار تشـاجر الشـيعة واحتكامهم الى العمري حول وجود الخلف للإمام الحسن؟

كل ذلك يدل على عدم وجود الإجماع في هذه المسألة عند الشيعة الأوائل ، بل يوجد النص المضاد من الإمام العسكري ، الذي أوصى الى أمه ، باتفاق جميع الشيعة ، ولم يوصِ الى أحد غيرها ، وإذا كان له ولد ، حتى في الرحم ، لكان أوصى اليه ، وهذا ما لم يحدث .

من هنا يمكننا القول ، إذا استثنينا شرذمة قليلة ، ان إجماع الشيعة في القرن الثالث والقرن الرابع كان قائما على عدم الإيمان بوجود (محمد بن الحسن العسكري) ، وقد ذكر ذلك عامة مؤرخي الشيعة كالنوبختي والاشعري والكليني والنعماني والصدوق والمفيد والطوسي ، الذين أطلقوا على ذلك العصر اسم : "عصر الحيرة".

الفصل الثالث

كيف نشأت نظرية المهدي الثاني عشر؟

الجزء الثاني

الفصل الثالث

كيف نشأت فرضية

المهدي الإمام الثاني عشر؟

المبحث الأول

تناقض (الغيبة) مع فلسفة الإمامة

لكي نفهم موضوع (الغيبة) على حقيقته، لا بد أن نفهم أولا نظرية (الإمامة الإلهية) كما كان يقول بها المتكلمون الاماميون الأوائل الذين أسسوا لها . تقول نظرية (الإمامة) : إن الأرض لا يجوز أن تخلو من إمام (أي من حكومة ودولة) وان الإمام ، (أي الرئيس أو الخليفة أو القائد الأعلى) ، يجب أن يكون معصوما

ومعينا من قبل الله ، وان الشورى باطلة ولا يجوز انتخاب الإمـام من قبـل الأمـة ، وتقـول النظريـة الموسـوية (المتفرعـة عن الامامية و الموازية للفطحية) : إن الإمامة تتسلسل بشكل وراثي عمودي في ذرية علي والحسين الى يوم القيامة .

ومن هنا فقد افترض المتكلمون الاماميون وجود وولادة (ابن) للإمام الحسن العسكري ، بالرغم من عدم وجود أدلة تاريخية كافية ، ورفض بعضهم الإيمان بإمامة جعفر بن علي الهادي ، لعدم جواز الجمع بين أخوين بعد الحسن والحسين، وقالوا : لا بد أن يكون قد ولد الإمام الحجة بن الحسن العسكري ، وان أباه قد أخفاه عن أعين الناس .

ولكن السؤال الكبير الذي فرض نفسه هو: إذا كانت الإمامة محصورة في هذا الشخص ، ولا تجوز لغيره من الناس العاديين غير المعصومين وغير المعينين من قبل الله تعالى ، فلماذا يغيب ويختفي ولا يظهر ليقود الشيعة والمسلمين، ويؤسس الحكومة الإسلامية التي لا بد منها؟ ما دام ان الأرض لا يجوز ان تخلو من إمام ، والإمام الغائب لا يمكن ان يمارس إمامته وقيادته للناس ؟. وما هو السر في الغيبة ؟ والى متى يغيب؟ وما هو واجب الشيعة في حالة الغيبة؟

لقد كانت النتيجة الطبيعية واللازمة لذلك الفكر هو مبدأ (الانتظار) وتحريم النشاط السياسي في (عصر الغيبة) وهو المبدأ الذي ساد قرونا طويلة من الزمن ، ولا يزال بعض آثاره مستمراً، بالرغم من القول بنظرية (النيابة العامة وولاية الفقيه) حيث انتهت نظرية المتكلمين المثالية الى غيبة الشيعة عن الحياة وافتقادهم للإمامة ، لعدم ظهور (الإمام المعصوم). وهذا ما شكل تناقضا صارخا مع فلسفة الإمامة التي تقول بوجوب الإمام في الأرض، ووجوب كونه معصوما، ووجوب تعيين الله له في كل زمان ومكان ، من اجل تطبيق الشريعة الإسلامية وقيادة المسلمين والإفتاء لهم وحل مشاكلهم التشريعية .

وكان الشيعة الامامية (الموسوية) قد خاضوا تجربة مرّة مماثلة مع (الحركة الواقفية) التي ادعت غيبة الإمام موسى الكاظم ، ووقفوا منها موقفا رافضا ، وذلك لتناقض الغيبة مع فلسفة الإمامة ، حيث قال لهم الإمام علي بن موسى الرضا : " سبحان الله !.. يموت رسول الله ولا يموت موسى !.. قد والله

مضى كما مضى رسول الله" .[362] واتهم الواقفية الذين زعموا ان أباه لم يمت ، بالكذب والكفر بما انزل الله عز وجل على محمـد (ص) وقال :" لو كان الله يمد في أجل أحـد من بـني آدم لحاجـة الخلق إليه ، لمدّ الله في أجل رسول الله (ص)" .[363]

واخـذ الإمـام الرضـا ينـاقش (الواقفيـة) في معـنى "الإمـام" وفائدة قولهم بالإمامة ، إذا كانوا يعلقون التزامهم بإمـام غـائب لا وجـود لـه في الحيـاة ، وينبههم الى ضـرورة التفاعـل مـع الإمـام الحي الظاهر ، وينقل عن آبائه قـولهم :" ان الحجـة لا تقـوم للـه على خلقه إلا بإمام حيّ يُعرف . ومن مات بغير إمـام مـات ميتـة جاهلية.. إمام حي يعرفه. وقد قـال رسـول اللـه (ص): من مـات وليس له إمام يسمع له ويطيـع مـات ميتـة جاهليـة. ومن مـات وليس عليه إمام حيّ ظاهر مـات ميتـة جاهليـة .. إمـام حيّ" .[364] ممـا يكشـف عن رفض الإمـام الرضـا لنظريـة الغيبـة في أيـام الإمـام ، وذلـك لسـقوط الحجـة عن النـاس في حالـة الغيبـة ، وضـرورة حضـور الإمـام بينهم ومعـرفتهم لـه ، والاسـتماع إليـه وطاعته ، والتفاعل معه ، إذا كان يجب على اللـه ان يبعث إمامـا من قبله.

إذاً فإن الغيبة تشكل تناقضا صارخا مع (ضرورة وجود الإمـام) الذي يفترض ان يتصدى لقيادة المسلمين ، ولا يجوز لـه ان يغيب عن السـاحة . فـإذا قلنـا مثلا ان الدولـة يجب ان تعين ضـابطا للمرور في التقاطع الفلاني ، ورأيناه غائبا والمرور مشتبكا ، فـان غيابه يشكل تناقضا مع قولنـا (لا بـد ان تعين الدولـة ضـابطا)، ولا يفيد وجوده خلف ستار الغيب ، لأن المرور اصبح مشتبكا ومعقدا وفوضويا . وهذا أمر عقلي بديهي وواضح ، لا يمكن التغاضي عنـه ، أو تجاهله أو تبريره ببعض الأخبار الضعيفة. ولكن أركان نظريـة (الغيبة) رفضوا اسـتخدام العقـل هنـا بـالرغم من اسـتخدامه في تثبيت المقدمات الأولى :(ضرورة وجود الإمـام ، وضـرورة كونـه معصوما ، وضرورة كونه معينا من قبل الله) وقد اخرج احمد بن إسحاق القمي (أحد أركان نظرية الغيبة) كتابا عن (الإمام الحجة ابن الحسن) قال : انـه أرسـله إليـه ، جوابـا عن رسـالة كـان قـد بعثها إليـه ، واستفسـر فيهـا عن علـة الغيبـة، وقـد جـاء في ذلـك الكتاب (التوقيـع):" لا تسـألوا عن أشـياء ان تبـدَ لكم تسـؤ كم" !

---

362 - الكليني، الكافي، ج 1 ، ص 380

363 - الكشي، الرجال، ص 378

364 - الكيني، الكافي، ج 1 ، ص 177 والحميري ، قرب الإسناد، ص 203

وبناء على ذلك فقد قال الشيخ الصدوق :" ان الله لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون. ولا يقال له : لمَ؟ ولا كيف؟.. وهكذا إظهار الإمام ،الى الله الذي غيبه، فمتى أراده أذن فيه فظهر" . [365]

وقال أيضا:" لا يصح إيمان عبد حتى لا يجد في نفسه حرجا مما قضى، ويسلم في جميع الأمور تسليما، ولا يخالطه شك ولا ارتياب، والإسلام هو الاستسلام والانقياد. ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين" .[366]

وروى الصدوق حديثا عن الإمام الصادق يعتذر فيه عن بيان وجه الحكمة في (غيبة صاحب الأمر) وذلك لأمر لم يؤذن له بكشفه للناس ، ويقول:" ان وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلا بعد ظهوره.. وانه أمر من أمر الله ، وسرٌّ من سرّ الله ، وغيب من غيب الله ".[367]

ورفض الشيخ المفيد سلوك طريق العقل والاعتبار في التحري عن سبب الغيبة ، وقال:" ان المصلحة لا تُعرف إلا من جهة علام الغيوب ، المطلع على الضمائر، والعالم بالعواقب ، الذي لا تخفى عليه السرائر". [368]

وطالب الكراجكي الشيعة بالكف عن التفكير في هذه المسألة ، بعد الإيمان بوجود الإمام وعصمته، وانه لا يفعل شيئا إلا بإذن الله. والتسليم لكل خطوة أو فعل أو موقف يتخذه (الإمام المعصوم) حتى مع عدم معرفة الأسباب والأغراض، وقال:" انه ليس يلزمنا معرفة هذا السبب ولا يتعين علينا الكشف عنه ، ولا يضرنا عدم العلم به" .[369] ونفى الشيخ الطوسي الحاجة الى تكلف الكلام في سبب غيبة الإمام بعد ثبوت وجوده .[370]

وبعد اعتراف أركان نظرية (الغيبة) بعدم وجود تفسير معقول وأكيد للغيبة ، لا تبقى حاجة لمناقشة الروايات والنظريات المختلفة، التي قدموها لتبرير الغيبة، بالحكمة المجهولة ، أو

---

365 - الصدوق، إكمال الدين، ص 88

366 - المصدر نفسه، ص 531

367 - الصدوق، علل الشرائع ، ص 246 ، والأمالي، ص 426

368 - المفيد، الفصول المختارة ، مسألة من الغيبة، ص 266 و269

369 - الكراجكي، كنز الفوائد، ج 1 ، ص 371

370 - الطوسي، الغيبة، ص 3- 4

بتمحيص الشيعة وغربلتهم ، أو بخوف صاحب الزمان على حياته من القتل ، فان رواتها غلاة وضعاف ، ومضمونها لا ينطبق على (محمد بن الحسن العسكري) .

وقد اعرض معظم الكتاب الذين ألفوا حول الغيبة كالمفيد والمرتضى والطوسي ، عن تبني نظرية (التمحيص) ما عدا الشيخ الصدوق الذي اهتم بها بعض الشيء ، وان لم يتبنها تبنيا كاملا ، خاصة بعد انقراض الجيل الأول الذي تعرض للتمحيص حتى لم يبق منه أحد .

ولذا فمن الضروري التوقف فقط ، عند نظرية الخوف ، التي فسر بها بعض المتكلمين كالسيد المرتضى والشيخ الطوسي والكراجكي حالة (الغيبة) . وقد اعتمد القائلون بنظرية الخوف على مجموعة روايات ضعيفة السند وعامة لا تحدد اسم القائم ، وهي مروية عن زرارة عن الإمام الصادق (ع) قبل اكثر من مائة عام من وفاة الإمام الحسن العسكري .

ولم يمكن اللجوء الى نظرية الخوف في تفسير الغيبة ، إلا بعد القول بمجموعة من النقاط الافتراضية الوهمية ، كتحديد هوية الإمام المهدي من قبل ، وهو أمر أثبتنا في الفصل الثاني عدم صحته ، وكذلك افتراض وجود توتر سياسي بين البيت العلوي والبيت العباسي الحاكم ، وهذا ما سوف ننفيه في هذا الفصل ، والقول أيضا بفكرة خاتمية المهدي للأئمة الاثني عشر ، وهذه نظرية لم تكن موجودة في البداية ، وقد ظهرت في القرن الرابع الهجري ، و القول كذلك بحرمة استعمال الإمام المهدي للتقية وإخفاء هويته حتى يوم ظهوره ، وهو أمر لا ينسجم مع سياسة الأئمة السابقين ولا مبرر له.

ومع كل ذلك فقد كانت نظرية الخوف بعيدة جدا عن أخلاق أهل البيت (ع) وحبهم للشهادة في سبيل الله ، وهي تثير تساؤلات كبيرة حول السر وراء عدم حفظ الله تعالى للمهدي ، على فرض وجوده ، كما حفظ النبي موسى وأنجاه من فرعون ، وكما حفظ الرسول الأعظم (ص) المبشر به من قبل .

وبالرغم من عدم تحديد الأئمة من أهل البيت (ع) لهوية المهدي من قبل ، فان التسليم بهذه المقولة، جدلاً ، يثير تساؤلاً عن السر وراء إعلان أهل البيت لإسم القائم من قبل ، إذا كانوا يعرفون انه سيتعرض للضغط؟ ولماذا لم يتركوه سراً لحين

موعد القيام ، حتى يجنبوا المهدي ملاحقة الأعداء منذ الولادة والطفولة؟

وإذا صحت نظرية الخوف من الأعداء فلماذا يستتر المهدي عن أوليائه؟ ولقد قام مئات الملايين من الشيعة عبر التاريخ بانتظار (الإمام المهدي) وإعلان الاستعداد لنصرته ، وقامت لهم دول تتبنى الإيمان به ، فلماذا لم يظهر مع ارتفاع الخوف بالتأكيد؟

وهذا سؤال طرحه بعض رؤساء الدولة البويهية الشيعية التي قامت في القرن الرابع الهجري ، على الشيخ المفيد ، وطالبه بالإجابة عليه ، فأحال المفيد الإجابة على الله وقال:" ان سرَّ الغيبة لا يعلمه إلا هو" ، واعترف بكثرة الشيعة في ظل الدولة البويهية ، ولكنه شكك في صدقهم وشجاعتهم وتقواهم .[371]

والآن.. وبعد مضي اكثر من ألف عام على القول بنظرية (الخوف) في تبرير (الغيبة).. وبعد سقوط عشرات الدول وقيام أضعافها ، فان تلك النظرية تبدو بعيدة جدا عن الواقع ، وعارية عن أية مصداقية ، ولا تشكل سوى فرضية وهمية لتبرير فرضية وجود الإمام (محمد بن الحسن العسكري) وتناقض غيبته مع مسئولية الإمامة الملقاة على كاهله من الله . وهذا ما يثبت عدم صحة فرضية ولادة ووجود (الإمام الحجة بن الحسن). وإلا فلو كان حقا موجوداً لكان يجب عليه الظهور والقيام عند أول فرصة تسمح له بذلك ، وعدم جواز إبقاء الأمة مهملة بدون قيادة شرعية .

لقد طالب أصحاب نظرية الخوف ، الشيعة ، بأن يزيلوا الأسباب التي دفعت (الإمام المهدي) الى الغيبة ، وذلك بتمكينه وإعداد العدة لنصرته ، أو العزم على نصرته ومعاضدته والانقياد له والكف عن نصرة الظالمين ، ودعوته للخروج ، وقال السيد المرتضى في (الشافي):" ان المكلفين متمكنون مما إذا فعلوه زالت تقية الإمام وخوفه، ووجب عليه الظهور.. وقد بينا ان سبب الغيبة هو فعل الظالمين ، وتقصيرهم فيما يلزم من تمكين الإمام فيه والإفراج بينه وبين التصرف فيهم، وبيّنا انهم (الشيعة) مع الغيبة ، متمكنون من مصلحتهم ، بأن يزيلوا السبب الموجب للغيبة ليظهر الإمام وينتفعوا بتدبيره وسياسته".[372]

---

[371] - المفيد، الأمالي، ص 390

[372] - المرتضى، الشافي، ج 1 ، ص 147

وقد زال الخوف اليوم ، وأزال الشيعة الأسباب التي دفعت الإمام الى الغيبة ، وأعدوا العدة لنصرته ، وعزموا على معاضدته والانقياد له والكف عن نصرة الظالمين ، ودعوه للخروج ، ولكنه لم يخرج ! بالرغم من قول السيد المرتضى بوجوب الظهور عليه في هذه الحال.

وكان الشيخ الصدوق قد رفض التصديق بقول الواقفية، في غيبة الإمام الكاظم ومهدويته، لأن عمره كان قد تجاوز يوم ذاك العمر الطبيعي المعهود ، ومع ذلك فقد روى هو والطوسي روايات تقول بأن عمر المهدي قد يطول مثل عمر نوح ، وجواز ان ينقض الله العادة لضرب من المصلحة .[373]

المبحث الثاني

الوضع السياسي العام عشية (الغيبة) وغداتها

القسم الأول: النظام العباسي

امتاز العهد العباسي الثاني ، بسيطرة الموالي الأتراك على شؤون الخلافة ، والتدخل في تعيين الخلفاء وإزالتهم ، حيث قتل (باغر) التركي المتوكل، نتيجة صراعات داخل البيت الحاكم ، وخلافات بين أركان السلطة والقوات المسلحة .[374] وورث عرش الخلافة من المتوكل ابنه محمد المنتصر ، وله من العمر 25 سنة ، ولكنه لم يستمر في الخلافة اكثر من ستة اشهر حتى توفي .[375] ثم قام قائدا الأتراك (وصيف) و(بغا) بعد وفاة المنتصر بقتل (باغر) الذي قتل المتوكل ، وجاءا بالمستعين الى سدة الخلافة ، والسيطرة عليه ، بحيث لم يكن له من الأمر شيء غير الاسم ، حتى قال بعض الشعراء فيه:" خليفة في قفص بين وصيف وبغا ، يقول ما قالا له كما يقول الببغا".[376]

وقام المستعين باعتقال أخويه المعتز والمؤيد ، ثم ارتبك عليه الوضع فانحدر الى بغداد، فقام الموالي بإخراج المعتز والمبايعة له والانقياد الى خلافته ومحاربة المستعين وناصريه (وصيف وبغا) ببغداد ، فبايعوه ، وذلك في 11/ محرم/251 ، وأحدر المعتز أخاه احمد مع عدة من الموالي لحرب المستعين الى بغداد ، مما

---

373 - الطوسي، الغيبة، ص 76 و78

374 - المسعودي، مروج الذهب، ج 4 ، ص 38

375 - المصدر، ص 52

376 - المصدر، ص 60 - 61

اضـطر المسـتعين الى الاسـتقالة من الخلافـة يـوم الخميس 3 محرم 252 هـ وسـلم الخلافـة الى المعـتز الـذي بويـع لـه ، ولـه يومئذ 18 سنة ، وعين أخاه المؤيد وليا للعهد ، ولكنه سرعان مـا حبسه لأنه سمع أن المؤيد يتآمر عليه ، ثم خلعه .[377]

وقام المعتز بقتل وصيف وبغا ، ومال الى المغاربة والفراغنة ، فنقم عليه الأتراك وثاروا عليه واجبروه على الاستقالة في أواخـر شهر رجب سنة 255 هـ ، بعد ان حكم حوالي أربـع سـنين وسـتة اشهر ، وحاول محمد بن الواثـق ان يتوسـط بينـه وبين الأتـراك ، فقال له المعتز يائساً: أمـر لا أطيقـه ولا أقـوم بـه ولا اصـلح لـه. وحاول المهتدي ان يتوسـط أيضـا فقـال لـه المعـتز: لا حاجـة لي فيهـا ولا يرضـونني لهـا. وقتـل في محبسـه بعـد سـتة أيـام من الاستقالة .[378]

وقد نصب الأتراك بعد استقالة المعتز ، المهتـدي محمـد بن هارون الواثق ، وكان له من العمر 37 سنة ، وحكم حوالي عام ، من 29 رجب 255 هــ الى 16 رجب 256 هــ ، حيث قتـل على أيدي الأتراك .

وكان موسى بن بغا الكبير ، عندما قتـل المعـتز ، غائبـا ، بينمـا كان صالح بن وصـيف ، يـدير الأمـر مـع المهتـدي ، فعـاد موسـى مسـرعا ودخـل (سـرّ من رأى) بـدون إذن الخليفـة المهتـدي ، وقتل صالح بن وصيف .[379]

وفي هذه الأثناء تمرد (مساور الشاري) ودنا في عسكره من سـامراء ، وعم النـاس بـالأذى ، وانقطعت السـابلة وظهـرت الأعراب ، فأخرج المهتدي ، موسى بن بغا ، وبايكال ، الى حـرب الشاري ، ولكنهما عادا ، ليهاجم بايكال الخليفة المهتدي ، وتكون بينهما حرب عظيمة قتل فيها خلق كثير من الناس. وبعد أن قتل المهتـدي بايكـال في المعركـة، انهـزم أمـام أصـحابه ، فـدخل سامراء مستغيثا بالعامة مستنصرا بالناس يصيح في الأسـواق فلا مغيث ، فمضـى يائسـا من النصـر، الى دار ابن خيعونـة متخفيـا ، فهجموا عليه وطعنوه بالخناجر ، وذلـك في 16 رجب سـنة 256 هـ.

---

377 - المصدر.

378 - المصدر.

379 - المصدر ، ص 98

وفي ظل حكم هذا الخليفة الضعيف، يقال ان (محمد بن الحسن العسكري) قد ولد، سراً، وكتم أبوه الخبر خوفا من بطشه.

وقد بويع بعد ذلك للمعتمد احمد بن جعفر المتوكل ، وهو ابن 25 سنة ، وبقي في الخلافة 23 سنة الى ان توفي سنة 279 هـ ، وقد كان ضعيفا جدا مشغوفا بالطرب ، والغالب عليه المعاقرة ومحبة أنواع اللهو والملاهي .. وبايع المعتمد لابنه جعفر وسماه المفوض الى الله ، ولكن أخاه أبا احمد الموفق غلب على الأمور وتدبيرها فحظر على أخيه المعتمد وحبسه ، فكان أول خليفة يقهر ويحبس ويحجر عليه ، وعندما توفي الموفق قام ابنه المعتضد بأمور الناس في التدبير وخلع جعفر من ولاية العهد سنة 278 ، واصطبح المعتمد في 19 رجب 279 وتغدي غداء مسموما فمات..ودخل إسماعيل بن حماد القاضي الى المعتضد وعليه السواد فسلم عليه بالخلافة .[380]

وقد توفي الإمام الحسن العسكري في عهد المعتمد سنة 260 هـ ، وحدثت (الغيبة) والحيرة، والخليفة المعتمد يبلغ من العمر حوالي ثلاثين سنة.

وتوفي المعتضد في 22 ربيع الثاني سنة 289 هـ فخلف ابنه علي المكتفي بالله ، الذي بويع له بالخلافة وله من العمر 25 سنة ، فكان شابا ضعيفا ، فغلب عليه القاسم بن عبيد الله وفاتك مولاه ، ثم غلب عليه بعد وفاة القاسم وزيره العباس بن الحسن وفاتك. [381]

وعاش الخلفاء العباسيون بعد ذلك سلسلة من الصراعات الداخلية الدموية العنيفة على السلطة ، فيما بينهم وبين الموالي والأتراك ، فقد قتل المقتدر عام 320 هـ في الواقعة التي كانت بينه وبين مؤنس الخادم في بغداد ، وبويع للقاهر بالله بعده ، ثم خلع بعد اقل من عامين وسملت عيناه في 5/5/322 هـ وبويع للراضي بالله بعده ، الذي حكم حوالي خمس سنين ومات حتف انفه في 10/3/329 هـ ، ولكن عصره شهد سيطرة الموالي و (بجكم) التركي الذي ضرب الدنانير والدراهم ووضع صورته عليها

---

380 - المصدر، ص 141

381 - المصدر ، ص 187

وهو شاكي السلاح مع كتابة هذه الجملة " إنما العز فاعلم ، للأمير المعظم ، سيد الناس بجكم" . [382]

وبويع بعده للخليفة المتقي بالله في 1/3/329 هـ ، وظل في الخلافة حوالي أربع سنين ، ثم خلع وسملت عيناه في 3/4/333 هـ ، وذلك بسبب استعانته بالحمدانيين وتفويض الملك إليهم ، مما اغضب الأتراك وزعيمهم توزون الذين سيطروا على بغداد سنة 332 فتآمروا على المتقي وخلعوه وأرسلوا الى عبد الله بن علي المستكفي وبايعوه بالخلافة في 3/2/333 هـ ، ولكنه خلع بعد عام وسملت عيناه أيضا، وذلك على يدي احمد بن بويه الديلمي ، الذي اتهمه بمكاتبة بني حمدان واطلاعهم على أسراره ، وولى المطيع مكانه في 23/ شعبان / 334 هجرية.

القسم الثاني: وضع المعارضة

كما شاهدنا في القسم الأول ، كان من ابرز خصائص العصر العباسي الثاني: التفسخ والانحلال ، وقد نشأ من ضعف الخلافة وعدم امتلاكها زمام الأمور.. فصار أي واحد من أمراء الأطراف في الدولة الإسلامية الواسعة غير مقيد بالارتباط الوثيق بالعاصمة ، ان شاء كان مواليا ، وان شاء اصبح مستقلا وناجز الآخرين ، فكانت الحروب تدور في الأطراف بين الأمراء والولاة.

ومن أوضح تلك الموارد، الأندلس ، التي استقلت تلك الفترة بالخلافة تحت حكم عبد الرحمن الناصر الأموي ، وكان الشمال الأفريقي مستقلا الى حد كبير تحت إمرة آل الأغلب ، وكانت بلاد فارس والعراق مسرحا خصبا لجيوش يعقوب بن الليث الصفار وحروبه من سنة 253 الى ان توفي سنة 265 ، حيث خلفه أخوه عمرو بن الليث ، وفي عام 261 استقل الى حد كبير نصر بن احمد الساماني ببلاد ما وراء النهر حتى توفي عام 270 ، ولم تكن الأطراف القريبة من العاصمة (سر من رأى) بأحسن حالا من الأطراف البعيدة ، فقد كانت أيضا مسرحا لمصالح العمال والقواد من ناحية ، ومسرحا لنشاط الخوارج والزنج ثم القرامطة من ناحية أخرى.

---

[382] - المصدر ، ص 245

وكـان الخليفـة المعتمـد الـذي كـان مولعـا بـالطرب والملاهي وشرب الخمور ، بالخصوص ، ضـعيفا الى درجـة كبـيرة بحيث لم تبق معه من الخلافة إلا صورتها بلا واقع.. لا حل له ولا عقد .

وشهد هذا العصر سلسلة من ثورات الشـيعة والعلـويين بمختلـف فئاتهم وأحزابهم ، رغم ان بعض الخلفاء العباسيين بدأ يميـل الى التشيع أو يتعاطف مع العلويين بصورة كبيرة ، فقـد كـان النظـام يتفسخ ويتفتت ، وربما حدث الصراع داخل البيت العباسي نفسه.

الثورات العلوية عشية (الغيبة)

يقول المسعودي في (مروج الذهب):" في عام 250 هـ ظهـر ببلاد طبرسـتان الحسـن بن زيـد العلـوي ، فغلب عليهـا وعلى جرجان بعد حروب كثيرة وقتـال شـرير.. وظلت في يـده الى ان توفي سنة 270 فخلفه أخوه محمد بن زيد ، الى ان حاربـه رافـع بن هرثمة ، ودخل محمد بن زيـد الـديلم في سـنة 277 فصـارت في يده وبايعه بعد ذلك رافع بن هرثمـة وصـار في جملتـه وانقـاد الى دعوته والقول بطاعتـه..وكـان الحسـن ومحمـد يـدعوان الى الرضا من آل محمد، وكذلك من طرأ بعدهما ببلاد طبرستان، وهو الحسن بن علي الحسني ، المعروف بالأطروش " .[383]

وفي نفس الـوقت (سـنة 250) ظهـر بـالري محمـد بن جعفـر ودعـا للحسـن بن زيـد صـاحب طبرسـتان . كمـا ظهـر بقـزوين الكركي ، وهو ثائر علوي آخر، ثم التحق بالحسن بن زيـد. وظهـر بعده بالري علوي آخر هـو : احمـد بن عيسـى ، ودعـا الى الرضـا من آل محمـد ، وسـيطر على الـري. كمـا ظهـر بعـد ذلـك بعـام الحسين بن محمد العلوي بالكوفة ، وأجلى عنها عامـل الخليفـة . وثار بعده علوي آخر هـو : محمـد بن جعفـر. وفي عـام 251 ثـار علي بن عبد الله الطالبي المسمى بالمرعشـي في مدينـة آمـل. كما ثار الحسين بن احمد الأرقط بقزوين ، وظـل مسـتوليا عليهـا حتى عام 252 ، كما استولى على الري أيضا .[384]

---

[383] - المسعودي، مروج الذهب، ج4 ، ص 68

[384] - المصدر

وقد تم كل ذلك في ظل تدهور الأمور أيام الخليفة المستعين الذي اختلف مع أهل بيته ، وانحدر الى بغداد ، فاضطرب عليه الموالي وحاربوه واجبروه على خلع نفسه ، وتمت البيعة للمعتز.

وفي عام 252 هـ ، في ظل خلافة المعتز، الشاب الذي لم يكن قد تجاوز العشرين من عمره ، ثار العلوي: إسماعيل بن يوسف ، في المدينة. وخلفه بعد وفاته أخوه محمد بن يوسف ، ثم سار الى اليمامة والبحرين واستولى عليها ، و خلف بها عقبه المعروف ببني الأخضر.[385]

وفي خلافة المهتدي سنة 255 ظهر صاحب الزنج في البصرة.

وفي عام 256 هـ خرج في مصر ، العلوي إبراهيم بن محمد، المعروف بابن الصوفي . كما ثار علي بن زيد في الكوفة ، وقاتل بعكبرا ، حتى قتل سنة 257 هـ .

وفي سنة 257 ظهر القرامطة في البحرين وامتدوا الى البصرة والعراق والجزيرة.

وقد تفجرت في الري ثورة شيعية بقيادة احمد بن الحسن المادراني الذي سيطر عليها في عهد المعتمد ، في عام 275 ، واظهر فيها التشيع وأقام حكومة شيعية.[386]

الثورات الإسماعيلية في اليمن وشمال أفريقيا

وكان (الحسين بن حوشب) قبل ذلك ، وبعد سنوات قليلة من وفاة الإمام العسكري ، وذلك في سنة 266 هـ قد استطاع ان يؤسس في اليمن ، أول حركة إسماعيلية ناجحة ، ويجمع حوله عددا كبيرا من قبائل اليمن ، ويظهر بينهم الدعوة لـ :(المهدي الإسماعيلي) الذي كان يعيش مستترا في مدينة سلمية في سوريا ، ويؤسس أول دولة إسماعيلية في التاريخ. ثم أرسل ابن حوشب : الداعي (أبا عبد الله الشيعي) الذي كان قد انسحب من الفرقة القائلة بوجود (محمد بن الحسن العسكري) والتحق بالإسماعيلية ، وكان يعمل محتسبا في بغداد ، أرسله الى شمال أفريقيا للدعوة الى الإمام الإسماعيلي المستتر (عبيد الله

---

385 - المصدر ، ص 91

386 - الحموي، ياقوت، معجم البلدان، أحداث سنة 275 هـ

المهـدي) . واسـتطاع أبـو عبـد اللـه في ظـل ضـعف الدولـة العباسية ، ان يكسب تأييد قبيلة كتامـة ، ويسـيطر على المغـرب ويكتسح نفوذ بني الأغلب ، ويقضي على دولتهم في القيروان في تونس عاصمة أفريقية ، ويؤسس الدولة الفاطمية ، الـتي امتـدت بعد ذلـك الى مصـر وسـوريا والحجـاز، وذلـك في سـنة 296 في عهد الخليفة العباسي المقتدر ، الذي بويع وله من العمر 13 عاما ، وكـان الإمـام المهـدي الإسـماعيلي يقـود نشـاطاته المعارضـة للدولة العباسية ويعمل على إسـقاطها ، وبعـد نجاحـه في تفجـير الثـورة في اليمن على يـدي الـداعي بن حوشـب ، اسـتطاع ان يفجر الثورة في واسط في العراق ، على يدي أحد أتباع المذهب الإسـماعيلي:(حمـدان بن قرمـط) الـذي اكتسـح جنـوب العـراق والجزيرة العربية وامتد الى سوريا .

تعاطف الخلفاء العباسيين مع العلويين

ونتيجة لذلك ، فقد كـانت سياسـة المعتضـد لينـة مـع العلـويين كسياسة من سـبقه من الخلفـاء العباسـيين ، بـالرغم من خـروج الـــداعي في طبرســـتان واســـتقلاله بالســـلطة هنـــاك. يقـــول المسعودي: ان الـداعي العلـوي بعث بمـال الى عاصـمة الخلافـة لكي يــوزع على آل أبي طــالب فيهــا ، فعلم الخليفــة المعتضــد بذلك ، فلم يستطع ، أو لم يشأ ان يعارض ذلـك ، بـل أرسـل الى الرجل المكلف بالتوزيع وأحضره ، وأنكر عليه إخفاء ذلك ، وأمره بإظهاره ، وقرّب إليه آل أبي طـالب ، و ادعى الخليفـة المعتضـد انه كان قد شاهد الإمام علي في الرؤيا قبل ان يصل الى الخلافة وقال له: ان هذا الأمر سيصل إليك فلا تتعرض لولدي ولا تؤذهم ، فقال : السمع والطاعة.[387]

ويروي المجلسي عن محمد بن جرير الطـبري : ان المعتضـد ، الذي ولي الخلافة بعـد المعتمـد ، عـزم على لعن معاويـة بن أبي سفيان على المنابر ، وأمر بإنشاء كتاب يقرأ على الناس.[388]

واخفق المعتضـد في مسـعاه لمقاومـة الحركـة القرمطيـة ، إذ أرسل جيشا لقمعها فهزم واسر قائده ، وكان القرامطة يزحفـون على البصرة تارة وعلى بغداد تـارة ، وعلى الحجـاز تـارة أخـرى. ونودي بزعيم لهم هو (صاحب الناقة أبو عبد الله محمـد) خليفـةً وتسمى بـأمير المؤمـنين ، ثم هجمـوا على الشـام وظهـروا فيهـا

---

387 - المسعودي، مروج الذهب، ج 4 ، ص 91

388 - المجلسي، بحار الأنوار، المجلد الثامن من الطبعة الحجرية، ص 523

سنة 289 هـ ، وظل خطرهم جاثما على المنطقة حتى نهبوا الكعبة وسرقوا الحجر الأسود وقتلوا آلافا من الحجاج سنة 317 ، ثم نهبوا البصرة واحتلوا الكوفة ، واضطر الخليفة المعتضد ان يعقد معهم الهدنة ويؤدي لهم (مائة وعشرين ألف دينار) كل عام .

وفي عهد الخليفة الطفل ، المقتدر بالله ، أصيبت الدولة العباسية بالضعف الشديد داخليا وخارجيا ، واحتل الروم ساحل الشام ومدينة اللاذقية سنة 298 ، وظهر محسن بن جعفر بن علي الهادي في دمشق سنة 300 هـ ، ولكنه هزم وقتل بعد ذلك .

ومنذ ذلك الحين شهد العصر العباسي سيطرة البويهيين (الشيعة) على مقاليد السلطة في عاصمة الخلافة العباسية بغداد ، حيث كانوا ينصبون الخلفاء ويعزلونهم . [389]

إذا ، فان الظروف المحيطة بـ :(الغيبة) من قبل ومن بعد ، لم تكن تنطوي على أي مبرر للخوف والتقية ، بحيث يخفي الإمام الحسن العسكري مولد ابنه ويكتمه بالمرة ، ولم يكن من العسير على (محمد بن الحسن العسكري) لو كان موجوداً فعلا ، ان يظهر هنا وهناك . وحتى لو كان قد أعلن عن نفسه منذ البداية انه (المهدي المنتظر) لم يكن يصعب عليه اللجوء الى أطراف الدولة العباسية ويختبئ بالجبال والغابات ، وان يتحدى السلطات العباسية الضعيفة جدا ويقيم دولته المعهودة ، ويؤدي مسئولياته في إمامة الشيعة والمسلمين. ومن المعروف ان الحكام البويهيين (الشيعة المؤمنين به) طالبوا الشيخ المفيد ان يخرج ويحكم بدل الخليفة العباسي ، كما خرج (المهدي الفاطمي) وحكم في شمال أفريقيا ، بعد ان كان مستترا ، فلم يحر المفيد جوابا ، بعد تهافت حكاية التقية والخوف على نفسه من القتل .

المبحث الثالث

ماذا في علامات الظهور؟

[389] - المسعودي، مروج الذهب، ج 4 ، ص 277

إضافة الى عدم وجود مبرر حقيقي للغيبة ، فان القائلين بها يتحدثون عن محاولات السلطة العباسية للتفتيش عن (الإمام المهدي) والقبض عليه ، ومع ذلك فانهم يتحدثون عن اختباء (المهدي) في بيت أبيه في عاصمة الخلافة (سامراء) ولمدة طويلة ، وهو ما يناقض فلسفة الغيبة المفترضة : (الخوف والتقية) ، حيث كان ينبغي لو صح وجوده ، ان ينأى عن قبضة السلطة بالاختباء في نواحي البلاد البعيدة .

وبما ان الغيبة مناقضة لفلسفة الإمامة ، خاصة بتلك الصورة الطويلة ، فقد كان القول بها في البداية يتأرجح بين ستة أيام أو ستة شهور أو ست سنين ، ثم تطور الى ثلاثين عاما أو أربعين عاما أو مائة وعشرين عاما ، حسبما تقول روايات كثيرة ينقلها الطوسي .[390]

ولم تكن مدة الغيبة تتصور اكثر من عمر الإنسان الاعتيادي ، ولذا فقد رفض الشيخ الصدوق قول (الواقفية) بغيبة الإمام موسى الكاظم ، لإنه كان قد تجاوز العمر الطبيعي في القرن الرابع الهجري ، أي اصبح له من العمر حوالي مائتي عام .

وعلى أي حال ، فان الروايات التي تتحدث عن علامات الظهور ، تشكل دليلا إضافيا على عدم صحة نظرية (المهدي محمد بن الحسن العسكري) وذلك لأنها تتحدث عن علامات ظهور مضى عليها الزمان ، كالظهور بعد سقوط الدولة الأموية ، والانتقام من الأمويين . أو الظهور في العهد العباسي ، أو نهايته عند اختلاف ولد بني العباس فيما بينهم ، أو في أعقاب قتل (ذي النفس الزكية) كما تقول روايات أخرى يذكرها الطوسي والنعماني والكليني.

ويشير بعض الروايات الى ان (المهدي) سيفتح القسطنطينية التي استعصت على المسلمين قرونا طويلة ، وانه سيفتح الديلم والسند والهند وكابل والخزر . وكل هذه العلامات أو المهمات قد حدثت ولم يظهر المهدي الموعود ، مما يدل على عدم صحة الروايات أو ارتباطها بأشخاص آخرين.

ويتحدث بعض الروايات عن علامات تعجيزية لا تحدث إلا يوم القيامة أو بعد زوال الدنيا ، كركود الشمس وسط السماء

---

390 - الطوسي ، الغيبة ، ص 76 - 78

وطلوعها من المغرب ، وامتداد اليـوم الى 240 سـاعة ، وخـروج أموات من قبورهم .

أو يتحدث عن معاجز تقنية كالحديث مع القائم ورؤيتـه عن بعـد ، بما يشبه جهاز (البث التلفزيوني المباشر عبر الأقمـار الصـناعية) وقد حدث هذا الجهاز مؤخرا ، ولكن ليس على يدي القائم ، ممـا يحول دون اعتباره معجزة من معاجز (المهـدي). أو حـدوث بعض العلامات الغريبـة الـتي تتنـافى مـع سـنة اللـه في الحيـاة كـولادة الذكور دون الإناث بالآلاف للشخص الواحد ، كما يقول المفيد .

ومن الجدير بالذكر ان جميع الروايات الـواردة في هـذا الشـأن هي مرسلة أو مروية عن مجاهيل وغلاة ووضاعين ، وهي لا تذكر هوية القائم المهدي بالتحديد ، وإنما تشير إليه بصورة عامة ، مما يحتمل وضعها أو اختلاقهـا من قبـل الحركـات المهدويـة السـابقة في القــرون الهجريــة الأولى ، وبالتــالي فإنهــا تشــكل دليلا على تطور النظرية المهدوية ، وتطبيق أصحاب نظرية (المهدي محمـد بن الحسن العسكري) تلك الأحاديث عليه.

المبحث الرابع

دور الغلاة الباطنيين في صنع الفرضية (المهدوية)

بعـد تهـافت الأدلـة العقليـة والنقليـة والتاريخيـة الـتي قـدمها أصـحاب نظريـة (وجـود المهـدي محمـد بن الحسـن العسـكري) واتضاح ان ذلك القول لم يكن إلا " فرضية اجتهادية ظنية سرية" افترضها جماعة من النـاس ، يـأتي السـؤال المحـير الكبـير : من كان وراء ذلك القول الغريب الافتراضي ؟.. وكيف استطاع أولئك النــاس إحداثــه ؟ ومــا هي مصــلحتهم من وراء ذلــك؟ ومــا هي أجواؤهم الثقافية والعقليـة ؟ و لمـاذا اختـاروا القـول بوجـود ولـد للإمام العسكري ، بالخصـوص ، من بين الخيـارات العديـدة الـتي كـانت تواجـه الشـيعة الإماميـة بعـد الحـيرة ؟ وكيـف نجحـوا في تسويق نظريتهم ؟

لا يمكن الإجابة على هذه الأسـئلة ومعرفـة حلولهـا بدقـة ، إلا بالرجوع الى الوراء ، وقراءة التاريخ الشيعي العـام خلال القـرون

الثلاثة الأولى ، والإطلاع على جذور الحركـات المهدويـة السـابقة وعلاقتها بالفرق الباطنية الغالية التي كانت تحاول إلصـاق نفسـها بأهل البيت (عليهم السلام) .

العلاقة بين الغلو والمهدوية في التجارب السابقة

كنا قد استعرضنا في الفصل الثاني من هذا الجزء، قصة نشوء حوالي عشـرين حركـة مهدويـة ، وكـان معظمهـا وليـد الحركـات المغالية ، وقد رأينـا ان أول نظريـة مهدويـة في التـاريخ الشـيعي كانت تـدور حـول الإمـام أمـير المؤمـنين (ع)، وقـد اختلقهـا الغلاة (السبئية) الذين كانوا يغالون في شخصـية الإمـام علي ويرفعونـه الى درجة الربوبية . [391]

أما النظريـة الثانيـة فقـد كـانت حـول محمـد بن الحنفيـة ، وقـد اختلقها الكيسـانية المتـأثرين بالسـبئية الغلاة ، وخاصـة (الكربيـة) منهم . وكان رجل من الكيسانية الغلاة اسمه (حمـزة بن عمـارة البربري) قد طور نظريـة مهدويـة ابن الحنفيـة ، فقـال بألوهيتـه وبنبوة ابن كرب ، وجعل من نفسه إماما مرتبطا بالسماء . [392]

وقد تناسلت تلك الحركة المغالية ، بعد ذلك ، الى عـدة فـرق ، وقـالت فرقـة منهم تعـرف بــ :(البيانيـة) بزعامـة (بيـان النهـدي) قالت: بمهدوية أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفيـة ، وغلت فيه ، وادعى (بيان) النبوة عن أبي هاشم.[393]

كما قال قسم آخر من الكيسـانية الغلاة يعـرف بــ :(الجناحيـة) بمهدوية الثائر الطالبي عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الطيار.[394]

---

391 - النوبختي، فرق الشيعة، ص 22 ، والأشعري القمي، المقالات، ص 20

392 - النوبختي، فرق الشيعة، ص 27 ، والأشعري القمي، المقالات، ص 33

393 - النوبختي، فرق الشيعة، ص 29 و 31 و34 ، والأشعري القمي، المقالات، ص 34 و37

394 - النوبختي، فرق الشيعة، ص 35 ، والأشعري القمي، المقالات، ص 44

وقد انتقلت عدوى الغلو من الكيسانية الى بعض الزيدية الـذين قالوا بمهدوية (ذي النفس الزكية : محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن) حيث رفض قسم منهم الاعتراف بوفاته وقالوا بغيبته ، وحدث فيهم ما حدث في الحركة الكيسانية ، عنـدما قـام رجـل يـدعى (المغـيرة بن سـعيد) بتطـوير النظريـة المهدويـة وادعى الإمامة لنفسه في ظل (غيبـة) ذي النفس الزكيـة ، ثم تـرقى بـه الأمر الى ان ادعى انه رسول نـبي ، وان جبرائيـل يأتيـه بـالوحي من عند الله ، كما يقول النوبختي والاشعري .[395]

وتسربت روح الغلو بعـد ذلـك من (المغيريـة) الى (الخطابيـة) أصحاب أبي الخطاب محمـد ين أبي زينب الأجـدع ، الـذين كـانوا يغالون في الإمام الصادق ، ويؤلهونه ، وقد قالوا بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق ورفضوا الاعتراف بوفاته في حياة أبيه ، وقـالوا بمهدويته وغيبته. [396]

وبالقرب من أجواء الغلو اللامنطقية تلك ، قال فريـق آخـر من الشيعة الامامية الفطحية، بمهدويـة (محمـد بن عبـد اللـه الأفطح بن جعفـر الصـادق) وكـان هـذا اغـرب قـول بالمهدويـة في ذلـك الزمان ، حيث نسب ذلك الفريق (المهدوية) الى شـخص موهـوم ليس له وجود ، نتيجة المرور في أزمة نظريـة بعـد وفـاة (الإمـام عبـد اللـه الافطح) دون عقب يخلفـه في الإمامـة ، وذلـك بسـبب إيمانهم بضرورة استمرار الإمامة في الأعقاب وأعقـاب الأعقـاب الى يوم القيامة، وعدم جواز الجمع بين أخوين في الإمامة . [397]

وقـد كـان القـول بوجـود (محمـد بن عبـد اللـه الأفطح) في البداية ، مجرد فرضية فلسفية ، ولكنهم قـاموا بعـد ذلـك بحياكـة مجموعة من القصص الأسطورية حول اللقاء بـه ومشـاهدته هنـا وهناك ، واختلقوا بعض المعاجز للاستدلال الغيبي على وجوده.

والى جانب هؤلاء وأولئك.. كان فريق آخر من الشيعة الاماميـة المتأثرين بالغلاة وهم (الواقفية) يقولون بمهدويـة الإمـام موسـى الكاظم (ع) وغيبته واستمرار حياتـه الى أمـد غـير منظـور. وكـان

---

395 - النوبختي، فرق الشيعة، ص 63 ، والأشعري القمي، المقالات، ص 77

396 - النوبختي، فرق الشيعة، ص 68- 69 ، والأشعري القمي، المقالات، ص 81

397 - الأشعري القمي، المقالات ، ص 88

بعضهم يـزعم ان الكـاظم مـات ثم قـام بعـد موتـه ، واختفى في موضع من المواضع السرية . [398]

وكما حدث في الحركـتين الشـيعيتين الكيسـانية والزيديـة، من اسـتغلال بعض أقطابهمـا لفكـرة المهدويـة، وادعـاء الإمامـة أو النبوة ، قام واحد من (الواقفية) اسمه (محمد بن بشير الكوفي) بادعاء الخلافة و (النيابة الخاصة) عن الإمـام الكـاظم (الغـائب) ، والالتقـاء بـه في (غيبتـه) . وذلـك من اجـل الحصـول على منـافع مالية وسياسية ضخمة ، ثم نقل الخلافة الى ولـده (سـميع) والى من أوصى إليـه سـميع من بعـده . وقـال :"انـه الإمـام المفـترض الطاعة على الأمة الى وقت ظهور موسى ، فما يلزم النـاس من حقوقهم في أموالهم مما يتقربون بـه الى اللـه عليهم أداؤه إليـه الى قيام القائم" . [399]

ويقول النوبختي والاشعري : ان محمد بن بشير كان على قدر كبير من الغلو والقول بالتناسخ والتفويض والإباحة. [400]

التفسير الباطني

الى جانب القول بالمهدوية والغلو في الأئمة ، الذي طبع قسما من المنتسبين للحركة الشيعية العريضة ، كان يوجد أيضـا القـول بالتفسير الباطني . وفي الحقيقة ان كثيرا من المقـولات الباطلـة لم تكن تسـتقيم إلا بهـذا التفسـير البـاطني المقلـوب للأحـداث والأقـوال ، ورفض الاعـتراف بالحقـائق التاريخيـة الظاهريـة ، أو اختلاق حـوادث وأشـخاص لا وجـود لهم ، كعـدم الاعـتراف بوفـاة الإمام أمير المؤمنين ، أو وفاة محمـد بن الحنفيـة ، أو وفـاة ابنـه أبي هاشم ،أو وفاة ذي النفس الزكية ، أو وفاة الإمـام الصـادق ، أو وفاة ابنه إسماعيل ، أو وفاة الإمام الكاظم ، واختلاق ولد لعبد الله الأفطح الذي مات دون خلف ظاهر ، والقول بوجـود ولـد لـه في السر أخفاه للتقية .

وقـد كـان (الخطابيـة) أتبـاع (محمـد بن أبي زينب الأجـدع) ينسبون الى الإمام الصادق معـاني الغلـو الفاحشـة ويقولـون انـه

---

[398] - النوبختي، فرق الشيعة، ص 80 ، والأشعري القمي، المقالات، ص 90

[399] - النوبختي، فرق الشيعة، ص 83 - 84 ، والأشعري القمي، المقالات، ص 91

[400] - المصدران،

الله ، وقد حج جماعة منهم الى بيت الله الحرام ولبوا هكذا : (لبيك يا جعفر لبيك) فارتعش الإمام الصادق من قولهم وخرّ ساجدا الى الأرض، واستنكر قولهم اشد استنكار، ثم لعن أبا الخطاب ، فذهب أصحابه إليه واخبروه بلعن الإمام الصادق له ، فأجابهم بأن الإمام لا يلعنه شخصيا، وإنما يلعن رجلا آخر يحمل نفس الاسم في البصرة ، وقد كان هو يعيش في الكوفة. فعاد أصحابه الى الإمام الصادق في المدينة واخبروه بمقالة أبي الخطاب الكوفي ، فحدده الإمام بالاسم واللقب والمكان وجميع المواصفات الخاصة ، وكرر لعنه والبراءة من قوله. وعندما اخبره أصحابه بذلك لم يتراجع وظل مصرا على دعواه بالانتماء الى الشيعة والى الإمام الصادق ، ونسبة أقواله الى الإمام سرا ، وقال: ان الإمام لم يلعنه بهذه الصورة الدقيقة العلنية إلا لكي يحافظ على بقية الشيعة من آثار قول الألوهية ، تماما كما فعل الخضر الذي خرق السفينة لينقذها من الغصب والمصادرة ، وقرأ قوله تعالى:"أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر، فأردت ان أعيبها ، وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا" الكهف 79 . [401]

وكان الباطنيون ينسبون كثيرا من الأقوال والآراء الى أئمة أهل البيت ، سراً وخلافا لما كان يعلن به أهل البيت ويقولوه أمام الملأ من الناس ، وبشكل يتعارض مع مواقفهم الحقيقية ، ولما كان الأئمة ينفون تلك الأقوال الغريبة ويستهجنونها أو يرفضونها ، كان الباطنيون يتشبثون بأقوالهم ويفسرون نفي الأئمة لادعاءاتهم بالتقية وبخوف الأئمة من إعلان الحق والتحدث بما لا يحتمله الناس !.

وبغض النظر عن مناقشة دعوى (التقية) ونسبتها الى أهل البيت ، بهذه الصورة المناقضة لأمانة الكلمة والمحافظة على الرسالة ، فان الباطنيين استطاعوا لعب أدوار كبيرة في التاريخ الشيعي وتحريف الناس عن خط أهل البيت ، في كل زمان ، حتى جاء عهد الإمام الحسن العسكري ، الذي توفي عن دون ولد ظاهر ، وأوصى بأمواله الى أمه (حديث) ولم يتحدث عن وجود ولد له في حياته. وقد قبل جميع المسلمين هذه الحقيقة كما قبلها معظم الشيعة الامامية وذهبوا الى القول بإمامة جعفر بن علي الهادي ، أو القول بانقطاع الإمامة ، أو القول بالشورى .. ولكن فريقا من الغلاة والباطنيين رفض التسليم بهذه الحقيقة

[401] - الأشعري القمي، المقالات والفرق، ص 51

الظاهرية ، وأصر على اختلاق قصة سرية ووجود ولد مكتوم ومخفي لم يعلن عنه الإمام العسكري خوفا عليه من القتل ، وتقية. وارتد قسم منهم عن القول بإمامة الحسن العسكري ، وراح يقول بمهدوية محمد بن علي الهادي الذي كان قد توفي في حياة أبيه ، ويرفض الاعتراف بهذه الحقيقة ، ويصر على اختفائه واستمرار حياته الى يوم الظهور ، تماما كما فعل قسم من الإسماعيلية الذين رفضوا التسليم بوفاة إسماعيل بن جعفر الصادق ، وفسروا عملية الدفن التي قام بها الإمام الصادق بأنها مسرحية من قبل الإمام !

وقد رفض مشايخ الطائفة الامامية الاثني عشرية كالشيخ المفيد والمرتضى والطوسي منهج الفرق الشيعية الأخرى الباطنية، التي ترفض الاعتراف بوفاة الإمام علي ، أو ابنه محمد بن الحنفية أو ابنه أبي هاشم، أو وفاة الإمام الصادق أو ابنه إسماعيل، أو وفاة الإمام موسى الكاظم ، أو وفاة الإمام العسكري أو أخيه محمد ، وذلك لمخالفة منطقها الباطني للظاهر ، الذي يشكل حجة لله على الناس . ولكن جميع القائلين بوجود (الإمام محمد بن الحسن العسكري) ينتهجون بدورهم المنطق الباطني حيث يعترفون بعدم إعلان الإمام العسكري لولادة (ابنه) ووصيته لوالدته عند وفاته ، ويفسرون ذلك بالخوف و التقية. وبغض النظر عن مناقشة هذه الدعوى والتأكد من حقيقة الظروف المحيطة بوفاة الإمام العسكري ، فان القول بوجود ولد له في السر ، هو إذن قول باطني سري مخالف للظاهر .

وقد رأينا أيضا : ان معظم الروايات التي تتحدث عن ولادته ومشاهدته في حياة أبيه تتضمن معاني الغلو الفاحشة والعلم بالغيب وما الى ذلك ، من مقولات الغلاة المتطرفين ، ويجدر بنا ان نتوقف قليلا عند الحركة المغالية (النميرية) التي كانت قد نشأت حول الإمام علي بن محمد الهادي ، على يدي محمد بن نصير النميري، الذي كان من أقطاب الشيعة في البصرة . وكان هذا قد رفع الإمام الهادي الى درجة الألوهية ، وادعى لنفسه مرتبة النبوة والرسالة من قبل الإمام ، وكان يقول بالتناسخ .[402]

---

[402] - الحلي، الخلاصة، ص 273 ، والشيخ الأقدم ابن أبي الثلج البغدادي، تاريخ الأئمة، ص 20 ، والطوسي، الغيبة، ص 2444 ، والأشعري القمي، المقالات والفرق، ص 101 ، والمجلسي، بحار الأنوار، ج 51، ص 367

وقد التف هذا الغالي (النميري) بعد وفاة الإمام الهادي ، حول ابنه الامام الحسن العسكري ، وكان بعد وفاته من ابـرز القـائلين بوجود (ولد) له في السر ، هو : (محمـد بن الحسـن العسـكري) وقد ادعى البابية و(النيابة الخاصة) عنه ، ثم ادعى النبوة وأورثهـا الى عدد من أصحابه .

والى جانب النميرية كـان يوجـد في تلـك الأيـام تيـار آخـر من الغلـو والغلاة في صـفوف الشـيعة الاماميـة ، هم : (المخمسـة) الذين يعتقدون ، كما يقول سعد بن عبد الله الاشـعري القمي :" ان الله عز وجل هو محمد ، وانه ظهر في خمس صور مختلفة .. ظهر في صورة محمد وعلي وفاطمـة والحسـن والحسـين ، وان أربعة من هـذه الصـور الخمسـة تلتبس لا حقيقـة لهـا ، والمعـنى شخص محمد وصورته لأنه أول شخص ظهر وأول نـاطق نطـق ، لم يزل بين خلقه موجودا بذاته يتكون في أي صورة شاء ، يظهـر نفسه لخلقه في صور شتى من صور الـذكران والإنـاث والشـيوخ والشباب والكهول والأطفال ، يظهر مرة والدا ومرة ولدا وما هـو بوالد ولا بمولود ، ويظهر في الزوج والزوجة ، وإنما اظهـر نفسـه بالإنسانية والبشرانية لكي يكـون لخلقـه بـه انس ولا يستوحشـوا ربهم.

" وان محمدا كان آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى لم يزل ظاهرا في العرب والعجم.. وانه كان يظهر نفسه لخلقـه في كـل الأدوار والدهور ، وانه تراءى لهم بالنورانية ، فدعاهم الى الإقـرار بوحدانيتـه فـأنكروه ، فـتراءى لهم من بـاب النبـوة فـأنكروه ، فـتراءى لهم من بـاب الإمامـة فقبلـوه ، فظـاهر اللـه عـز وجـل بالإمامة وباطنه الله الذي معناه محمد يدركه من كان من صفوته بالنورانية ، ومن لم يكن من صفوته بدرجة بالبشـرانية اللحمانيـة الدموية ، وهـو الامـام ...وان كـل من كـان من الأوائـل مثـل أبي الخطاب وبيان وصائد والمغيرة وحمزة وبزيع والسري ومحمد بن بشير، هم أنبياء أبواب بتغيير الجسم وتبديل الاسم ، وان المعـنى واحد ، وهو سلمان وهو الباب الرسول يظهر مـع محمـد في كـل صورة ظهر ، وهو رسول محمد متصل به ، ومحمد الرب" . [403]

ويقـول الاشـعري القمي :" انهم (لعنهم اللـه) اظهـروا دعـوة التشيع واستبطنوا المجوسية ، فزعموا ان سلمان (رحمـه اللـه) هو الرب ، وان محمدا داعٍ إليه ، وان سلمان لم يزل يظهر نفسه

---

[403] - الاشعري القمي ، المقالات والفرق، ص 58

لأهل كل دين . وذهبوا في جميع الأشياء مذهب المجوس" . وقد كان شيعة الكرخ في تلك الأيام من (المخمسة) وانه لا أحد يشك في ذلك . كما يقول الشيخ الطوسي . [404]

وكان شيخ الشيعة بالكرخ يوم ذاك :(احمد بن هلال العبرتائي) وهو من اعظم الغلاة - وقد اخرج الحسين بن روح النوبختي (النائب الثالث) توقيعا بلعنه بشدة والتبرؤ ممن لا يلعنه - وقد كان قطبا رئيسيا في عملية اختلاق نظرية (وجود ولد مخفي) للامام الحسن العسكري ، ومن اقرب المساعدين لعثمان بن سعيد العمري (النائب الأول) وقد أيده في دعوى (الوكالة عن المهدي) ثم اختلف مع ابنه محمد (النائب الثاني) وادعى النيابة لنفسه .

والى جانب أولئك الغلاة النميرية والمخمسة ، كان يوجد في صفوف الشيعة تلك الأيام صنف آخر من الغلاة هم (المفوضة) الذين كانوا يعتقدون:" ان الله أقام شخصا واحدا كاملا لا زيادة فيه ولا نقصان ، ففوض إليه التدبير والخلق ، فهو محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين وسائر الأئمة ، ومعناهم واحد ، والعدد يلبس ، وان هذا (الواحد الكامل) - أي محمد - هو الذي خلق السماوات والأرضين والجبال والإنس والجن والعالم بما فيه . [405]

وقد اضطر هؤلاء (المفوضة) بعد وفاة الامام الحسن العسكري الى افتراض (وجود ولد) له في السر ، لكي تستمر نظرية (الواحد الكامل) الذي يدبر الكون ويخلق ويرزق .. ولكن عامة الشيعة لم يكونوا يؤمنون بأفكارهم الغالية ، وقد حدث بين الفريقين نوع من التنازع والاختلاف ، وقاموا بالاحتكام الى محمد بن عثمان العمري ، باعتباره (نائبا عن صاحب الزمان) وطلبوا منه ان يحسم النزاع ، فأخرج لهم (توقيعا) يتضمن رفض نظرية (التفويض الكامل) ، ويؤكد تدخل الأئمة في السؤال من الله ان يخلق فيخلق ، أو يرزق فيرزق .[406] ولم يخلُ جواب العمري لهم ، في الواقع ، من درجة مخففة من القول بالتفويض ، وهو ما يدل على ارتباطه وارتباط القول بوجود (ابن الحسن) بالغلاة.

---

404 - الأشعري القمي، ص 62 ، والطوسي، الغيبة، ص 256
405 - الأشعري القمي، المقالات والفرق، ص 61
406 - الطوسي، الغيبة، ص 178

وهـذا مـا يؤكـده الحسـين بن روح النوبخـتي في حديثـه عن اختلاف الشيعة في ذلك الزمان حول مسألة التفـويض ، وذهابـه الى أبي طــاهر ابن بلال (أحــد أقطــاب النظريــة المهدويــة) ومناقشته في الموضوع ، وإخراجـه حـديثا عن أبي عبـد اللـه (ع) يذكر فيه:" ان الله إذا أراد أمرا عرضه على رسول الله ، ثم أمير المؤمنين، ثم الأئمة واحدا بعد واحـد .. الى ان ينتهي الى صـاحب الزمان ، ثم يخـرج الى الـدنيا . وإذا أراد الملائكـة ان يرفعـوا الى اللـه عـز وجـل عملا عـرض على صـاحب الزمـان ثم يخـرج على واحد واحد من الأئمة الى ان يعرض على رسـول اللـه ثم يعـرض على الله عز وجل ، فما نـزل من اللـه فعلى أيـديهم ، ومـا عـرج الى الله فعلى أيـديهم ، ومـا اسـتغنوا عن اللـه عـز وجـل طرفـة عين" .[407] وهو ما يوحي بمشاركة الأئمة مع الله في إدارة الكـون ، وهذا نوع من (التفويض) غير الكامل .

وكان محمـد بن الحسـن الصـفار القمي ، الـذي كـان معاصـرا لفـترة الحـيرة ، وكـان أحـد أقطـاب (النظريـة المهدويـة الاثـني عشـرية)، يعتقـد بنـوع من التفـويض للأئمـة في التشـريع وإدارة الحياة ، وهو يقول:" وجدت في كتاب قـديم في نـوادر محمـد بن سنان ، قال قال أبو عبد الله :" لا والله مـا فـوّض اللـه الى أحـد من خلقه ، إلا الى رسول الله والأئمة ، فقال:(انـا أنزلنـا الكتـاب لتحكم بين الناس بما أراك الله) وهي جارية في الأوصياء" . [408]

ومن الواضح ان هـذه النظريـة تحتـوي على درجـة من الغلـو ، وان لم تصـل الى درجـة القـول بـالتفويض في الخلـق والـرزق و إدارة الكون . وقـد كـان الصـفار يتطـرف في الغلـو في الأئمـة ، يشــهد على ذلــك كتابــه (بصــائر الــدرجات) المليء بالأفكــار المرفوضة من الشيعة اليوم .

وكـان بعض أهـل نيسـابور من الشـيعة على درجـة كبـيرة من الغلو والارتفاع والتفويض ، كما يقول الكشي في ترجمـة الفضـل بن شاذان . وعموما فقد كـان الغلـو بمختلـف مدارسـه ومذاهبـه ينتشر بين الشيعة في منتصف القرن الثالث الهجري ، كما يقـول السيد هبة الدين الشهرستاني في مقدمته لكتاب الشيخ المفيـد : (أوائل المقالات) .

---

[407] - النوبختي، فرق الشيعة، ص 238
[408] - الصفار ، بصائر الدرجات، ص 376

وقد لعب جعفر بن محمد بن مالك الفزاري ، وآدم البلخي ، واحمد الرازي ، والحسين بن حمدان الخصيبي، دورا كبيرا في نشر نظرية (وجود الامام المهدي) ونسج الروايات الأسطورية حول مولده واللقاء به ، وكان هؤلاء من أعاظم الغلاة الذين يجمع علماء الحديث الشيعة على رفض أحاديثهم.

المبحث الخامس

دور الإعلام في تكريس الفرضية المهدوية

السؤال الذي يفرض نفسه الآن .. بعد وضوح تأليف نظرية (المهدي محمد بن الحسن العسكري) من قبل الغلاة والمتكلمين وأدعياء النيابة المستفيدين ، وتبين عدم وجود رصيد لها من الواقع والحقيقة ، وأنها لم تكن إلا فرضية وهمية اخترعت في عصر (الحيرة) التي أعقبت وفاة الامام العسكري دون ولد يرثه في الإمامة .. السؤال هو: كيف إذاً شقت هذه النظرية أو الفرضية طريقها الى عقول وقلوب ملايين المسلمين من الشيعة الامامية الاثني عشرية ، وغيرهم عبر التاريخ؟ وكيف أصبحت عقيدة راسخة وقوية ؟

في الإجابة على هذا السؤال لا بد ان نقول: أولاً : إن الشيعة الأوائل في عصر الأئمة من أهل البيت (ع) لم يعرفوا هذه النظرية بتاتاً ، كما لم يعرفها الشيعة بعد وفاة الامام الحسن العسكري مباشرة ، وقد احتار الامامية في أمرهم عندما لم يجدوا له خلفا ظاهرا ، وكان المهدي مجهولاً لديهم بالمرة، وغامضا غير محدد في شخص معين ، وقد قالت فرقة واحدة من أربعة عشر فرقة بنظرية وجود ولد للامام العسكري ، مما يعني ان الشيعة لم يجمعوا على هذه النظرية في فترة (الغيبة الصغرى) وربما مال إليها بعض الشيعة الامامية .

ثم .. ان عامة الشيعة تراجعوا عن هذا القول بعد حوالي خمسين عاما ، وقد سجل الكليني في (الكافي) والخصيبي في

(الهداية الكبرى) ظـاهرة الـتراجع عن القـول بوجـود الولـد عنـد قوم من أهل المدينة من الطالبيين .[409]

وقال تلميذ الكليني : محمـد بن أبي زينب النعمـاني (تـوفي سـنة 340 هــ) :" انـا رأينـا طوائـف من العصـابة المنسـوبة الى التشـيع ممن يقـول بالإمامــة .. قــد تفــرقت كلمتهــا وتشــعبت مذاهبها.. وشكوا جميعا إلا القليل في إمام زمـانهم وولي أمـرهم وحجة ربهم ... فلم يزل الشك والارتيـاب قـادحين في قلـوبهم... حتى أداهم ذلـك الى التيـه والحـيرة والعمى والضـلالة ، ولم يبـقَ منهم إلا القليـل الـنزر" . وقـال في موضـع آخـر من كتابـه:" أي حيرة اعظم من هذه الحيرة التي أخـرجت من هـذا الأمـر الخلـق الكثير والجم الغفير؟.. ولم يبقَ ممن كان فيـه إلا الـنزر اليسـير ، وذلك لشك الناس" .[410]

وروى النعماني مجموعة من الروايات التي تتحـدث عن وقـوع الحيرة بعد الغيبة ، ووصف حالـة الحـيرة الـتي عمت الشـيعة في ذلك الوقت ، فقـال:" ان الجمهـور منهم يقـول في (الخلـف) أين هـو؟ وأنى يكـون هـذا ؟ والى مـتى يغيب؟ وكم يعيش؟ هـذا ولـه الآن نيّف وثمانون سنة ؟ فمنهم من يذهب الى انـه ميت ، ومنهم من ينكر ولادته ويجحد وجوده بواحدة ، ويستهزئ بالمصـدق بـه ، ومنهم من يستبعد المدة ويسـتطيل الأمـد" . وقـال:" شـذّ الأكـثر ممن كـان متقـدما وطـار يمينـا وشـمالا .. وتفـرق النـاس عنـه (الخلـف) ويأسـهم منـه واسـتهزائهم بالمعتقـد لإمامتـه ونسـبتهم إياهم الى العجز . ووصف القائلين بوجود (الامام الثاني عشر) ب : · الشـرذمة المنفـردة عن هـذا الخلـق الكثـير المـدعين للتشـيع الـذين تفـرقت بهم الأهـواء.. واستوحشـوا من التصـديق بوجـود الامام مع فقدان شخصه وطول غيبته" .[411]

كما أشار الشيخ محمد بن علي بن بابويه الصدوق (توفي سـنة 381 هـ) في مقدمة كتابه :(إكمـال الـدين وإتمـام النعمـة) الى حالـة الحـيرة الـتي عصـفت بالشـيعة ، وقـال:" وجـدت اكـثر المختلفين اليّ من الشيعة قـد حـيرتهم الغيبـة ودخلت عليهم في

---

409 - الكيـني، الكـافي، ج1 ، ص 518 ، والخصـيبي، الهدايـة الكـبرى، ص 370

410 - النعماني، الغيبة، ص 20 و 186

411 - المصدر ، ص 157 و113

أمــر القــائم الشــبهة وعــدلوا عن طريــق التســليم الى الآراء والمقاييس.. وورد إلينا شيخ من بخـارى من أهـل الفضـل والعلم والنباهة ببلد قم ، فبينا هو يحدثني ذات يوم إذ ذكـر لي عن رجـل قد لقيه ببخارى من كبار الفلاسفة والمنطقـيين كلامـا في القـائم قد حيره وشككه في أمره ". " وقد كلمني رجـل بمدينـة السـلام (بغداد) فقال لي: إن الغيبة قد طالت، والحيرة قد اشتدت ، وقــد رجع كثير عن القول بالإمامة لطول الأمد".[412]

وقد ذكر الكليني والنعمـاني والصـدوق مجموعـة من الروايـات التي تؤكد وقوع الحيرة بعد غيبـة صـاحب الأمـر واختلاف الشـيعة وتشتتهم في ذلك العصر ، واتهام بعضهم بعضا بالكـذب والكفـر ، والتفل في وجوههم ولعنهم ، وانكفاء الشيعة كمـا تكفـأ السـفينة في أمواج البحر ، وتكسّرهم كتكسـر الزجـاج أو الفخـار، وقـولهم بموت صاحب الأمر، وارتدادهم وعدم البقاء على أمـره إلا يسـيرا منهم .[413]

وبغض النظـــر عن مناقشـــة هـــذه الروايـــات المختلقـــة أو المستوردة من الفرق الشيعية والحركات المهدوية القديمة ، فان نقــل الكليــني والنعمــاني والخصــيبي والصــدوق وغــيرهم لهــا ، وتطبيقهم لها على الشيعة في القرن الرابع ، يكشـف عن تراجـع عامـة الشـيعة، في ذلـك الـوقت، عن القـول بوجـود (محمـد بن الحسن العسكري) بعد قول فئة منهم بذلك فترة من الزمن.

وإذا كانت النظرية قد أصبحت في وقت لاحـق عنـد قسـم من الشيعة الامامية وهم (الاثـني عشـرية) أشـبه بالعقيـدة الراسـخة الـتي لا تقبـل الجـدل أو النقـاش ، فليس ذلـك إلا بسـبب عمليـة إعلامية كبرى قام بها أدعياء النيابة وأعوانهم ، وامتدت آثارها الى اليوم .

كانت الحملة الإعلامية تتألف من عدة أمور ، هي :

1 - التلفيق الروائي ، واختلاق الأحاديث المختلفة حول (الاثني عشرية والمهدي) . وقد مرّ عرضـها ونقـدها في الفصـل الخـاص بالأدلة النقلية حول إثبات المهدي .

---

412 - الصدوق:إكمال الدين، ص 2 و 16

413 - الكليـني، الكـافي، ج 1، ص 336 و338 و340 ، والنعمـاني، الغيبـة، ص 89 و206 و208 ، وال صدوق، إكمـال الـدين، ص 408 وعيـون أخبـار الرضا، ص 68

2 - الإرهـاب الإعلامي ، وقـد اسـتخدم أصـحاب النظريـة ، بالإضافة الى ذلك ، قسما آخر من الروايات الهجوميـة الـتي تتهم من لا يؤمن بالمهدي المفـترض :(محمـد بن الحسـن العسـكري) بالكفر والردة والفسق والضلال ، والتي تساوي بين إنكار (وجود) المهدي وإنكار الرسول الأعظم ، وتكذيبه والجحد بنبوته . [414]

واعتمدت الحملة الإعلامية على بعض الأحـاديث القديمـة الـتي تعتبر من يموت ولا يعرف إمام زمانه كأنه قد مات ميتة جاهليـة ، وفسرتها بمعرفة (صاحب الزمان وإمام العصر المهدي المنتظـر) واعتبرت كل من لم يعرفه ومن لم يؤمن بـه بأنـه سـوف يمـوت ميتة جاهلية ، وذلك بـالرغم من عـدم وجـود طريـق الى معرفتـه والالتفاف حوله ونصرته والانقياد إليه. حيث قال محمد بن عثمان العمري (النائب الثاني) : انه سمع الحسن العسكري يقـول:" من مات ولم يعرف ابني مات ميتة جاهلية ".[415]

وذهب العمـري شـأواً بعيـدا جـدا في هجومـه الإعلامي ، حيث اعتــبر المشــككين بوجــود المهــدي مفــارقين للــدين ومرتــابين ومعاندين للحق ، وأخرج (توقيعا) باسم المهدي يندد بمن لا يؤمن به ويهدده بالويل الوخيم . وقد ساعد الشيخ أبـو عبـد اللـه جعفـر الحميري القمي ، وسعد بن عبد الله الاشـعري القمي على نشـر تلك الرسالة في صفوف الشيعة.

3 - الأدعية والزيارات ، وربما كـانت الأدعيـة والزيـارات أهم عمــل إعلامي ســاهم في ترســيخ نظريــة (المهــدي محمــد بن الحسن) بين الشيعة ، وذلك لما لهذه الأدعيـة والزيـارات من دور حيـوي مـؤثر في حيـاة النـاس ، حيث يـدأب الشـيعة على قـراءة الأدعيــة عقيب كــل صــلاة وفي جميــع المناســبات الدينيــة ، ويحرصون على زيارة قبور الأئمة دائما وفي الجمعات.

والأدعية والزيارات المتداولة بين الشيعة حول المهدي والقـائم تنقسم الى قسمين :

أ - أدعية عامـة وغـير محـددة بمحمـد بن الحسـن العسـكري ، وإنما تدور حول القائم أو المهدي المطلق ، كدعاء صاحب الأمر ، أو الــدعاء في غيبــة الامــام ، وهي مرويــة عن الأئمــة الســابقين

[414] - الصدوق، إكمال الدين، ص 338 و361 و409 – 410 و 412 - 413

[415] - المصدر نفسه.

كالباقر والصادق والكاظم والرضا ، مما ينسجم مع العمومية التي كانت تلف موضوع المهدي نفسه وعدم تحديد هويته في زمن الأئمة ، الأمر الذي بحثناه في الفصول الماضية ، وهو ما يوحي بأن هذه الأدعية والزيارات مستوردة من التراث الشيعي القديم ، أو الفرق الشيعية المختلفة ، كالواقفية التي كانت تقول بمهدوية الامام الكاظم ، وقد طبق الشيعة المتأخرون تلك الأدعية والزيارات على المهدي (محمد بن الحسن) الذي افترضوا وجوده ، حتى لم يعد لها من مفهوم سوى هذا (الامام المهدي) ، ولم يعد أحد ينتبه الى عمومية الروايات وعدم تحديد المصداق الخاص بها .

ب - أدعية خاصة محددة بمحمد بن الحسن العسكري ، كأدعية شهر رمضان ودعاء الافتتاح والاختتام واليوم الثالث عشر منه ، ودعاء العهد والندبة ، والزيارات المختلفة لمراقد أهل البيت (ع) وزيارة سرداب الغيبة في سامراء. وهي أدعية وزيارات مؤلفة بصورة مستقلة ، أو ملفقة من مجموعة روايات ، أو أدعية عامة مضاف إليها اسم المهدي .

ومما يميز هذه الأدعية والزيارات التي تتحدث عن المهدي وتذكر اسمه بالتحديد ، بعد ان تسرد أسماء الأئمة السابقين واحدا واحدا ، أنها تخلو من ذكر السند ، وتعتمد على الإرسال التام ، وهي صادرة عن عثمان بن سعيد العمري (النائب الأول) أو ابنه محمد بن عثمان العمري (النائب الثاني) أو الحسين بن روح النوبختي (النائب الثالث) أو محمد بن جعفر الحميري الذي كان أحد مساعدي العمري في مدينة قم .

وقد روى السيد ابن طاووس في (مهج الدعوات) دعاء يقول انه يصلح لأيام الغيبة ، يقول انه رأى في المنام من يعلمه إياه ![416] وروى المجلسي بالإسناد الى علي بن محمد بن عبد الرحمن البشري ، قال : دخلت مسجد صعصعة (في الكوفة) وإذا برجل عليه ثياب الحجاز وعمته كعمتهم قاعد يدعو بهذا الدعاء :" اللهم يا ذا المنن السابغة..." ثم سجد طويلا وقام وركب الراحلة وذهب ، فقال صاحبي : هو والله صاحب الزمان .[417]

---

[416] - راجع: محمد تقي الموسوي الاصفهاني، مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم، ص 101

4 - الطقوس والقصص المرتبطة برؤية المهدي

وبالإضافة الى الأدعية والزيارات الواردة حول (المهدي) هناك بعض الطقوس المعتادة التي تلعب هي الأخرى دورا إعلاميا مهما في تكريس الاعتقاد بنظرية (وجود المهدي) وتحويلها الى "حقيقة راسخة" في أذهان الشيعة ، وذلك مثلا ، كالقيام و أداء التحية والانحناء عند سماع اسم (القائم) وهو ما يفعله عامة الشيعة المتدينين اليوم ومنذ زمن طويل ، الأمر الذي يبعث على الاحترام والخشوع والرهبة والتحسس بوجود المهدي ، والتعامل معه كأنه حي وحاضر في الأوساط.

وتلعب القصص الكثيرة التي يتداولها العامة والخاصة من الشيعة ، حول رؤية بعض الناس أو العلماء للمهدي ، ولقائهم به ، وهي قصص يسرد المجلسي كمية كبيرة منها في موسوعته : (بحار الأنوار / الجزء 51) .. تلعب دورا كبيرا أيضا في تعزيز نظرية المهدي ، وتحويلها الى قصة قريبة من الواقع ، خاصة وانها تروى عن مجموعة من الزهاد والعباد والعلماء البارزين .

وهناك مسجد شهير في الكوفة في العراق يعرف بمسجد السهلة يشتهر بأنه مسجد الامام المهدي ، وان من يدأب على الصلاة فيه أربعين ليلة أربعاء فانه يحضى برؤية المهدي ، وتوجد بعض المساجد هنا وهناك في العراق تعرف بـ (مقامات المهدي) حيث يقال انه قد شوهد (الامام) في تلك الأماكن وهو يصلي فبني فيها مساجد ، كما هو الحال في مسجد جمكران في قم ، الذي اشتهر بعد قيام الجمهورية الإسلامية في إيران. ان هذه المساجد أو المقامات تلعب هي الأخرى دورا إعلاميا في تعزيز الإيمان بالنظرية المهدوية (الاثني عشرية) وتحويلها من فرضية الى واقع مادي يعيشه الناس وينظرون إليه بأعينهم.

وهكذا يلعب الإعلام المهدوي بكل فقراته وفروعه دورا كبيرا في تعزيز نظرية " وجود الامام المهدي" وترسيخها بين أوساط الشيعة ، وتحويلها من فرضية وهمية الى " حقيقة بديهية" لا تقبل الجدال !

---

[417] - الكاشاني، الصحيفة المهدية، ص 138

ملخص الجزء الثالث

تطور الفكر السياسي الشيعي في (عصر الغيبة)

نظرية التقية والانتظار

دخل الشيعة الامامية الاثني عشرية ، بعد قولهم بوجـود الامـام الثاني عشر "محمـد بن الحسـن العسـكري" وغيبتـه، في مرحلـة أسموها (الانتظار) وكانوا يعنون به: انتظار الإمام الغـائب (الثـاني عشر). وقد اتسمت تلـك المرحلـة بالسـلبية السياسـية المطلقـة حيث حرموا الثورة وإقامة الدولة إلا بعد ظهـور الإمـام المعصـوم المنصوص عليه من الله، وعطلوا كل ما يتعلق بالدولة من أمور، كجباية الخمس والزكاة وإقامة الحدود ، وصلاة الجمعة، ورفضـوا حتى نظرية ولاية الفقيه باعتبارها تفتقد الى شـروط الإمامـة من العصمة والنص والسلالة العلوية الحسينية.[418]

فقـد قـال الشـيخ محمـد بن أبى زينب النعمـاني (تـوفي سـنة 340هـ) :" ان أمـر الوصـية والإمامـة بعهـد من اللـه تعـالى وباختياره ، لا من خلقه ولا باختيارهم ، فمن اختار غير مختار اللـه وخالف أمر الله سبحانه ، وَرَدَ مورد الظالمين والمنافقين الحالّين

[418] - لمزيد من التفصيل راجع: الفصل الأول من الجزء الثالث من كتابنا تطور الفكر السياسي الشيعي، والمنشور في الطبعات السابقة، والذي قمنا باختصاره هنا

في ناره" . وأورد سبع عشرة رواية حول وجوب التقية والانتظار وتحريم الخروج في (عصر الغيبة).[419]

وقال الشيخ الصدوق (توفي سنة 381 هـ) :" التقية فريضة واجبة علينا في دولة الظالمين ، فمن تركها فقد خالف دين الامامية وفارقه .. والتقية واجبة لا يجوز تركها الى ان يخرج القائم ، فمن تركها فقد دخل في نهي الله عز وجل ونهي رسوله والأئمة (ع). ويجب الاعتقاد ان حجة الله في أرضه وخليفته على عباده في زماننا هذا هو القائم المنتظر ابن الحسن.. ويجب ان يعتقد انه لا يجوز ان يكون القائم غيره بقي في غيبته ما بقي ، ولو بقي عمر الدنيا لم يكن القائم غيره ".[420]

و من هنا فقد رفض المتكلمون الاماميون الأوائل دعوة المعتزلة والشيعة الزيدية، الى تبني نظرية (ولاية الفقيه) في ظل (الغيبة الكبرى) ، استنادا الى فقدان الفقيه للعصمة والتعيين

---

419 - النعماني، الغيبة، ص 57 و 201 وكان من تلك الروايات التي اعتمد عليها محمد بن أبى زينب النعماني في تنظيره لفكرة الانتظار ، هي ما رواه عن أبى جعفر الباقر (ع) انه قال:

- الزم الأرض ، لا تحركن يدك ولا رجلك أبدا حتى ترى علامات اذكرها لك.. وإياك وشذاذ آل محمد ، فان لآل محمد وعلي راية ولغيرهم رايات ، فالزم الأرض ولا تتبع منهم رجلا أبدا حتى ترى رجلا من ولد الحسين معه عهد النبي ورايته وسلاحه.. فالزم هؤلاء أبدا وإياك ومن ذكرت لك .

- أوصيك بتقوى الله وان تلزم بيتك وتقعد في دهماء هؤلاء الناس ، وإياك والخوارج منا فانهم ليسوا على شيء ولا الى شيء.

- انظروا الى أهل بيت نبيكم فان لبدوا فالبدوا ، وان استصرخوكم فانصروهم ، تؤجروا ، ولا تستبقوهم فتصرعكم البلية .

- كل راية ترفع قبل راية المهدي فصاحبها طاغوت يعبد من دون الله .

- كل بيعة قبل ظهور القائم فانها بيعة كفر ونفاق وخديعة.

- والله لا يخرج أحد منا قبل خروج القائم إلا كان مثله كمثل فرخ طار من وكره قبل ان يستوي جناحاه فأخذه الصبيان فعبثوا به.

420 - الصدوق، الهداية، ص 47

من اللـه ، وتعـارض نظريـة (ولايـة الفقيـه) مـع نظريـة (الإمامـة الإلهية).[421]

وعلى رغم أن الشيعة الاماميـة الاثـني عشـرية كـانوا يعيشـون في القرنين الرابع والخامس، في ظل الدولـة البويهيـة الشـيعية، إلا انهم لم يستطيعوا إنتاج نظرية عصرية سياسية تلبي متطلبات الحياة ، وأصروا على تكريس نظرية (الانتظار) السلبية وترديـدها في مختلف كتبهم الفكرية والفقهية. وحتى عنـدما قـامت الدولـة الصفوية في القرن العاشر الهجري ، فان قسما من الشيعة ظـل يتمسك بموقف الانتظار السلبي للإمام الغـائب المنتظـر، كلازمـة من لوازم نظرية (الإمامة الإلهية)، ويرفض الانخـراط في الدولـة الصفوية، بالرغم من تأييد الشيخ علي الكر كي بنـاء على نظريـة (نيابة الفقهاء العامة عن الإمام الغائب) والـتي أجـاز لنفسـه على ضوئها إضفاء نوع من الشرعية على الدولـة الصـفوية. حيث كـان ذلك القسم يرى في المحاولة الصفوية - الكركية انقلابا على أهم أسس النظرية الاماميـة ، من حيث اشـتراط العصـمة والنص في الإمام (الرئيس) واستلابا واغتصابا لدور الإمام المعصوم (المهدي المنتظر الغائب).[422]

وتجلى ذلـك الموقـف السـلبي من إقامـة الدولـة في (عصـر الغيبة) في القرن الثالث عشر الهجـري أيضـا في موقـف الشـيخ محمد حسن النجفي صاحب (جواهر الكلام)، والذي عاصر الأيـام الأخيرة للدولة العثمانية، ولكنه لم يفكر في الثورة عليهـا وإقامـة دولة شيعية خاصة في العراق، رغم إيمانـه بنظريـة ولايـة الفقيـه الى درجة كبيرة، نظرا لأنه كان يؤمن بعدم إمكانية إقامـة الدولـة في عصر (الغيبة) وإلا لظهرت دولة الحق وخرج الإمـام المهـدي، الـذي لم يختـف إلا بسـبب الخـوف على نفسـه. ولـذلك توصـل

---

421 - انظر المبحث الثـاني من الفصـل الأول من الجـزء الثـالث من كتـاب: تطور الفكر السياسي الشيعي، حول الموقف السلبي من الاجتهـاد وولايـة الفقيه.

422 - وكان يقود ذلك التيار الشـيخ إبـراهيم القطيفي ، الـذي أفـتي بحرمـة صلاة الجمعة خلافا للشيخ الكركي الذي أفتى بإباحتها. و ألف رسالة خاصة في حرمة الخراج في الرد على الشيخ الكركي ، اسماها :(السراج الوهاج لدفع عجاج قاطعة اللجاج) وأيده في ذلـك المقـدس الاردبيلي الـذي كتب (تعليقات على خراجية المحقق الثاني) .

النجفي الى ضرورة الانتظار ، وعدم جواز إقامة الدولة الإسلامية في عصر الغيبة، بل عدم إمكانيتها. [423]

وقد انعكست نظرية الانتظار السلبي للإمام الغائب (الثاني عشر) على موقف الشيعة الامامية الاثني عشرية من :(قانون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) مما أدى إلى نشوء ظاهرة الانسحاب السياسي عند قطاع واسع من الشيعة الامامية ، وضعف المشاركة الشعبية في التغيير الاجتماعي ، وقد تمثل ذلك بصورة جلية في إحجام عدد من الفقهاء الذين تسلموا زمام المرجعية الشيعية العامة عن خوض العمل السياسي أو التصدي للظلمة والطواغيت .[424]

كما انعكست نظرية (الانتظار) التي التزم بها أولئك العلماء ، أيضا ، على مسألة إقامة الحدود في (عصر الغيبة) ،حيث اشترطوا إقامتها بظهور الإمام المهدي الغائب.[425]

وكاد إجماع الشيعة الامامية الاثني عشرية ينعقد عبر التاريخ على حرمة الجهاد الابتدائي في (عصر الغيبة). فقد اشترط الشيخ الطوسي في :(المبسوط) في وجوب الجهاد : ظهور الإمام العادل الذي لا يجوز لهم القتال إلا بأمره ، ولا يسوغ لهم الجهاد دونه ، أو حضور من نصبه الإمام للقيام بأمر المسلمين ، وقال بعدم جواز مجاهدة العدو متى لم يكن الإمام ظاهرا ولا من نصبه الإمام حاضرا ، وقال: "ان الجهاد مع أئمة الجور أو من غير

[423] - حيث قال في كتاب القضاء من (جواهر الكلام):" لم يأذنوا (الأئمة) لهم (للفقهاء) في زمن الغيبة ببعض الأمور التي يعلمون عدم حاجتهم إليها كجهاد الدعوة المحتاج الى سلطان وجيوش وأمراء ونحو ذلك مما يعلمون قصور اليد فيها عن ذلك ونحوه ، وإلا ظهرت دولة الحق".

[424] - راجع المبحث الثالث من الفصل الأول من الجزء الثالث من هذا الكتاب، الموقف من عملية الإصلاح الاجتماعي

[425] - راجع المبحث الرابع من الفصل الأول من الجزء الثالث من هذا الكتاب، الموقف من إقامة الحدود. وقد قال الشيخ الطوسي في :(النهاية ص 284) :" أما إقامة الحدود .. فليس يجوز لأحد إقامتها إلا لسلطان الزمان المنصوب من قبل الله تعالى أو من نصبه الإمام لإقامتها ، ولا يجوز لأحد سواهما إقامتها على حال" .

إمـام خطـأ يسـتحق فاعلـه بـه الإثم ، وان أصـاب لم يـؤجر وان أصيب كان مأثوما". واسـتثنى من ذلـك حالـة الـدفاع عن النفس وعن حـوزة الإسـلام وجميـع المؤمـنين إذا دهم المسـلمين عـدو يخاف منه على بيضة الإسلام.[426]

وإضافة الى تلك الجوانب السياسية التي علقها الفقهـاء الـذين آمنـوا بنظريـة (الانتظـار) في عصـر الغيبـة ، فقـد علقـوا أيضـا الجـوانب الاقتصـادية الـتي ترتبـط بالدولـة ، كالزكـاة والخمس والأنفال والخـراج ومـا شـابه.. إلا انهم لم يعطلـوا قـانون الزكـاة بالمرة ، ولكنهم عطلوا بعض موارد صـرفها ، وهي المـوارد الـتي تتعلـق بشـؤون الدولـة و (الإمـام) فقـد أجـازوا لمن وجبت عليـه الزكاة ان يتولى إخراجها من ماله وتوزيعهـا بنفسـه ، وذلـك عنـد فقد الإمام والنائبين عنه ، وتعذر إيصـالها اليـه . واسـقطوا سـهم المؤلفة قلوبهم وسهم (سبيل الله) والعاملين عليها من مصـارف الزكاة .[427]

ومع سقوط نظرية الدولة في الفكر السياسي الشيعي الاثني عشري ، وتحريم إقامتهـا في (عصـر الغيبـة) تعامـل الفقهـاء مـع موضـوع الزكـاة من ثلاثـة جـوانب ، فـأوجبوا الزكـاة من ناحيـة ، وأمروا المكلفين بإخراجها وتوزيعها بأنفسهم لعـدم وجـود الإمـام الشـرعي ، من ناحيـة ثانيـة ، واسـقطوا حصـص العـاملين عليهـا والمؤلفة قلوبهم والجهاد ، من ناحية أخرى .

هكذا فعل ابن حمزة في (الوسيلة الى نيـل الفضـيلة)، وهكـذا قال ابن إدريس في (السرائر) وهكذا أفـتى المحقـق الحلي نجم الدين جعفر بن الحسن في (شرائع الإسلام) و (المختصر النافع) والمقداد بن عبد الله السيوري الحلي في :(كنز العرفان في فقه القرآن).

وبالرغم من رعاية المحقق الكركي للدولة الصـفوية الشـيعية ، وإعطاء الشاه (طهماسب) الإجازة في الحكم نيابة عنـه باعتبـاره نائبا عن الإمام المهدي ، إلا انه التزم بنظرية :(التقيـة والانتظـار)

[426] - الطوسـي، المبسـوط، ص 281، لمزيـد من التفصـيل راجـع المبحث الخامس من الفصل الأول من الجزء الثالث من هذا الكتاب، المنشـور في طبعات أخرى.

[427] - لمزيد من التفصيل راجع المبحث السادس من الفصل الأول من الجزء الثالث من هذا الكتاب، الموقف من الزكاة

واسقط في (جامع المقاصد) سهم المؤلفة قلوبهم والساعي والغازي حال الغيبة ، إلا مع الحاجة الى الجهاد.

أما في موضوع الأنفال التي ينص القرآن الكريم على أنها لله وللرسول، فيعتقد الشيعة الامامية أنها للإمام القائم مقامه من بعده، خالصة له كما كانت خالصة للرسول (ص) في حياته ، ولا يحق لأحد ان يعمل في شيء من الأنفال إلا بأذن الإمام العادل ، فمن عمل فيها بأذنه فله أربعة أخماس المستفاد منها وللإمام الخمس. ولما كان (الإمام العادل) في المصطلح الامامي يعني : (الإمام المعصوم المعين من قبل الله تعالى) وانه منذ وفاة الإمام الحسن العسكري سنة 260 هـ هو (الإمام الثاني عشر المهدي محمد بن الحسن العسكري) الذي ولد سنة 255 هـ وغاب بعد ذلك الى اليوم ، فانه يصبح : المالك الحقيقي للأنفال ، وكذلك المالك الحقيقي للخمس، وهو قانون خاص غير الزكاة يفرضه الشيعة على المغانم والأرباح أيضا، ويعتقدون ان عليهم تقديمه لله وللرسول وللإمام ولليتامى والمساكين وأبناء السبيل من بني هاشم ، وان سهم الله والرسول وذي القربى يجب تقديمه للإمام (الذي يمثل ذوي القربى) والذي هو اليوم (الإمام المهدي المنتظر) كما يجب إعطاؤه الأسهم الثلاثة الأخرى: اسهم اليتامى والمساكين وأبناء السبيل ، لكي يوزعها على الأصناف الثلاثة من بني هاشم . [428]

وقد أدى الالتزام بنظرية (الانتظار) الى الوقوع في أزمة حادة في موضوع الخمس والأنفال في (عصر الغيبة) ، فمن جهة : ان الإمام المهدي هو الشخص الوحيد صاحب الخمس والأنفال ، والذي يحق له استلامها وتوزيعها ، ومن جهة أخرى : لا سبيل الى الوصول اليه لأداء حقوقه ، كما لا توجد أية نصوص منه في مسالة توزيعها والتصرف فيها في ظل الغيبة. ومن هنا فقد احتار الفقهاء في حكم الخمس والأنفال ، وقال الشيخ المفيد في (المقنعة):" قد اختلف قوم من أصحابنا في ذلك عند الغيبة ، وذهب كل فريق منهم الى مقال: فمنهم من يسقط فرض إخراجه ، لغيبة الإمام ، وما تقدم من الرخص فيه من الأخبار . و بعضهم يوجب كنزه ، ويتأول خبرا ورد :(ان الأرض تظهر كنوزها عند ظهور الإمام ، وانه (ع) إذا قام دلّه الله على الكنوز فيأخذها من كل مكان). وبعضهم يرى صلة الذرية وفقراء الشيعة على

---

[428] - راجع: الطوسي، النهاية ، ص 265

طريق الاستصحاب. وبعضهم يرى عزله لصاحب الأمر ، فان خشي إدراك الموت قبل ظهوره وصّى به الى من يثق به في عقله وديانته حتى يسلم الى الإمام ، ثم ان أدرك قيامه .. وإلا وصّى به الى من يقوم مقامه في الثقة والديانة، ثم على هذا الشرط الى ان يظهر إمام الزمان . وهذا القول عندي أوضح من جميع ما تقدم ، لأن الخمس حق لغائب لم يرسم فيه قبل غيبته رسما يجب الانتهاء اليه فوجب حفظه الى وقت إيابه ، والتمكن من إيصاله اليه أو وجود من انتقل بالحق اليه ، ويجري ذلك مجرى الزكاة التي يعدم عند حلولها مستحقها فلا يجب عند ذلك سقوطها ، ولا يحل التصرف فيها على حسب التصرف في الأملاك ، ويجب حفظها بالنفس أو الوصية الى من يقوم بإيصالها الى مستحقها من أهل الزكاة من الأصناف". وأضاف:"إنما اختلف أصحابنا في هذا الباب لعدم ما يلجأ اليه من صريح الألفاظ ". [429]

وقد أدت هذه الحيرة والغموض في موضوع الخمس في (عصر الغيبة) الى ظهور عدد من الأقوال الغريبة المنافية للعقل والقرآن من قبيل إسقاط الخمس أو دفنه في الأرض أو إلقائه في البحر أو عزله والوصية به الى يوم ظهور المهدي ، وهو الرأي الذي اختاره المفيد وفقهاء آخرون عبر التاريخ، بينما ذهب فقهاء آخرون الى تحليل الخمس وإباحته للشيعة في (زمان الغيبة)..[430]

وكانت صلاة الجمعة هي المعقل الأخير الذي تأثر بنظرية (الانتظار) وذلك في أعقاب سقوط الدولة البويهية في أواسط القرن الخامس الهجري. ولم يكن ليحدث في أمر هذه الصلاة العظيمة من جديد لولا التفسير الذي راج عند بعض الفقهاء الامامية، حول كلمة:"الإمام" أو "الإمام العادل" حيث حصروا معناها بـ :"الإمام المعصوم" . ولما كانوا يقولون : ان الإمام المعصوم غائب في هذا العصر ، وان من شروط إقامة صلاة الجمعة حضور الإمام أو إذنه ، فقد قال أولئك الفقهاء بافتقاد أحد شروط صلاة الجمعة ، وهو إذن الإمام المعصوم المهدي

---

[429] - المفيد، المقنعة، ص 46

[430]- لمزيد من التفصيل راجع المبحث السابع من الفصل الأول من الجزء الثالث من هذا الكتاب، المنشور في طبعات أخرى سابقة. وراجع أيضا: جواهر الكلام للشيخ محمد حسن النجفي، كتاب الخمس، ص 156 و 164

المنتظر. ونتيجة لذلك قالوا بحرمة أو بعدم وجوب صلاة الجمعة في (عصر الغيبة) . [431]

وقد سار كثير من الفقهاء اللاحقين بعد ذلك ، والى يومنا هذا ، على خطى أولئك العلماء الذين اشترطوا العدالة في الإمام وفسروا كلمة (الأمام العادل) بالإمام المعصوم (المهدي المنتظر) ، وانتهوا الى تعطيل صلاة الجمعة في عصر الغيبة ، انسجاما مع نظرية (الانتظار) التي تحرم إقامة الدولة الإسلامية لغير الأئمة المعصومين المعينين من قبل الله تعالى.

إذن فقد أدت نظرية (الانتظار للإمام المهدي الغائب) - كما رأينا في الصفحات السابقة - الى غيبة الشيعة الامامية أنفسهم عن مسرح الحياة السياسية ، وذلك بتحريم العمل السياسي وإقامة الدولة في (عصر الغيبة) ، مما أدى بكثير من العلماء الى التراجع عن الفكر الامامي المتصلب والتخلي عن نظرية الانتظار المتشددة ، وكانت أول خطوة في هذا الطريق هي فتح باب الاجتهاد.

وكان الاجتهاد محرما في الفكر الامامي الذي كان يحصر العمليات التشريعية الجديدة في (الأئمة المعصومين) . ولذلك فقد كانت المدرسة الامامية القديمة اخبارية تحرم الاجتهاد خارج النصوص ، وظلت هكذا الى فترة طويلة بعد (الغيبة) ، وكان منتهى العمل (الاجتهادي) يدور داخل النصوص والترجيح فيما بينها ومعرفة العام والخاص والمطلق والمقيد وما شابه ، وكانت فتاوى العلماء ، كعلي بن بابويه الصدوق ، مجرد نصوص روايات معتبرة لديهم .

ولكن بعد القول بغيبة (الأمام الثاني عشر) ومرور مدة طويلة على انقطاع الاتصال بـ :"مصدر العلم الإلهي" وحدوث مسائل جديدة تستوجب الإجابة عليها ، بدأ موقف الامامية من (الاجتهاد) يتطور .. ويتغير ، واضطروا لفتح باب الاجتهاد والقول بجواز القياس. وكان أول من قال بذلك في أواسط القرن الرابع هو الحسن بن عقيل العماني ، المعاصر للكليني . ثم جاء الشيخ المفيد في بداية القرن الخامس الهجري ليمارس (الاجتهاد) مع تلميذيه السيد المرتضى والشيخ الطوسي ويؤسسوا بذلك

---

[431] - لمزيد من التفصيل راجع المبحث الثامن من الفصل الأول من الجزء الثالث من هذا الكتاب، المنشور في طبعات أخرى سابقة.

المدرسة الأصولية التي شقت طريقها في الحياة منذ ذلك الحين.[432]

وقد كان فتح باب الاجتهاد خطوة كبيرة للخروج من الأزمة ، وملأ الفراغ التشريعي الذي حدث للشيعة الامامية بعد وفاة الأمام الحسن العسكري وغيبة أو افتقاد الأمام الثاني عشر ، وذلك في ظل القول بحصر العمل التشريعي بالأئمة المعصومين الذين يرتبطون بمصادر العلم الإلهي الحقيقي ، وعدم جواز اللجوء الى الطرق الظنية والإمارات كالقياس والاجتهاد وما شابه ، لمعرفة الأحكام الشرعية . وقد أدى فتح باب الاجتهاد بالشيعة الى التحرر من نظرية (التقية والانتظار) و إعادة النظر في كثير من أبواب الفقه المعطلة بسبب نظرية (الغيبة) ، و ملاحقة التطورات والإجابة على المسائل الحادثة ، كما أدى الى حدوث تطورات جذرية في الفكر الامامي والتخلي عن اشتراط العصمة والنص والسلالة العلوية الحسينية في الأمام ، والقول بجواز الحكومة لغير المعصوم أو وجوبها ، واستنباط نظرية (ولاية الفقيه) وغيرها من النظريات التي أعادت الشيعة الى مسرح الحياة.

والى جانب العمل العظيم الذي قام به الفقهاء الامامية في مطلع القرن الخامس الهجري ، وهو فتح باب الاجتهاد ، قاموا أيضا باستنباط نظرية أو فرضية كان لها دور كبير في مستقبل الفكر السياسي الامامي ، وهي:(فرضية النيابة الواقعية للفقهاء عن الأمام المهدي). خاصة في مجال القضاء، حيث فتحت هذه الفرضية نافذة تطورت مع مرور الزمان وأدت الى تخلي الامامية عن شرط العصمة والنص في الإمام ، وبالتالي التخلي عن الالتزام بنظرية (التقية والانتظار للامام الغائب) والقول بنظرية (ولاية الفقيه) .

ومن المعلوم ان القضاء يعتبر من أهم أعمال الدولة ، ولما كان الشيعة الامامية يحصرون الدولة الشرعية في الدولة التي يقودها (الأمام المعصوم المعين من قبل الله) فانهم قد حرموا ممارسة القضاء لغير الإمام المعصوم ، ولكنهم رووا عدة روايات تجيز للفقهاء الشيعة ممارسة ذلك بالنيابة عن (الأئمة المعصومين). مثل:

---

[432] - للمزيد من التفاصيل راجع المبحث الأول من الفصل الثاني من الجزء الثالث من هذا الكتاب، المنشور في طبعات أخرى سابقة.

1 - مقبولة عمر بن حنظلة عن الأمام الصادق (ع) التي يقول فيها :"انظروا الى رجل منكم قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فارضوا به حكما فإني قد جعلته عليكم حاكما".

2 - مشهورة أبى خديجة عن الأمام الصادق أيضا :"انظروا آلي رجل منكم يعلم شيئا من قضايانا فاجعلوه بينكم قاضيا فتحاكموا اليه" .

وقد تم استعارة هذه الأذونات العامة الصادرة في عهد حضور الأئمة ، والحكم بجواز ممارسة القضاء في عهد (الغيبة) للفقهاء من الشيعة ، وذلك للتشابه بين الحالتين وهو عدم سيطرة الأئمة وممارستهم للحكم ، وحل الشيعة الامامية بذلك مشكلة القضاء في عصر الغيبة.

وقد استنبط الشيخ المفيد من تلك الروايات :(فرضية النيابة الواقعية عن الأمام المهدي). فقال في كتاب:(المقنعة ، كتاب الحدود) :"ان الأئمة قد فوضوا اليهم (الفقهاء) النظر في القضاء مع الإمكان " وأضاف:" ومن تأمر على الناس من أهل الحق بتمكين ظالم له وكان أميرا من قبله في ظاهر الحال ، فإنما هو أمير في الحقيقة من قبل (صاحب الأمر) الذي سوغه ذلك وأذن له فيه دون المتغلب من أهل الضلال" .[433]

وهكذا قال فقهاء آخرون كالمقدس الاردبيلي (- 993 هـ) والشيخ جعفر كاشف الغطاء (- 1227 هـ) والشيخ محمد حسن النجفي (- 1266 هـ) بضرورة افتراض النيابة عن الإمام الثاني عشر الغائب لدى تولي القضاء، وكانت آراؤهم هذه في باب الحدود متميزة عن آرائهم في الأبواب الأخرى التي كانوا يلتزمون فيها بنظرية :(التقية والانتظار) ، وكانت وسيلة كبرى ساعدتهم على الخروج من سائر المرافق الأخرى ، وكانت " فرضية النيابة الحقيقية" التي اقترح بعض العلماء افتراضها عند إجبار الحاكم الظالم للفقيه أو لغيره على إقامة الحدود ، قاعدة أساسية لتطوير نظرية (النيابة العامة) و (ولاية الفقيه) فيما بعد.

وإذا كانت نظرية :(التقية والانتظار) تحرم الثورة والدولة في عصر الغيبة ، وتحدد - تبعا لذلك - قانون الأمر بالمعروف والنهي

433 - لمزيد من التفصيل راجع المبحث الثاني من الفصل الثاني من الجزء الثالث من هذا الكتاب، المنشور في طبعات سابقة.

عن المنكر بالمراتب الدنيا القلبية والإعلامية ، وترفض استخدام القوة المؤدية إلى الجرح أو القتل في غياب دولة (الإمام المهدي) الشرعية الوحيدة الممكنة .. فان الالتزام بهذه النظرية في عصر الغيبة ولمدة طويلة كان يبدو صعبا جدا ، ومن هنا فقد تخلى الشيعة عمليا وتدريجيا عن نظرية :(التقية والانتظار) واخذوا يبنون دولهم المستقلة هنا وهناك . وكان لا بد ان يطور الفقهاء قانون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويخففوا من الشروط التعجيزية التي تحول دون تنفيذه . وربما كان أول من حاول الخروج من كهف الغيبة في مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو السيد المرتضى الذي نقل عنه الطوسي في: (الاقتصاد) قوله بجواز ممارسة القتل والجرح في سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في عصر الغيبة بلا حاجة إلى استئذان الإمام.

وقد تبعه بعد ذلك حمزة بن عبد العزيز الديلمي (سلار) و محمد بن إدريس ، صاحب (السرائر) والعلامة الحلي ويحيى بن سعيد، والمقدس الاردبيلي ، والشيخ محمد حسن الفيض الكاشاني، وآخرون.

ومع تبلور نظرية (النيابة العامة للفقهاء عن الإمام المهدي) أو (ولاية الفقيه) فقد قوي القول بجواز القتل والجرح في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بإذن الفقيه الولي أو" نائب الإمام".

هذا في مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أما في موضوع الجهاد الابتدائي ، فانه بالرغم من تحرر الفقهاء الشيعة الامامية من نظرية :(التقية والانتظار) خلال القرون الأخيرة وفي كثير من المجالات ، فان الموقف العام ظل سلبيا ولم يحدث تطور يذكر إلا في السنوات الأخيرة . ولم أجد من يتحدث عن جواز الجهاد في عصر الغيبة سوى السيد محمد الحسيني الشيرازي الذي كان يقول بنظرية (ولاية الفقيه) .[434]

وقد تقدم الشيعة الامامية الاثنا عشرية خطوة أخرى الى الأمام، على طريق التحرر من نظرية انتظار الإمام الغائب (الثاني عشر)، وذلك عبر تطوير حكم الخمس من الإباحة الى

---

[434] - للمزيد من التفصيل راجع المبحث الثالث من الفصل الثاني من الجزء الثالث من هذا الكتاب، المنشور في طبعات أخرى سابقة.

الوجوب. وقد تم الانسحاب من القول بالإباحـة في وقت مبكـر ، خطوة .. خطوة ..

وكانت الخطوة الأولى هي القول بوجـوب الخمس في عصـر الغيبة ، مع القول بدفنه أو الاحتفاظ به حـتى ظهـور المهـدي ، أو الايصاء به بعد الموت من واحد إلى واحد حتى يوم الظهور.

وكانت الخطوة الثانية هي القـول بتسـليم الخمس إلى الفقهـاء للاحتفاظ به حتى ظهور الإمام المهدي. ثم القـول بجـواز قيـامهم بتوزيعه بأنفسهم على المحتاجين.

وقام الشيخ حسن الفريد (1319 ـ 1417هـ) بثورة في باب الخمس عندما سلب حق الخمس من الإمام المهدي لغيبته وعدم قيامـه بمهـام الإمامـة ، وقـال بضـرورة قيـام واحـد من النـاس باسـتلام الخمس وتوزيعـه من بـاب الحسـبة ، لأنـه من الأمـور الحسبية التي لا محيص عن وقوعـه في الخـارج ولم يعين للقيـام به في غيبة الإمام شخص أو صنف خاص .[435]

ومع تطور نظرية ولاية الفقيه كان لا بد ان يتطـور حكم صـلاة الجمعة، ويتغير من التحريم الى الوجـوب أو الجـواز. فقـد حـاول

---

[435] - حيث قال في (رسالة في الخمس ص 83-86):"ان مقتضى القاعدة سقوط النصف الذي هو للإمام (ع) إذ لا ريب انـه إنمـا اسـتحق ذلـك بحـق الرئاسة والإمامة ، ولذا ينتقل هذا الحق بموته إلى الإمام الذي يقوم بعــده بالإمامــة لا إلى ورثتــه ، فــإذا غــاب عن النــاس ولم يقم بالإمامــة انتفت رئاسته خارجـا ، وينتفي حقـه بانتفـاء موضـوعه". وأضـاف:"لا إشـكال في وجوب إيصال نصف الخمس الذي للإمام (ع) إليه أو إلى وكيلـه في زمـان الحضور ... وبعـد غيبتـه ان قلنـا بــ : (ولايـة الفقيـه) على الإطلاق ونيابتـه العامة عن الإمام ، كان للفقيه الولايـة على ذلـك ، وان لم نقـل بولايتـه إلا في باب القضاء والإفتاء فلا بد ان يقوم به واحد من باب الحسـبة لأنـه من الأمور الحسبية التي لا محيص عن وقوعه في الخارج ، ولم يعين للقيام به في غيبة الإمام شخص أو صنف خاص ، وليس من الوظائف التي يقوم بها آحاد الناس ، بل من الأمور التي لا بد ان يقوم بها الحاكم .. فان .. الفقيــه الجامع للشرائط هو الذي ينبغي ان يقوم به وانه القدر المتيقن ممن يصـح منه القيام به وتوزيع الخمس على أهله ، فلا بد ان يقـوم بـه الفقيـه .. من بـاب الحسـبة ، وان شـئت قلت : ان للفقيـه الولايـة على صـرف الخمس على أهله ، ولكن ولايته على ذلـك لم تسـتفد من الكتـاب والسـنة بـل من دليل الحسبة والضرورة .. يعـني : ان الضـرورة الدينيـة هي الـتي كشـفت كشفا قطعيا عن ولايته على ذلك .. وممـا ذكرنـا يمكن ان يستكشـف : ان له ولاية التحليل إذا اقتضت الضرورة ذلك فيما لم يشمله أخبار التحليل .

عدد من الفقهاء التحرر من نظرية (الانتظار) التي كانت تشـترط إذن الإمام المعصوم الغائب، والعـودة الى القـرآن الكـريم الـذي يأمر بإقامتها بصورة مطلقـة ولا يشـترط لـذلك أيـة شـروط ، ولا يربطها بالإمام (المعصوم) الغائب .

ورغم ادعاء ابن إدريس الحلي :إجمـاع الشـيعة الاماميـة على تحريم إقامتها في عصر الغيبة. فقد قـام عـدد من الفقهـاء بنقض الموقف السلبي منها، وربما كـان المحقـق الحلي أول من حـاول الخروج من نظرية (الانتظار) في باب صـلاة الجمعـة ، حيث قـال باستحباب إقامتها عنـد إمكانيـة الاجتمـاع.[436] وكسـر بـذلك حـاجز الإجماع المدعى على التحريم .

ومـع بـروز نظريـة (نيابـة الفقيـه العامـة) في القـرن السـابع والثامن الهجريين، وجـد بعض العلمـاء فيهـا مخرجـا للهـروب من نظرية (الانتظار) فقالوا بجواز إقامـة الفقهـاء للجمعـة باعتبـارهم نوابا عـامين للإمـام المهـدي. وهـو مـا مهـد السـبيل أمـام فقهـاء آخرين ليقولوا بالوجوب، خاصة بعد قيام الدولة الصـفوية في بلاد فارس.

و حاول الشهيد الثاني (- 965 هـ) ان يتحرر من عقـدة (إذن الأمـام) في وجـوب صـلاة الجمعـة ، وان يحصـر ذلـك في زمـان حضور الإمام ، وان يسقط ذلك في عصر الغيبـة ، من الأسـاس ، وانتقد في رسالة له حول ضرورة صلاة الجمعـة، حالـة التقليـد الأعمى وتهديم الدين بالشبهات ، وشنّ هجوما عنيفـا على الـذين يتهاونون في صلاة الجمعة ، واشتكى بحرقة وحسرة من القائلين بتحريمها ، وقال:" اتفق علماء الإسلام في جميع الإعصار وسـائر الأمصـار والأقطـار على وجـوب صـلاة الجمعـة على الأعيـان في الجملة ، وإنما اختلفـوا في بعض شـروطها ... ومـع ذلـك فـالحث على فعلها والأمر به بضروب التأكيد في الكتاب والسـنة لا يوجـد مثله في فريضة البتة".[437]

وهكذا قام الشهيد الثاني بخطوة كبيرة نحو الأمام في سـبيل التحرر من نظريـة : (الانتظـار) ، وذلـك بتحليلـه أو إيجابـه إقامـة صلاة الجمعة في عصر الغيبة حتى لغير الفقيه.

---

[436] - المختصر النافع ، ص 36

[437] - لمزيد من التفصيل راجع المبحث السادس من الفصل الثاني من الجزء الثالث من هذا الكتاب

و منذ إقامة الجمهورية الإسلامية في إيران، بدء الشيعة الامامية الاثنا عشرية يقيمون صلاة الجمعة هنا وهناك بشكل واسع.

تطور النظريات السياسية الشيعية في عصر الغيبة

لقد كانت تلك محاولات جريئة للخروج من أزمة :(الانتظار للإمام المهدي) التي وقع بها الامامية، نتيجة قولهم باشتراط العصمة والنص في الإمام ، وافتراض وجود الإمام المعصوم الغائب . وقد نجحوا فيها نجاحا كبيرا حيث استطاعوا فتح باب الاجتهاد والسماح بتنفيذ الحدود وممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأداء الخمس والزكاة وإجازة أو إيجاب صلاة الجمعة في (عصر الغيبة) ، تلك الأمور التي جمدوها في البداية انتظارا لخروج (الإمام المهدي) "الحاكم الشرعي الوحيد الذي يحق له إقامة الدولة الإسلامية".

وقد كانت تلك المحاولات متفرقة ومتدرجة بابا .. بابا ، وجزءا .. فجزءا .. ولكنها لم ترقَ لتعالج المشكلة من جذرها ، حيث لم تبحث موضوع (الإمامة) و (الغيبة) من الأساس. ومع ذلك فقد حاول العلماء تطوير نظرية سياسية بديلة عن الإمامة والإمام المهدي ، وذلك بافتراض النيابة الواقعية أو الحقيقية عن الإمام الغائب في مجال الحدود. وقد تطورت هذه النظرية البسيطة الافتراضية التي ولدت في بداية القرن الخامس الهجري لتصبح نظرية سياسية متكاملة في نهاية القرن الرابع عشر تحت اسم (ولاية الفقيه).

نظرية : (النيابة الملكية)

وبينما كانت نظرية (النيابة العامة) تنمو ببطء وبصورة جزئية ومحدودة ، على أيدي علماء الحلة وجبل عامل في القرن السابع والثامن الهجريين ، كان الواقع الشيعي السياسي يتطور بعيدا عن الفكر الإمامي.. حيث انفجرت ثورة (السربدارية) في نيسابور ، وأقامت دولة دامت خمسين عاما من سنة 738هـ الى سنة 782هـ ، كما قام الشيعة بتأسيس دولة لهم في مازندران وخوزستان وجنوب العراق.

ثم انفجـرت حركـة جديـدة في تـبريز على أيـدي الصـفويين بقيادة إسماعيل بن صفي الدين بن حيدر الذي أعلن قيام الدولة الصفوية سنة 907 هـ ، الا انـه كـان يفتقـد الى نظريـة سياسـية شـيعية شـرعية. حيث لم تكن نظريــة النيابــة العامــة للفقهــاء الافتراضية، قد تطورت بعد الى مستوى إقامة الدولة.

وعندما أراد الصفويون التحرك العسـكري لإقامـة دولـة خاصـة بهم.. وجـدوا نظريـة الانتظـار غـير معقولـة ولا واقعيـة ، وتشـكل حجر عثرة أمام طموحهم وتحركهم.. وبالرغم من انهم كانوا منــذ فترة قد أعلنـوا التمسـك بالمـذهب الامـامي الاثـني عشـري ، إلا انهم في الحقيقــة لم يسـتوعبوا نظريـة (الإمامــة الإلهيـة) الـتي تشــترط العصــمة والنص في الإمــام ، وحولوهــا الى نظريــة تاريخيـة ، ورفضـوها عمليـا .. حيث أجـازوا لزعمـائهم وهم غـير معصومين ولا منصوص عليهم من الله ، ان يسـتولوا على الملـك ويقومـوا بمهـام الإمامـة تمامـا كمـا فعـل الأمويـون والعباسـيون والعثمانيون . و لم يصـعب عليهم الالتفـاف على نظريـة الانتظـار وتجاوزها.

واختلفت تجربة الدولة الصفوية في مرحلتها الأولى (أيام الشــاه إسـماعيل بن صـفي الـدين) عن التجـارب السياسـية الشـيعية السابقة كالدولة البويهية والسربدارية والمرعشية والمشعشعية ، في ان هــذه التجــارب كــانت دولا سياســية بحتــة ، أي غــير أيديولوجية ، بينما حـاولت الدولـة الصـفوية تقـديم نفسـها كدولـة عقائدية ومرتبطة بالأئمة الاثني عشر بصورة روحية غيبية. ولذلك فإنها كانت تشكل تطورا انقلابيـاً في الفكـر السياسـي الشـيعي ، نقـل الشـيعة من نظريـة الانتظـار السـلبية الانعزاليـة الى سـدة الحكم والسلطنة. وقد طور الشاه إسماعيل ، أو تطور على يديه ، فكر سياسي جديد حاول الالتفاف على فكر (التقيـة والانتظـار) فادعى ذات يوم انـه اخـذ إجـازة من (صـاحب الزمـان : المهـدي المنتظـر) بـالثورة والخـروج ضـد أمـراء التركمـان الـذين كـانوا يحكمون إيران ، وبينمـا كـان ذات يـوم مـع مجموعـة من رفقائـه الصوفية خارجين للصيد في منطقة تبريز ، مروا بنهـر ، فطـالبهم بالتوقف عنـده وعـبر هـو النهـر بمفـرده ودخـل كهفـا .. ثم خـرج متقلدا بسـيف ، واخـبر رفقـاءه انـه شـاهد في الكهـف (صـاحب الزمان) وانه قال له:" لقد حان وقت الخروج وانه امسك ظهـره

ورفعه ثلاث مرات ووضعه على الأرض وشد حزامه بيده ووضع خنجرا في حزامه وقال له:" اذهب فقد رخصتك".[438]

وادعى بعد ذلك انه شاهد الأمام علي بن أبى طالب (ع) في المنام وانه حثه على القيام وإعلان الدولة الشيعية. وذلك في محاولة للتحرر من نظرية الانتظار. وبناء على ذلك فقد كان الشاه إسماعيل يعتبر نفسه " نائب الله وخليفة الرسول والأئمة الاثني عشر وممثل الأمام المهدي في غيبته". [439]

وقد كان بروز التجربة الصفوية نتيجة الفراغ السياسي الذي كان يهيمن على الشيعة في ظل نظرية الانتظار السلبية الانعزالية ، في تلك الأيام.

ولما كانت دعاوى الشاه إسماعيل بالنيابة والخلافة عن الإمام المهدي الغائب خطيرة، ومنافسة لدور الفقهاء الشيعة، فقد تصدى له الشيخ المحقق علي بن الحسين بن عبد العالي الكركي الذي طور نظرية (النيابة العامة للفقهاء عن الأمام المهدي) من نظرية جزئية محدودة غير سياسية .. الى نظرية سياسية متقدمة، وادعى بأنه نائب الإمام المهدي وانه صاحب الحق الشرعي الوحيد في الحكم. واستطاع ان يؤثر على الشاه طهماسب بن إسماعيل فيدفعه للتسليم بمكانته كنائب عام عن الإمام المهدي، وطلب الإجازة منه لممارسة السلطة.[440]

---

[438] - تاريخ الشاه إسماعيل، ص 88، طبع مركز تحقيقات فارس إيران وباكستان، إسلام آباد. وعالم آراي صفوي، ص 64

[439] - راجر سيوري، إيران في العصر الصفوي، ص 26 و29

[440] - يقول السيد نعمة الله الجزائري في صدر كتابه (شرح غوالي اللئاليء):" لما قدم الشيخ الكركي آلي اصفهان وقزوين في عصر السلطان العادل طهماسب مكّنه من الملك والسلطان وقال له: أنت أحق بالملك لأنك النائب عن الأمام ، وإنما أكون من عمالك ، أقوم بأوامرك ونواهيك وقد أعطى الكركي الشاه طهماسب إجازة لحكم البلاد بالوكالة عن نفسه باعتباره نائبا عن الأمام المهدي ، ولقبه الشاه بنائب الأمام وعينه (شيخا للإسلام) . ولمزيد من التفصيل راجع: المبحث الثاني من الفصل الثالث من الجزء الثالث من هذا الكتاب، المنشور في طبعات أخرى سابقة.

وقد لقي تحالف الشيخ الكركي مع الدولة الصفوية معارضة شديدة من قبل عدد كبير من العلماء كالشهيد الثاني والمقدس الاردبيلي والشيخ إبراهيم القطيفي والملا محمد أمين الاسترابادي والملا محمد طاهر القمي ، وغيرهم من الفقهاء ، وذلك لأن نظرية (النيابة العامة) لم تكن قد تطورت لتحل محل نظرية:(الإمامة الإلهية) وإنما كانت لا تزال محدودة وجزئية ، وتقتصر على الفتيا وتنفيذ بعض الأمور الاجتماعية والاقتصادية والعبادية.

ومع ذلك فان نظرية (إجازة الملوك) لم تمنح نظام الحكم الشرعية الكاملة ، حيث ظل الفقهاء يعتبرون الملوك غاصبين لحق الإمامة الخاص بالأئمة المعصومين المعينين من قبل الله تعالى، وظل عامة الفقهاء حتى الذين تعاونوا مع الدولة الصفوية أو خليفتها: القاجارية ، متأثرين بنظرية (الانتظار) في عدة جوانب . وهذا ما أدى لاحقاً الى تطورات مختلفة لدى الفقهاء والملوك من اجل تطوير الفكر السياسي وحل عقدة الشرعية المزمنة في الفكر السياسي الشيعي في ظل (الغيبة) .

ومع تطور الواقع السياسي الشيعي، ووجود الشك بصحة نظرية (النيابة العامة للفقهاء عن الإمام المهدي) بادر بعض الفقهاء الى الدعوة الى بناء نظام سياسي مدني معقول، فاقترح السيد محمد باقر السبزواري (1018هـ - 1090 هـ) تأسيس نظام ملكي مستقل ، وحاول الالتفاف على نظرية الغيبة والانتظار التي تشترط العصمة والنص في الإمام فقال:"لا يخلو زمان من حجة ، ولكن في بعض الأوقات يغيب عن أبصار الناس لأسباب ومصالح ، ولكن العالم ليس بعيدا عن ألطافه وبركاته... ونحن الآن في هذه الدورة من الغيبة إذا لا يوجد سلطان عادل وقوي يدير العالم ويحكمه ، فان الأمور تنتهي الى الفوضى والهرج والمرج وتصبح الحياة غير قابلة للتحمل بالنسبة لكل شخص ، لذلك لا بد للناس من الخضوع تحت سيطرة ملك يحكم بالعدل ويتبع سيرة وسنة الإمام".[441]

رد فعل الاماميين (الإخباريين)

[441] - حميد عنايت، تفكير نوين سياسي إسلام، ص239

وقد أدى قيام الدولة الصفوية ، في القرن العاشر الهجري ، وتطوير نظرية (النيابة العامة للفقهاء) إلى نظرية سياسية .. أدى ذلك إلى حدوث انشقاق عميق وعنيف في المجتمع الشيعي الامامي الاثني عشري.. وهو ما عرف بالصراع الاخباري - الأصولي ، الذي امتد عدة قرون. ولم يكن هذا الصراع يدور حول أمر جزئي بسيط.. وإنما كان يتعلق بأمر أساسي يدخل في موضوع الهوية العقائدية.. وكان في حقيقته صراعا بين المحافظين والمجددين.. بين الخط الامامي المتمسك بنظرية (الانتظار) بالتحديد ، وبين الخط الشيعي المتحرر من شروط الإمامة المتصلبة كالعصمة والنص ، والمتحرر من نظرية (الانتظار) .

كان الفكر الامامي يعطي للإمام مهمتين رئيسيتين هما : التشريع والتنفيذ وقيادة المسلمين، ويحصر مهمة الإمامة في (الأئمة المعصومين المعينين من قبل الله) ولا يجيز لأي شخص غيرهم ان يقوم بشيء من ذلك.. وعندما اضطر بعض العلماء ، في القرن الخامس الهجري ، إلى فتح باب الاجتهاد، اعتبر الاخباريون (أو الاماميون القدماء) اللجوء إلى الاجتهاد خروجا عن الخط الامامي لأنه يهدم ركنا رئيسيا من أركان نظرية الإمامة التي تشترط العلم الإلهي في أحكام الدين ، وتحصر عملية التشريع والإفتاء في (الإمام المعصوم العالم من الله) . وعندما قام العلماء المتأخرون بالقول بنظرية (النيابة العامة السياسية) اعتبر الاخباريون (أو بالأحرى : الاماميون) العمل السياسي وإقامة الدولة وممارسة مهامها اغتصابا لسلطات وصلاحيات (الإمام المعصوم) وتهديما للركن الثاني الأساسي من أركان نظرية (الإمامة الإلهية) وهو (التنفيذ). ومن هنا كانت معارضة الاخباريين مرتكزة على قاعدة نظرية الإمامة التي تحرم التشريع والتنفيذ خارج دائرة (الإمام المعصوم) وكان الاخباريون يعتبرون (المجتهدين) وأصحاب نظرية (النيابة العامة أو ولاية الفقيه) خارجين من المذهب الإمامي ..

نظرية ولاية الفقيه

شهد القرن الثالث عشر الهجري ، وخاصة بعد سقوط الدولة الصفوية، انتعاش المد الأصولي وقيام العلماء هنا وهناك بتطبيق الحدود وممارسة القضاء والإفتاء وتولي أمور الرعية والتصرف في أموال اليتامى والمجانين والسفهاء وتقسيم الخمس والزكوات وممارسة مهمات الحكومة الأخرى.

وهذا ما دل على تطور نظرية (النيابة العامة) من إجازة الملوك إلى تصدي الفقهاء بأنفسهم للحكم، وتجاوز نظرية (الانتظار) والتخلي عنها تماما.. الأمر الذي دفع الشيخ احمد بن محمد مهدي النراقي (توفي 1245هـ) إلى طرح النظرية في إطار جديد وشامل اكثر تطورا ، تحت عنوان :(ولاية الفقيه) وليس تحت العنوان السابق :(النيابة العامة) القائمة على قاعدة نظرية (الغيبة والانتظار) ، حيث نظر النراقي إلى واقع قيام الفقهاء بتشكيل حكومات لا مركزية في بلاد شيعية واسعة مما ينفي أدنى مبرر لاستمرار نظرية (الانتظار) أو القول المحدود الاستثنائي بقيام الفقهاء بتغطية بعض الجوانب الجزئية من الحياة ، وبحث النراقي في كتابه :(عوائد الأيام في بيان قواعد الأحكام) مشكلة الإمامة أو السلطة و الولاية العامة وضرورتها في (عصر الغيبة) وذلك على نفس الأسس الفلسفية والمبادئ التي توجب (الإمامة) للأئمة المعصومين .[442]

وقد كانت نظرية الشيخ النراقي تتألف من قسمين هما: أولا : ضرورة الإمامة في عصر الغيبة ، وثانيا: حصر الإمامة في الفقهاء.. وبغض النظر عن مناقشة القسم الثاني ، فان القسم الأول من نظريته يرفض القبول بنظرية (الغيبة) وفائدة الإمام الغائب كإمام ، ويحتم استمرار الإمامة .. ويؤكد الحاجة الملحة لوجود الإمام الحجة العالم المعلم الهادي والداعي إلى سبيل الله بصورة ظاهرةٍ حيويةٍ متفاعلة مع الأمة .[443]

ولما كانت نظرية (الإمامة) أو (وجود الإمام الثاني عشر الغائب) تعجز عن تلبية حاجة الأمة المستمرة للإمام فان النراقي يتخلى مضطرا عن اشتراط العصمة والنص والسلالة العلوية في الإمام ، ويأتي بكل أدلة ضرورة الإمامة التي كان يستخدمها المتكلمون الاماميون الأوائل ومن ضمنها حديث الفضل بن شاذان عن الإمام الرضا ، الذي يتحدث عن ضرورة الإمامة والعصمة ، فيأخذ النراقي الشطر الأول ويلغي (العصمة) ويكتفي بشرط الفقاهة والعدالة.

---

442 - لمزيد من التفاصيل راجع: المبحث الثالث من الفصل الثالث من الجزء الثالث من هذا الكتاب، المنشور في طبعات أخرى سابقة.

443 - النراقي، عوائد الأيام، ج15 ، ص422 و425 و137

ويعتمد النراقي كثيرا على الأدلة العقلية والإطلالات العامة التي تحتم إقامة الدولة بصورة مستقلة ، وليس بالضرورة : بالنيابة العامة عن الإمام المهدي.. إذ ان قيام الفقهاء بمهام الإمامة الكبرى - ولو بالنيابة - يتناقض مع اشتراط العصمة والنص في الإمام ، خاصة مع انتفاء ظروف التقية والخوف التي تجبر الإمام على الاختباء .

ومن هنا يمكن اعتبار نظرية النراقي حول (ولاية الفقيه) تطورا جذريا في الفكر الشيعي السياسي نحو التحرر من نظرية (الإمامة الإلهية) اكثر من التحرر من نظرية (الانتظار) .. وإذا كانت نظرية: (ولاية الفقيه) قد تعرضت منذ ذلك الحين إلى مناقشات حامية من قبل عدد من العلماء والمحققين ، فأنها نجحت في طرح موضوع (الإمامة) على بساط البحث ، وجاء العلماء من بعد ذلك ليبحثوا المسألة في ضوء الحاجة الماسة والمستمرة إلى الإمامة والقيادة العامة في (عصر غيبة الإمام الذي لا يقوم بمهام الإمامة). كما فعل الشيخ رضا الهمداني (- 1310هـ) الذي أسمى نظرية ولاية الفقيه بـ :(القائمقامية) وذهب في :(مصباح الفقيه) الى :" ثبوت منصب الرياسة والولاية للفقيه ، وكون الفقيه في زمان الغيبة بمنزلة الولاة المنصوبين من قبل السلاطين على رعاياهم في الرجوع إليه ، وإطاعته فيما شأنه الرجوع فيه إلى الرئيس" .[444] وكما فعل الشيخ محمد حسن النائيني نظريته في (المشروطية) على أساس استحالة التفاف الأمة حول الإمام المهدي المنتظر الغائب و عدم وجود الأئمة المعصومين ، وحاجة الأمة إلى قيادة مشروطة بمجلس منتخب منها.

أما الإمام الخميني فقد مهد لنظرية :(ولاية الفقيه) بالحديث عن ضرورة الإمامة في عصر الغيبة، وقال :"ان ما هو دليل الإمامة بعينه دليل على لزوم الحكومة بعد غيبة ولي الأمر (ع)". وقال: "... أما في زمان الغيبة فالولاية والحكومة ، وان لم تجعل لشخص خاص ، لكن يجب بحسب العقل والنقل ان تبقيا بنحوٍ آخر، لما تقدم من عدم إمكان إهمال ذلك ، لأنها مما يحتاج إليه المجتمع الإسلامي... والعلة متحققة في زمن الغيبة ، ومطلوبية النظام وحفظ الإسلام معلومة لا ينبغي لذي مسكة (عقل) إنكارها".[445]

---

[444] - الهمداني، مصباح الفقيه، ص 161

[445]- الخميني، كتاب البيع، ص 461 و 462 و466

الحركة الديموقراطية الإسلامية

وبينما كان الفقهاء الاماميون في النصف الأخير من القرن الثاني عشر الهجري (القرن التاسع عشر الميلادي) يتناقشون حول (ولاية الفقيه) وحدودها السياسية ، فيثبتها بعضهم كالنراقي ويرفضها بعض آخر كالشيخ مرتضى الأنصاري ، كان الملوك القاجاريون يعززون من سلطتهم في إيران ويوسعون صلاحياتهم بلا حدود ، مما سمح للشاه ناصر الدين (1848م - 1896م) بتوقيع اتفاقية جائرة لحصر بيع وشراء التنباك مع شركة بريطانية استعمارية كادت تؤدي إلى هيمنة بريطانيا على إيران. وهذا ما اضطر مرجع ذلك العصر :(الميرزا محمد حسن الشيرازي) الذي كان يقطن مدينة سامراء في العراق ، للإفتاء بحرمة استعمال التنباك بأية صورة زراعة وشراء وبيعا وتدخينا، وذلك في سنة 1309هـ / 1891م . وكان لفتواه هذه اثر كبير جدا في الشعب الإيراني الذي أطاعه بدقه تامة، مما اضطر الشاه ناصر الدين إلى إلغاء امتياز الشركة البريطانية.

وقد فتحت تلك المواجهة ملف شرعية الملكية المستبدة في إيران، فانخرط بعض العلماء المشاركين في حركة إسقاط التنباك ، في حركة جديدة متواصلة من اجل تطوير النظام السياسي الإيراني وإصلاحه، وبناء نظام ديموقراطي، وتحديد صلاحيات الملك المطلقة بمجلس شورى منتخب من الشعب ، وطالبوا ان يحكم الملك حكما دستوريا (مشروطا) بالبرلمان. وكان على رأسهم الشيخ الآخوند كاظم الخراساني .

واستطاع التيار الديموقراطي الإسلامي، بعد معركة طويلة، ان ينتصر ويقيم أول مجلس برلماني دستوري في إيران سنة 1906م . وقد شكل ذلك تطورا في الفكر السياسي الشيعي الذي لم يكن قد وصل - شعبيا - بعد إلى مرحلة (ولاية الفقيه). وقد اصبح دستور 1906م أساسا لنظام الجمهورية الإسلامية الذي قام سنة 1979م ، واستبدل الملك برئيس الجمهورية ، وأعطى للفقيه (الولي) صلاحيات اكبر، استنادا إلى نظرية (ولاية الفقيه) .

وكان هناك من ينادي باستبدال النظام الملكي بالنظام الجمهوري ، كالسيد جمال الدين الاصفهاني الذي أعلن خلال الثورة ضد مظفر الدين سنة 1905م : ان نظام الحكم الأقرب

للإسـلام هـو النظـام الجمهـوري ، وأيـد ذلـك بآيـات من القـرآن الكريم .[446]

لقد كـان الفكـر السياسـي الشـيعي في هـذه المرحلـة واقعيـا ومتطلعا نحو الأفضل في تعامله مع مسألة السلطة ، فبعد تخليـه عن نظرية (الإمامة الإلهية) المثاليـة الـتي لم يكن لهـا وجـود في الخـارج ، ورفضـه لوليـدتها ولازمتهـا: نظريـة (الانتظـار للإمـام الغائب) انطلـق الفكـر الشـيعي الـذي كـان قـد قبـل بمبـدأ قيـام الدولة في (عصر الغيبة) منـذ العهـد الصـفوي.. انطلـق في هـذه المرحلة ليطور نظرية السلطة والدولـة ويُشـرك العلمـاء ونـواب الشعب في إدارة البلاد. وقد عبر هذا الفكر عن نفسـه بقلم أحـد أبنائه وهو الشيخ محمـد حسـين النـائيني في كتابـه:(تنبيـه الأمـة وتنزيه الملة) الذي يعتبر قمة الفكر السياسي الشـيعي في بدايـة القرن العشرين..

وقد أكد النائيني على ان اصل الحكومـة الإسـلامية يقـوم على الشورى، وان السلطة حق من حقوق عامـة النـاس ، وأشـار الى عجز الأمة عن الالتفاف حـول الإمـام المهـدي المنتظـر الغـائب ، وعدم وجود الأئمة المعصـومين، ممـا يفتح الطريـق أمـام الأخـذ بالنظام الديموقراطي أو الشورى.[447]

لم تصـمد نظريـة (الحكم الملكي الدسـتوري) الـتي أقامهـا الفقهاء الشيعة في إيران طويلا ، فسـرعان مـا قـام الشـاه رضـا بهلـوي بـانقلاب عسـكري ، ونصـب نفسـه ملكـا على إيـران دون استشارة من الفقهاء المراجع ، بل قاد حملـة شـعواء ضـد رجـال الدين، وهذا ما دفع الفقهاء المراجع إلى مقاومته بشدة.

وفي سنة 1963 قاد الإمام الخميني انتفاضة ضد الشـاه محمـد رضـا بهلـوي ، انتهت بتسـفير الإمـام إلى العـراق .. وهنـاك راح الإمام الخميني يلقي دروسه على طلبته ويطـور نظريـة سياسـية جديدة تجمع بين نظرية (النيابة العامة للفقهاء عن الإمام المهدي الغائب) و نظرية:(ولاية الفقيه) لينقل الفكـر السياسـي الشـيعي من مرحلة إجازة الفقهـاء للملـوك للحكم باسـمهم ووكالـة عنهم إلى مرحلة جديدة هي حكم الفقهـاء المباشـر وممارسـة مهمـات

[446] - طلال مجذوب: إيران من الثورة الدستورية إلى الثورة الإسلامية ص 80

[447] - لمزيد من التفصيل راجـع: المبحث السـادس من الفصـل الثـالث من الجزء الثالث من هذا الكتاب، المنشور في طبعات أخرى سابقة.

الإمامة بصورة كاملة. وقد شكلت تلك الدروس القاعدة الفكرية التي قامت عليها الثورة الإسلامية وانتهت بتشكيل (الجمهورية الإسلامية الإيرانية) عام 1979.

الخميني ينقد نظرية الانتظار

رفض الإمام الخميني في البداية نظرية (الانتظار للإمام المهدي) التي كانت تهيمن على الفكر السياسي الشيعي حتى وقت قريب ، رفضا مطلقا ، واسقط بالأدلة العقلية الأحاديث التي كانت تحرم العمل السياسي في ظل (الغيبة) ، ولم يعبأ بها ، وكتب يقول :" بديهي .. ان ضرورة تنفيذ الأحكام لم تكن خاصة بعصر النبي (ص) بل الضرورة مستمرة.. واعتقاد: ان الإسلام قد جاء لفترة محدودة أو لمكان محدود يخالف ضروريات العقائد الإسلامية ، وبما ان تنفيذ الأحكام بعد الرسول (ص) والى الأبد من ضروريات الحياة ، لذا كان وجود حكومة فيها مزايا السلطة المنفذة المدبرة ضروريا ، إذ لولا ذلك لساد الهرج والمرج... فقد ثبت بضرورة الشرع والعقل: ان ما كان ضروريا أيام الرسول (ص) وفي عهد الإمام أمير المؤمنين (ع) من وجود الحكومة لا يزال ضروريا إلى يومنا هذا. ولتوضيح ذلك أتوجه إليكم بالسؤال التالي: قد مر على الغيبة الكبرى لإمامنا المهدي اكثر من ألف عام ، وقد تمر عليه ألوف السنين قبل ان تقتضي المصلحة قدوم الإمام المنتظر، وفي طول هذه المدة المديدة هل تبقى أحكام الإسلام معطلة يعمل الناس خلالها ما يشاءون؟.. ألا يلزم من ذلك الهرج والمرج؟ وهل حدد الله عمر الشريعة بمائتي عام ؟ هل ينبغي ان يخسر الإسلام من بعد الغيبة الصغرى كل شيء ؟". وأضاف:"ان الذهاب إلى هذا الرأي أسوء في نظري من الاعتقاد بان الإسلام منسوخ ، فلا يستطيع أحد يؤمن بالله واليوم الآخر ان يقول: انه لا يجب الدفاع عن ثغور الإسلام والوطن ، أو انه يجوز الامتناع عن دفع الزكاة والخمس وغيرهما ، أو يقول بتعطيل القانون الجزائي في الإسلام وتجميد الأخذ بالقصاص والديات ، إذن فان كل من يتظاهر بالرأي القائل بعدم ضرورة تشكيل الحكومة الإسلامية فهو ينكر ضرورة تنفيذ الإسلام ، ويدعو إلى تعطيل أحكامه وتجميدها ، وهو بالتالي ينكر شمول وخلود الدين الإسلامي الحنيف". وخاطب الإمام الخميني الملتزمين بنظرية (الانتظار) قائلا :" لا تقولوا ندع إقامة الحدود والدفاع عن الثغور وجمع

حقوق الفقراء حتى ظهور الحجة (الإمام المهدي) فهلا تركتم الصلاة بانتظار الحجة؟!".

ثم استشهد على ضرورة الإمامة في عصر الغيبة، **وقال** :" ان ما هو دليل الإمامة بعينه دليل على لزوم الحكومة بعد غيبة ولي الأمر(ع) " .[448]

وبعد إثبات الإمام الخميني للحاجة المستمرة إلى الإمامة في (عصر الغيبة) وعدم جواز تجميدها انتظارا للإمام المهدي ، عقلا ونقلا ، توصل الى ضرورة إقامة الدولة بقيادة من تتوفر فيه خصائص الإمامة من العلم بالقانون والعدالة.

وتحدث الإمام الخميني عن التشابه بين الفقيه والإمام المعصوم فقال:" للفقيه العادل جميع ما للرسول والأئمة (ع) مما يرجع إلى الحكومة والسياسة ، ولا يعقل الفرق ، لأن الوالي - أي شخص كان - هو مجري أحكام الشريعة والمقيم للحدود الإلهية والأخذ للخراج وسائر الماليات والتصرف فيها بما هو صلاح المسلمين... ومع اقتضاء المصالح يأمرون الناس بالأوامر التي للوالي ويجب إطاعتهم..فولاية الفقيه - بعد تصور أطراف القضية - ليست أمرا نظريا يحتاج إلى برهان ، ومع ذلك دلت عليها بهذا المعنى الواسع روايات".[449]

واعتبر الإمام الخميني الفقهاء أوصياء للرسول (ص) من بعد الأئمة وفي حال غيابهم ، وقد كلفوا بجميع ما كلف الأئمة (ع) بالقيام به .[450]

وكان الإمام الخميني يؤمن نتيجة لبعض الروايات ان ولاية الفقيه ولاية دينية إلهية و يقول:" ان الله جعل الرسول (ص) وليا للمؤمنين جميعا ، ومن بعده كان الإمام وليا ، ونفس هذه الولاية والحاكمية موجودة لدى الفقيه " .[451] ويقول :" إذا نهض بأمر تشكيل الحكومة فقيه عالم عادل فانه يلي من أمر المجتمع ما كان يليه النبي (ص) منهم ، ووجب على الناس ان يسمعوا له

---

[448] - الخميني، الحكومة الإسلامية، ص 25 -26

[449] - الخميني، كتاب البيع، ص 467

[450] - الخميني، الحكومة الإسلامية، ص 75

[451] - الخميني، الحكومة الإسلامية، ص 51 - 52

ويطيعوا ، ويملك هذا الحاكم من أمر الإدارة والرعاية والسياسة للناس ما كان يملكه الرسول (ص) واميرالمؤمنين (ع)، على ما يمتاز به الرسول والإمام من فضائل ومناقب خاصة ...وقد فوض الله الحكومة الإسلامية الفعلية المفروض تشكيلها في زمن الغيبة نفس ما فوضه إلى النبي (ص)، واميرالمؤمنين (ع) من أمر الحكم والقضاء والفصل في المنازعات وتعيين الولاة والعمال وجباية الخراج وتعمير البلاد ، غاية الأمر ان تعيين شخص الحاكم الآن مرهون بمن جمع في نفسه العلم والعدل". [452]

وكان يحصر الحق في إقامة الدولة في (عصر الغيبة) في الفقهاء فقط ، ويقول:" الفقهاء العدول وحدهم المؤهلون لتنفيذ أحكام الإسلام واقرار نظمه وإقامة حدود الله وحراسة ثغور المسلمين ، وقد فوض إليهم الأنبياء جميع ما فوض إليهم ائتمنوهم على ما أؤتمنوا عليه" . [453]

الولاية المطلقة

ونظرا لإيمان الخميني بأن ولاية الفقيه مستمدة من الله، فقد طرح بعد حوالي عشرة أعوام من إقامة (الجمهورية الإسلامية في إيران) نظرية (ولاية الفقيه المطلقة) التي لا تحدها حدود، وجاء في رسالة له الى رئيس الجمهورية:" ان الحكومة التي تعني الولاية المخولة من قبل الله إلى النبي الأكرم (ص) مقدمة على جميع الأحكام الفرعية الإلهية... ولو كانت صلاحيات الحكومة محصورة في إطار الأحكام الفرعية الإلهية لوجب ان تلغى أطروحة الحكومة الإلهية والولاية المطلقة المفوضة إلى نبي الإسلام (ص) وان تصبح دون معنى ..لا بد ان أوضح : ان الحكومة شعبة من ولاية رسول الله (ص)، المطلقة ، وواحدة من الأحكام الأولية للإسلام ، ومقدمة على جميع الأحكام الفرعية حتى الصلاة والصوم والحج... ان باستطاعة الحاكم ان يعطل المساجد عند الضرورة ، وان يخرب المسجد الذي يصبح كمسجد ضرار ولا يستطيع ان يعالجه بدون التخريب. وتستطيع الحكومة ان تلغي من طرف واحد الاتفاقيات الشرعية التي تعقدها مع

---

[452] - الخميني، كتاب البيع، ص 49

[453] - الخميني، الحكومة الإسلامية، ص 70 و 76

الشعب ، إذا رأتها مخالفة لمصالح البلـد والإسـلام. وتسـتطيع ان تقف أمام أي أمر عبـادي أو غـير عبـادي إذا كـان مضـرا بمصـالح الإسلام ، مادام كذلك. ان الحكومة تستطيع ان تمنـع مؤقتـا وفي ظروف التناقض مـع مصـالح البلـد الإسـلامي - إذا رأت ذلـك- ان تمنع من الحج الذي يعتبر من الفرائض المهمة الإلهية".[454]

وكـانت هـذه الرسـالة تطـورا كبـيرا في نظريـة :(ولايـة الفقيـه) باتجاه الشمولية والإطلاق ، وقفزة كبيرة في توسيع الولاية، وهي تتحدث عن صلاحيات مشابهة لصلاحيات الرسول الأكـرم والأئمـة المعصومين ، للفقيه بحكم منصب الولاية والسلطان. وقد توصـل الإمـام الخميـني الى ذلـك بـالجمع بين نظريـة (النيابـة العامـة) و نظرية (ولاية الفقيـه) وتطويرهمـا بحيث تصـبحان نظريـة واحـدة مطلقة.

ان الحديث عن "النيابة العامة للفقهاء عن الإمام المهـدي" في "الغيبة الكبرى" هـو فـرع لثبـوت "النيابـة الخاصـة" الـتي ادعاهـا "الوكلاء الأربعة" في فـترة "الغيبـة الصـغرى". وان القـول بـذلك يبتنى على القول بوجـود وولادة "الإمـام الثـاني عشـر محمـد بن الحسن العسكري" ووجود غيبتين لـه، وإذا لم نسـتطع التأكـد من وجود هذا "الإمـام" فـان تلـك النظريـة تتلاشـى بـالطبع من بـاب الأولى.

ونظرا للغموض الذي لـف موضـوع الخلـف للإمـام العسـكري، والحيرة التي عصفت بالشـيعة الاماميـة الاثـني عشـرية، والشـك الذي أحاط بدعاوى النيابة الخاصة عن الإمام الغائب، فان نظريـة النيابـة العامـة لم تكن معروفـة لـدى الشـيعة الاماميـة في بدايـة "الغيبة الكبرى" التي يقال أنها ابتدأت بعد وفـاة "النـائب الرابـع : علي بن محمـد الصـيمري". بـل ان الشـيعة الأوائـل (في القـرن الرابع) اعتبروا النيابة العامة التي توازي الإمامـة أو ولايـة الفقيـه متناقضة تماما مع نظرية الإمامة، لأنها تسقط شـرطي العصـمة والنص في الإمام، وإنما هي نظرية ظنية استنبطها بعض العلمـاء في وقت لاحـق وطوروهـا عـبر التـاريخ ، ولم يكن لهـا وجـود من

---

[454] - صـحيفة كيهـان، العـدد رقم 13223 المـؤرخ 16 جمـادى الأولى 1408هـ

قبل. وقد توفي الصيمري سنة 329هـ ولم يتحـدث عن "النيابـة العامة" ببنت شفة، ولو كان لها أي رصيد من الواقع لتحدث عنهـا "الإمام المهدي" - على فرض وجوده - بدلا من ان يترك الشيعة يتخبطون قرونا طويلة في ظلمات الحيرة .

ومن هنا فلم يعرف الشيخ الصدوق نظرية النيابة العامـة ، ولم يشر إليها أبدا بالرغم من روايتـه لـ : ·توقيـع إسـحاق بن يعقـوب عن العمري عن المهدي :" وأما الحوادث الواقعـة فـارجعوا فيهـا إلى رواة أحاديثنا فانهم حجتي عليكم وأنا حجة الله ". وذلـك أمـا للشك بصـحة " التوقيـع " المـروي عن مجهـول هـو (إسـحاق بن يعقوب) واما لعدم دلالته على "النيابة العامة" خاصة وانه يتحـدث عن الرجــوع إلى الــرواة في ظــل "النيابــة الخاصــة" وفي أيــام "السفير الثاني : العمري" . وإذا كانت النيابة الخاصـة المتصـلة - حسب الفرض - بالإمام المهدي محدودة وغـير سياسـية ، فكيـف يمكن ان يفهم من "التوقيع" معنى اكبر وأوسع منها ؟.

لقد كان أول من تحدث عن تفويض الأئمة للفقهـاء في مجـال إقامة الحدود فقط هو الشيخ المفيد الذي جاء بعد الغيبة بحــوالي مائة وخمسين عاما، وكان ذلك منه افتراضا اكثر منه قولا بيقين ، وقـد انطلـق في محاولتـه اسـتنباط نظريـة (النيابـة العامـة) من الأحاديث السابقة (مقبولة عمر بن حنظلة ومشهورة أبى خديجــة وتوقيع إسحاق بن يعقوب) التي تعطي الإذن لرواة أحـاديث أهـل الــبيت بممارســة القضــاء من دون الحاجــة إلى إذن خــاص من الأئمة.

وقد أثار التطور السياسي الكبير الذي حدث في تاريخ الشــيعة في العهد الصفوي في القرن العاشر الهجـري، والــذي نقلهم من مرحلة "التقيـة والانتظـار" إلى مرحلـة إقامـة الدولـة في (عصـر الغيبة) بعدما ادعى (الشـاه إسـماعيل الصـفوي) النيابـة الخاصـة عن الإمام المهدي .. أثار ذلـك التطـور جـدلا واسـعا في صـفوف الفقهاء وفتح الباب واسعا أمـام القـول بنظريـة "النيابـة العامـة" وتعزيزها بقوة ، ثم تطويرها بعد ذلـك نحـو حكم الفقهـاء بصـورة مباشــرة على يــدي الــنراقي في منتصــف القــرن الثــالث عشــر الهجري .

وقد اعتمد الإمـام الخميـني في قولـه بنظريـة (ولايـة الفقيـه) بصورة رئيسية على روايات عامة عن الرسول الأعظم (ص) مثل (الفقهاء ورثة الأنبياء و وحصون الأمة وخلفاء الرســول) واســتنتج

منها معنى الوراثة والخلافة السياسية والولاية التامة للفقهاء كما كانت للرسول الأعظم (ص) والأئمة من أهل البيت (ع) حسب النظرية الامامية ، وقال:" كما ان الرسول الأعظم جعل الأئمة (ع) خلفاء ونصبهم للخلافة على الخلق أجمعين ، جعل الفقهاء ونصبهم للخلافة الجزئية... وتحصل مما مر ثبوت الولاية للفقهاء من قبل المعصومين (ع) في جميع ما ثبت لهم الولاية فيه من جهة كونهم سلطانا على الأمة" .[455] و لذلك اعتبر الخميني الفقهاء اكثر من (نواب للإمام المهدي الغائب) وإنما أيضا : أوصياء للرسول (ص) من بعد الأئمة ، وفي حال غيابهم ، وقد كلفوا بجميع ما كلف به الأئمة بالقيام به.[456] واعتبر - بناء على ذلك - ولاية الفقهاء على الناس مجعولة من قبل الله كولاية الرسول والأئمة من أهل البيت ، وأنها ولاية دينية إلهية.[457]

وقد رفض الإمام الخميني الأدلة "العقلية والنقلية" التي قدمها ويقدمها علماء الكلام الاماميون السابقون الذين كانوا يشترطون العصمة والنص والسلالة العلوية الحسينية في الإمام ، و استخدم العقل في رفض نظرية الانتظار السلبية المخدرة التي تحرم إقامة الدولة في (عصر الغيبة) إلا للإمام المعصوم الغائب ، وضعّف عقليا الأحاديث "المتواترة" و التي كان يجمع عليها الاماميون في السابق ، والتي تقول:" ان كل راية ترفع قبل راية المهدي فهي راية ضلالة وصاحبها طاغوت يعبد من دون الله" . وقد استخدم المقدمة الامامية الأولى في " ضرورة وجود إمام في الأرض" لينطلق منها إلى إثبات "ضرورة الإمامة في هذا العصر" .

وعلى أي حال فقد كانت نظرية "ولاية الفقيه" التي تحصر الحق في ممارسة السلطة في "الفقهاء" محل نقاش كبير بين العلماء الشيعة. وقد رفضها بعض العلماء المحققين كالشيخ مرتضى الأنصاري (1216 هـ - 1281هـ) الذي ناقش في (المكاسب) أدلة القائلين بالولاية العامة ، وأنكر دلالة الروايات العامة التي يتشبثون بها على الموضوع ، وحدد دلالتها في موضوع الفتيا والقضاء فقط ، وشكك في صحتها ودلالتها وقال:" لكن الإنصاف بعد ملاحظة سياقها (الروايات) أو صدرها أو ذيلها يقتضي الجزم بأنها في مقام بيان وظيفتهم من حيث الأحكام

---

455 - الخميني، كتاب البيع، ص 485
456 - الخميني، الحكومة الإسلامية، ص 62 و75 و76
457 - الخميني، الحكومة الإسلامية، ص 51 - 52

الشــرعية لا كــونهم كالأنبيــاء أو الأئمــة (ص) في كــونهم أولى بالمؤمنين من أنفسهم ... وان إقامة الـدليل على وجـوب إطاعـة الفقيه كالإمام - إلا ما خرج بالدليل - دونه خرط القتاد" .[458]

كمـا رفض السـيد أبـو القاسـم الخـوئي نظريـة ولايـة الفقيـه المبتنية على نظرية (النيابة العامة) وقال: "ان ما استدل به على الولاية المطلقة في (عصر الغيبة) غير قابل للاعتماد عليـه ، ومن هنـا قلنـا بعـدم ثبـوت الولايـة لـه إلا في مـوردين همـا الفتـوى والقضاء... ان الأخبار المستدل بها على الولاية المطلقـة قاصـرة السند والدلالة" .[459]

ان إعطاء الفقيـه العـادل ، وهـو بشـر غـير معصـوم ومعـرض للخطـأ والانحـراف ، صـلاحيات الرسـول الأعظم (ص) المطلقـة وولايته العامة على النفـوس والأمـوال ، والتطـرف في ذلـك إلى حد السماح للفقيه بتجميد القوانين الإسلامية الجزئيـة (الشـريعة) - كما يقول الإمام الخميني وبعض أنصار ولاية الفقيه في إيران – يلغي الفوارق الضـرورية بين النـبي المعصـوم المرتبـط بالسـماء وبين الفقيه الإنسان العادي المعرض للجهل والهوى والانحـراف ، وهـذا مـا يتنـاقض تمامـا مـع الفكـر الامـامي القـديم الـذي رفض مسـاواة أولي الأمـر (الحكـام العـاديين) في وجـوب الطاعـة لهم كوجوب الطاعة لله والرسول ، وذلك خوفـا من أمـرهم بمعصـية والوقوع في التناقض بين طاعتهم وطاعة الله.. ومن هنا اشـترط الفكر الامـامي العصـمة في "الإمـام" - مطلـق الإمـام - ثم قـال بوجوب النص ، وانحصـار النص في أهـل الـبيت وفي سـلالة علي والحسـين إلى يـوم القيامـة. فـإذا أعطينـا الفقيـه الصـلاحيات المطلقة والواسعة الـتي كـانت لرسـول اللـه (ص) وأوجبنـا على الناس طاعته ، وهـو غـير معصـوم ، فمـاذا يبقى من الفـرق بينـه وبين الرسول؟.. ولمـاذا إذن أوجبنـا العصـمة والنص في الإمامـة وخالفنا بقية المسلمين وشجبنا اختيار الصحابة لأبي بكـر مـع انـه كان افقه من الفقهاء المعاصرين ؟

ومادام الفقيه إنسانا غير معصوم فانه معـرض كغـيره للهـوى وحب الرئاسة والحسد والتجاوز والطغيان ، بل انـه معـرض اكـثر من غيره للتحول إلى اخطـر دكتـاتور يجمـع بيديـه القـوة والمـال والدين، وهو ما يدعونا إلى تحديد وتفكيك وتوزيـع صـلاحياته اكـثر من غيره ، لا ان نجعله كالرسـول أو"الأئمـة المعصـومين" ، فانـه

[458] - الأنصاري، المكاسب، ص 173
[459] - الخوئي، التنقيح في شرح العروة الوثقى / كتاب الاجتهاد والتقليد

عندئذ سيتحول إلى ظل الله في الأرض ، ويمارس هيمنة مطلقـة على الأمة كما كان يفعل الباباوات في القرون الوسطى .

إلغاء الدور السياسي للامة

وقـد كـان لتطـور نظريـة (ولايـة الفقيـه) على قاعـدة نظريـة (النيابـــة العامـــة عن الإمـــام المهـــدي) المرتكـــزة على نظريـــة (الإمامة الإلهية) أثر كبير على طبيعة النظرية ونموهـا في جـانب واحد هو جانب السلطة ، دون جـانب الأمـة ، حيث اصبح للفقيـه من الصـلاحيات مـا للإمـام (المعصـوم) ومـا للنـبي الأعظم (ص)، واصبح الفقيه (منصوبا) و (مجعولا) و (معينا) من قبـل (الإمـام المهـدي) و (نائبـا) عنـه ، كمـا كـان (الإمـام المعصـوم) منصـوبا ومجعولا من قبل الله تعالى ، وبالتـالي فانـه قـد اصـبح في وضـع (مقدس) لا يحق للامة ان تعارضه أو تنتقده أو تعصــي أوامــره أو تخلع طاعته ، أو تنقض حكمه .

ومن هنا فقد اتخذت فتاوى العلماء وآراؤهم الاجتهاديـة الظنيـة صبغة دينية مقدسة ، ووجب على عامة الناس غـير المجتهـدين " تقليـد" الفقهـاء والطاعـة لهم سـواء في التشـريع أو التنفيـذ أو القضاء ، وحرمت عليهم مخالفتهم .

وبما ان (الأئمة المعصومين) - حسب نظرية الإمامـة الإلهيـة - معينون من قبل الله تعالى ، وان لا دور للامة في اختيـارهم عـبر الشورى ، ولا حق لهـا في مناقشـة قـراراتهم أو معارضـتها ، وان الدور الوحيد المتصور للامـة هـو الطاعـة والتسـليم فقـط ، فقـد ذهب أنصار مدرسة ولايـة الفقيـه المنصـوب والمجعـول والنـائب عن (الإمام المهدي) إلى ضرورة طاعة الأمة وتسليمها للفقيه ، ولم يجدوا بعد ذلك أي حق للامة في ممارسـة الشـورى أو النقـد أو المعارضة أو القدرة على خلـع الفقيـه ، أو تحديـد صـلاحياته أو مدة رئاسته .

وقـــد ذهب الإمـــام الخميـــني في رســـالته الشـــهيرة إلى رئيس الجمهوريـــة الإســـلامية الإيرانيـــة الســـيد علي الخامنـــائي عـــام (1408هـ / 1988م) إلى قدرة الفقيه الولي على فسخ الاتفاقيات الشرعية التي يعقدها مع الأمـة ، من طـرف واحـد ، إذا رأى بعـد ذلـك ان الاتفاقيـة معارضـة لمصـلحة الإسـلام أو مصـلحة البلاد ، وأناط بالحاكم وليس بالأمة تحديد المصلحة العامة.

وقد كان للتطور التدريجي الطويل الذي امتد اكثر من ألف عام أثره أيضا على طبيعة نظرية (ولاية الفقيه) من حيث عدم التكامل والشمول في البحث ، واقتصار النظرية على الجانب الرئاسي وإهمال الدور السياسي للامة .

وفي الحقيقة .. ان أساس المشكلة في هذه المسألة المهمة يعود إلى الدمج بين نظرية (النيابة العامة) المستنبطة من بعض الأدلة الروائية الضعيفة وبين نظرية (ولاية الفقيه) المعتمدة على العقل وعلى ضرورة تشكيل الحكومة في (عصر الغيبة) بعيدا عن شروط العصمة والنص الإلهي والسلالة العلوية الحسينية ، وان الخلط بين هاتين النظريتين ، أو تطوير نظرية (النيابة العامة) إلى مستوى إقامة الدولة أدى إلى جعل الفقيه بمثابة الإمام المعصوم أو النبي الأعظم وإعطائه كامل الصلاحيات المطلقة ، وإلغاء الفوارق بين المعصوم وغير المعصوم ، بالرغم من قابلية الأخير للجهل والخطأ والانحراف ، وهو ما يتناقض مع أساس الفلسفة الامامية القديمة حول اشتراط العصمة في الإمام .

الشورى .. وولاية الأمة على نفسها

بغض النظر عن مناقشة تفاصيل نظرية "ولاية الفقيه" فانها تشكل ثورة جذرية على نظرية الإمامة، وذلك لأنها لا تشترط العصمة ولا النص ولا السلالة العلوية الحسينية في الإمام، وتكتفي بالفقه والعدالة، وكذلك تشكل ثورة على نظرية "الانتظار للإمام المهدي" وان كانت تدعي النيابة العامة عنه، وهو ما أدى إلى نهضة الشيعة في العصر الحديث ، وقيامهم بتأسيس (الجمهورية الإسلامية) في إيران .

وإذا كان الفكر الامامي القديم يرفض الشورى، فان الفكر السياسي الشيعي المعاصر يقوم على الشورى، ويقبل حتى بالنظام الديموقراطي الحديث. وهو ما يعني تحوله جذريا، وتخليه عملياً عن نظرية "الإمامة الإلهية" التي كانت تشكل عقدة خلافه مع بقية الشيعة والمسلمين.

ولو كان الفكر السياسي الامامي يقبل بنظرية (الشورى) من قبل أو يؤمن بنظرية (ولاية الفقيه) لما كان بحاجة إلى افتراض وجود (ولد للإمام العسكري) بالرغم من عدم وجود أدلة علمية تثبت ذلك. ولما كان بحاجة بعد ذلك إلى القول بنظرية (الانتظار)

ثم افـتراض (النيابـة الواقعيـة) أو (النيابـة العامـة) لحـل إشـكالية تحـريم إقامـة الدولـة في (عصـر الغيبـة). أمـا وقـد آمن الفكـر السياسي الشيعي المعاصر بنظرية (ولاية الفقيـه) فهـو مطـالب بإقامتهـا على أسـاس (الشـورى) وحـق الأمـة في السـيادة على نفسها وإدارة شؤونها بنفسها. وليس على أساس فرضية (النيابـة العامـة للفقهـاء عن الإمـام المهـدي). بـل ان الفكـر السياسـي الشيعي مطالب اليوم بإعادة النظر في فرضية "وجود محمـد بن الحسن العسـكري" الـتي تفـرعت عن نظريـة (الإمامـة الإلهيـة) وحتمية وجود (الإمام المعصوم المعين من قبل الله) . فلـو قلنـا بإمكانيـة إقامـة الدولـة الإسـلامية تحت قيـادة الفقيـه العـادل أو المـؤمن العـادل، فانـه لا تبقى بعـد ذلـك أيـة حاجـة إلى افـتراض وجود "إمام معصوم" غائب لا يتفاعل مع الأمة.

وإذا لم نقل بفرضية وجود الإمـام الغـائب ، فإننـا لسـنا بحاجـة إلى افتراض (النيابة الخاصة أو العامـة) .. ومن ثم فإننـا لا نعطي الفقيـــه من الصـــلاحيات والســـلطات اكـــثر من دوره الطـــبيعي الاستشاري، ولا نجعل منه شخصـية مقدسـة في الفتـوى والحكم كشخصية الرسول الأعظم محمد (ص) أو (الأئمة المعصومين) .

وإذا تحررنـا من نظريـة (النيابـة العامـة)، بعـد وضـوح ضـعفها وعدم صحتها لعدم وجود (المـُناب عنه : الإمـام المهـدي) وعـدم ثبـوت ولادتـه ، فإننـا يمكن ان نقيم أسـاس الدولـة على قاعـدة (الشـورى) وولايـة الأمـة على نفسـها ، بمعـنى ان يكـون الإمـام منتخباً من الأمة، ونابعاً من إرادتها، ونائبـاً عنهـا، ومقيـداً بالحـدود التي ترسمها له، وملتزماً بالصلاحيات التي تعطيها لـه. وذلـك لأن الأدلة العقلية تعطي للامة حق اختيار الحاكم ليحكم بالنيابة عنها ، كما تعطيها الحق في ان تهيمن على الإمام وتشرف عليه وتراقبه وتحاسبه، وان تعطيه من الصلاحيات بقدر ما تشاء وحسبما تشاء ، وذلك لأن منبع السلطة في غياب النص الشـرعي وعـدم وجـود الإمام المعين من قبـل اللـه تعـالى هي الأمـة الإسـلامية. حيث لا تعطي الأدلة العقلية الحاكم العادي (غير المعصوم) القابل للخطأ والصواب والانحراف والهـدى ، من الصـلاحيات المطلقـة ، مثلمـا تعطي للرسول المرتبط بالله عـبر الـوحي ، ولا تسـاويه أبـدا مـع (الإمام المعصوم) .

لـــذا نعتقـــد ، في هـــذه المرحلـــة من تطـــور الفكـــر السياســـي الشيعي ، ومن اجل إعادة تصحيح الفكر السياسي الشيعي وبنــاء علاقات اكثر ديموقراطيـة بين الأمـة والإمـام ، ان من الضـروري

جدا بحث موضوع وجود وولادة (الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري) وإعادة النظر في الأدلة الفلسفية والنقلية والتاريخية التي تحدثت عن ذلك .. وكذلك إعادة النظر في نظرية الإمامة الإلهية التي تقوم على العصمة والنص وحصر الحق في الحكم في السلالة العلوية الحسينية.

وخصوصا إذا علمنا ان نظرية الإمامة لم تكن نظرية أهل البيت السياسية، وإنما كانت من صنع المتكلمين الذين اندسوا في صفوف الشيعة في القرن الثاني الهجري، والذين كانوا يخشون من نسبتها الى الأئمة علنا خوفا من رفضهم، ولذلك كانوا يغلفونها بغطاء من دعاوى التقية، وان نظرية أهل البيت السياسية كانت تقوم على الشورى وحق الأمة في اختيار أئمتها، وانهم لم يعرفوا مطلقا شخصا باسم (الإمام المهدي محمد بن الحسن العسكري) لأنه ببساطة كان شخصية افتراضية وهمية لا حقيقة لها. تم اختلاقها بعد وفاة الإمام الحسن العسكري.

وإذا كان الشيعة اليوم قد تخلصوا عمليا من نظرية الإمامة ومن فرضية وجود الإمام الثاني عشر، بعد رحلة طويلة من الحيرة والعذاب استمرت ألف عام، وعادوا الى فكر أهل البيت الأصيل: الشورى ، فلا بد ان يتخلصوا نهائيا من كل مخلفات ورواسب نظرية "الإمامة" المثالية والوهمية. ومن أهم تلك الرواسب : الموقف السلبي من الشيخين الجليلين الخليفتين الراشدين أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما). ذلك الموقف الذي يقوم على أساس الاعتقاد باغتصابهما للخلافة من الامام علي عليه السلام، حسب نظرية "النص الإلهي" وتعيين النبي الأكرم (ص) له كخليفة من بعده. وما يسببه هذا الموقف من توتر وتشنج وعداء بين الإمامية وعموم المسلمين.

وفيما يلي قراءة جديدة لنشوء نظرية الإمامة، ولازمتها : فرضية وجود الولد للإمام العسكري، قراءة تلاحظ التباين السافر بين فكر أهل البيت وأقوالهم وأعمالهم، وبين نظريات المتكلمين الاماميين وافتراضاتهم المناقضة للعقل والقرآن الكريم.

الخاتمة

نستخلص من كل ما مضى: أن الشيعة كانوا يشكلون حزب الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في مقابل حزب معاوية والأمويين، وأنهم في القرن الأول الهجري، لم يكونوا يعرفون نظرية الإمامة الإلهية القائمة على العصمة والنص ، حيث كانوا يؤمنون فقط بأولوية وأحقية أهل البيت بالحكم والخلافة من الأمويين. وعندما اختلف أهل البيت في القرن الثاني الهجري، بين عباسيين، وطالبيين، وعلويين، وكيسانيين ، وحسنيين ، وحسينيين ، وإسماعيليين، وموسويين، نشأ من الشيعة فريق يؤمن بحق خط معين منهم ، هو الخط العلوي الحسيني الموسوي، بالإمامة والخلافة الى يوم القيامة. ولكن هذه النظرية وصلت الى طريق مسدود ، مع وفاة الامام الحسن العسكري ، سنة 260 للهجرة ، دون خلف يرثه في الإمامة، مما سمح للتيارات الشيعية الأخرى الزيدية والإسماعيلية أن تواصل معركتها ضد الخلفاء العباسيين، وتنجح في إقامة دول لها في اليمن وطبرستان وأفريقيا والحجاز، حتى كادت أن تقضي على الدولة العباسية في بغداد، في منتصف القرن الخامس الهجري.

وكان من المحتمل جدا ، أن يطوي التاريخ حديث التيار الإمامي الموسوي، لولا مبادرة بعض أركانه الى اختلاق قصة وجود ولد مستور وغائب للامام العسكري، وتأليف النظرية الإثني عشرية في القرن الرابع الهجري، مما سمح لها بالبقاء في أذهان فريق من الشيعة، ظل ينتظر خروج ذلك الإمام أكثر من ألف عام، ولم يجنِ ذلك الفريق من انتظاره للإمام الغائب ، سوى العزلة والتلاشي والانكفاء والغيبة عن مسرح الحياة.

واضطر هؤلاء الشيعة، في نهاية الأمر، الى الثورة على نظرية الانتظار التي كانت تكبلهم وتمنعهم من النشاط السياسي، وتأليف نظرية جديدة هي "فرضية النيابة العامة للفقهاء عن الإمام المهدي الغائب" وتطويرها من بعد ذلك الى "نظرية ولاية الفقيه". ومع أن هذه النظرية قد حررتهم تماما من نظرية الإمامة الإلهية المثالية، القائمة على اشتراط العصمة والنص في الإمام، إلا أنها ظلت في أذهانهم تشكل امتدادا لها ، وترتبط بها ببعض الخيوط الرقيقة، مثل الاعتقاد بأن الفقهاء منصوبين ومعينين من قبل الامام الغائب ، بالنيابة العامة. وهو ما أضفى هالة قدسية على الفقهاء المراجع رفعتهم فوق مستوى الشعب، وحالت دون مراقبتهم ومحاسبتهم ونقدهم. وهذا ما أدى الى قيام ديكتاتورية باسم الدين ، هنا وهناك، في بعض الأحيان.

ولكن مسيرة الفكر السياسي الشيعي لم تتوقف عند هذه النقطة، حيث واصل الفقهاء سعيهم من أجل تقديم فكر سياسي

أفضل وبناء نظام سياسي أكثر حرية وعدلاً، فرفض كثير منهم فرضية النيابة العامة ، وكذلك نظرية الولاية العامة والمطلقة للفقهاء، وقالوا بمبدأ الشورى وولاية الأمة على نفسها، ولم يتردد بعضهم عن إعلان تأييده للنظام الديموقراطي على أسس إسلامية. (كما هو حاصل اليوم في العراق).

كل هذا التطور الجذري في الفكر السياسي الشيعي، يجعلنا نعيد النظر في التسمية الموروثة والشائعة:"الإمامية" ومدى انطباقها على شيعة اليوم، الذين يمكن أن نقول عنهم أنهم "جعفرية" باعتبارهم يتبعون فقه الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) ،كما يتبع بعض المسلمين المذهب الحنفي أو الشافعي أو المالكي أو الحنبلي أو الاباضي ، ولكن لا يمكن أن نصفهم بالإمامية أو الإثني عشرية. وهو ، كما قلنا قبل قليل، اسم أطلق على فريق صغير من الشيعة في القرون الأولى، في حين لم يكن أحد من الشيعة يعرف هذا الاسم في القرن الأول الهجري. وفي الواقع لا يعرف معظم الشيعة المعاصرين شيئا عن نظرية الإمامة، سوى الحب والولاء لأهل البيت (عليهم السلام)، وهو أمر يشترك فيه عامة المسلمين، وبالتالي فلا يجوز نعتهم بالرافضة، كما يفعل بعض السلفيين.

ولا يجوز مؤاخذة الشيعة ، أو محاسبتهم على ما قاله أو يقوله الغلاة والمتطرفون، كما لا يجوز محاكمة أمم وطوائف وشعوب على ما يقوله ويفعله الغلاة منهم.

إن من الخطأ الكبير تصوير الخلاف بين السنة والشيعة وكأنه خلاف عقدي لا ينتهي حتى يوم القيامة، والتشبث بالأقوال الشاذة والنادرة التي تفوه بها بعض الغلاة والمتطرفين عبر التاريخ، لأنه خلاف كان يدور في الإطار السياسي، وهو موضوع فرعي اجتهادي، وقد انتهى اليوم، ولم يبق منه سوى أوهام أو رواسب وطقوس ومخلفات قشرية.

وإذا كانت هنالك من عقدة تعكر صفو العلاقات الشيعية مع الآخرين، فهي تكمن في قضية الموقف السلبي من الشيخين أبي بكر وعمر ، والصحابة عموما (رضي الله عنهم) وذلك بسبب اعتقاد الإمامية بـ "اغتصاب" الشيخين للخلافة من الامام علي، الذي "نصَّ عليه رسول الله وعينه خليفة من بعده".

وبعد وضوح فكر أهل البيت السياسي القائم على الشورى، وتخلي الشيعة عن نظرية الإمامة التي وصلت الى طريق مسدود في القرن الثالث الهجري، وانقرضت، وتخليهم كذلك عن نظرية الانتظار للإمام الغائب (محمد بن الحسن العسكري) الذي ثبت أيضا أنه لم يكن سوى فرضية وهمية لا تمت بصلة الى أهل

البيت، حان الوقت للتخلص من كل رواسب التاريخ، وتصحيح الموقف وإعادة النظر بإيجابية الى الشيخين الجليلين أبي بكر وعمر ، وعموم الصحابة الكرام الذين كانوا على علاقة طيبة وحميمة مع أهل البيت.

وهذا أمر كفيل بتعزيز علاقة الشيعة بأخوتهم المسلمين، وإزالة ما في قلوبهم من أحقاد وأدران.

وأجدني مضطرا لتكرار: أن ليس كل الشيعة، قديما وحديثا، يؤمنون بنظرية الإمامة، ويلتزمون بكل حذافيرها، وبالتالي فانهم لم يتخذوا.. ولا يتخذون موقفا سلبيا من الصحابة والشيخين، بصورة حتمية. ولذا فان نظر الآخرين اليهم يجب أن يكون واقعيا، ودقيقاً، ومميِّزاً بين فرقهم المختلفة وتياراتهم العديدة. ولا بد أن يلاحظ المسلمون التطورات الجذرية الكبيرة التي حدثت وتحدث في صفوف الشيعة بصورة عامة.

وربما كان أهم درس يأخذه المسلمون من التطور الديموقراطي عند الشيعة، هو ضرورة التخلص من الفكر الاستبدادي، الذي روَّج لهم فقهاء السلاطين في ظل الدولة العباسية، والذي يشكل اليوم عقبة كأداء أمام مسيرة الأمة الإسلامية من أجل إقامة نظام سياسي موحدٍ و حرٍّ وعادل.

وإذا ما توصل المسلمون جميعا الى فكر الشورى والحرية والعدالة، ورفض الاستيلاء على السلطة بالقوة، فانهم يمكن أن يبدءوا طريق النهوض، وإعادة صياغة حضارتهم من جديد، ويطووا صفحة الصراع على السلطة، ويوحدوا أمتهم الممزقة من جديد.

أحمد الكاتب

محتويات الكتاب

ملخص **الجزء الأول:**

نظرية الإمامة الإلهية

عند الشيعة الامامية الاثني عشرية

المبحث الثاني: الوضع السياسي العام عشية (الغيبة) وغداتها

المبحث الثالث: ماذا في علائم الظهور

المبحث الرابع: دور الغلاة في صنع الفرضية المهدوية

المبحث الخامس: دور الإعلام في صنع الفرضية

ملخص الجزء الثالث
تطور الفكر السياسي الشيعي في (عصر الغيبة)

الخاتمة

....

المصادر

القرآن الكريم

الامام علي: نهج البلاغة

ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة

النوبختي: فرق الشيعة.

الأشعري القمي، سعد بن عبد الله: المقالات والفرق.

الحميري: قرب الإسناد.

الخصيبي : الهداية الكبرى

الصدوق، علي بن بابويه: الامامة والتبصرة من الحيرة.
الصفار القمي، أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ (المتوفى سنة 290هـ) : بصائر الدرجات. نشر مكتبة آية الله المرعشي النجفي، سنة 1404 هـ، في قم إيران.
البرقي : المحاسن .

العياشي: التفسير.

تفسير فرات ابن ابراهيم الكوفي

الكليني: الكافي، والروضة.

كتاب سليم بن قيس الهلالي

النعماني ، محمد ابن أبي زينب: الغيبة .

الصدوق، محمد بن علي: اكمال الدين، والأمالي ، و عيون اخبار الرضا، و الهداية، و علل الشرائع و الخصال.
الخزاز : كفاية الأثر في النص على الأئمة الإثني عشر .

الطبري:دلائل الإمامة.
الطبري، تاريخ الرسل والملوك.
ابن قتيبة: الامامة والسياسة.

المسعودي: مروج الذهب.

ابن الأثير: الكامل في التاريخ.
ابن عساكر: التهذيب.
ابن كثير : البداية والنهاية.
تاريخ اليعقوبي
الاصفهاني: مقاتل الطالبيين.
والمسعودي: التنبيه والاشراف.
البلاذري: أنساب الأشراف.
الحموي، ياقوت: معجم البلدان.
الاسفراييني: الفرق بين الفرق.
الشهرستاني: الملل والنحل.
الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا: مقتل الامام أمير المؤمنين، تحقيق مصطفى القزويني، مركز الدراسات والبحوث العلمية، بيروت
الشيخ الأقدم ابن أبي الثلج البغدادي: تاريخ مواليد الأئمة ووفياتهم

المفيد: المقنعة ، و الأمالي، و الارشاد ، و أوائل المقالات و الاختصاص ، المسائل الجارودية، والإفصاح في إمامة علي بن أبى طالب ، و شرح عقائد الصدوق، والنكت الاعتقادية، وعدة رسائل، و الرسائل العشر، مختصر من الكلام على الزيدية ، و

الفصول المختارة من العيون والمحاسـن ، والمسـائل الجاروديـة في تعيين الخلافة والإمامة في ولد الحسين بن علي، والثقلان.

الشريف الرضي: خصائص الأئمة .
المرتضى: تثبيت دلائل النبوة، و الشافي.

الطوسي: الغيبة، و النهاية ، و المبسوط، الفهرست ، و مسـائل كلامية / المسائل العشر، وتلخيص الشافي .

النجاشي: الرجال .

الكشي: معرفة الرجال.

الكراجكي:البرهان على صحة طول عمر صاحب الزمان، و - الاستنصار في النص على الأئمة الأطهار، المطبعة العلوية في النجف سنة 1346 هـ، وكنز الفوائد،
الطبرسي: الاحتجاج.
القطب الراوندي: الخرايج والجرائح

النيسابوري: روضة الواعظين.

الديلمي : أعلام الدين في صفات المؤمنين.

ابن ادريس الحلي: المختصر النافع.

إبراهيم القطيفي : السراج الوهاج لدفع عجاج قاطعة اللجاج .

المقدس الاردبيلي: تعليقات على خراجية المحقق الثاني .

المجلسي: بحار الانوار

النجفي محمد حسن: جواهر الكلام

نعمة الله الجزائري : شرح غوالي اللئاليء

ابن بطريق الحلي: رسالة نهج العلوم

الأردبيلي الحائري، محمد بن علي: جامع الرواة.
العلامة الحلي ، الحسن بن المطهر: الباب الحادي عشر، و الخلاصة، و نهج الحق وكشف الصدق، و منهاج الكرامة في إثبات الإمامة، وكشف المراد.

الحر العاملي : إثبات الهداة .

النوري الطبرسي ، خاتمة لمستدرك وسائل الشيعة.

النراقي ، أحمد: عوائد الأيام.
الهمداني: مصباح الفقيه.
الأنصاري، مرتضى: المكاسب
الخميني: كتاب البيع ، والحكومة الاسلامية
الفريد، حسن: رسالة في الخمس.
الخوئي: التنقيح في شرح العروة الوثقى / كتاب الاجتهاد والتقليد ، ومعجم الرجال.

العطاردي: مسند الرضا.

القرشي، باقر شريف: حياة الإمام موسى بن جعفر ، وحياة الإمام الحسن العسكري .

الجزائري ، نعمة الله: الأنوار النعمانية.

شبر : حق اليقين.

الاصفهاني، محمد تقي الموسوي: مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم،
الكاشاني: الصحيفة المهدية.

الحسني، هاشم معروف: بين التصوف والتشيع.

الزين، محمد حسن: الشيعة في التاريخ
الأميني: الغدير.
الصدر، محمد صادق : الشيعة الامامية.
الصدر، محمد: الغيبة الصغرى.
صحيفة كيهان، العدد رقم 13223 المؤرخ 16 جمادى الأولى 1408هـ
طلال مجذوب: إيران من الثورة الدستورية إلى الثورة الإسلامية.
تاريخ الشاه إسماعيل، طبع مركز تحقيقات فارس إيران وباكستان، إسلام آباد.
راجر سيوري: إيران في العصر الصفوي.

التنكابني: قصص العلماء

حميد عنايت، تفكير نوين سياسي إسلام.

حسين عطوان: الشورى في العصر الأموي.
كاشف الغطاء، محمد حسين: اصل الشيعة وأصولها.

صدر للمؤلف

1- تطور الفكر السياسي الشـيعي.. من الشـورى إلى ولاية الفقيه
2 - الفكر السياسي الوهابي.. قراءة تحليلية
3- تطــور الفكــر السياســي الســني.. نحــو خلافــة ديموقراطية
4 – الســنة والشـيعة.. وحـدة الـدين، خلاف السياسـة والتاريخ
5 – المرجعية الدينيـة الشـيعية وآفـاق التطـور، الامـام محمد الشيرازي نموذجا
6 - حـوارات أحمـد الكـاتب حـول وجـود الإمـام الثاني عشر